



أوراق هنري كورييل

والحركة الشيوعية المصرية

دراسة : دكتور رؤوف عباس

ترجمة : عزة رياض

أوراق هنري كورييل

أوراق هنري كورييل

أوراق هنري كورييل

٢ ـ تقرير من هنرى كورييل إلى حدتو بعنوان : « نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨ » ويحمل التقرير تاريخ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٥١ .

٣ ـ تقرير من هنرى كورييل إلى حدتو بعنوان : « المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى عام الوحدة ، مايو ١٩٤٧ ـ يونيو ١٩٤٨ » ويحمل غلاف التقرير إشارة إلى أنه كتب فى نهاية عام ١٩٥٥ .

٤ ـ وثائق مجموعة روما ، مارس ١٩٥١ ـ أبريل ١٩٥٨ ، وهى مجموعة مراسلات صادرة باسم المجموعة إلى حدتو والحركة الشيوعية المصرية ينتهى بالوثيقة الخاصة بموافقة المجموعة على قرار الحل .

٥ ـ رسالتان من هنرى كورييل إلى نعومى كانل (إحدى كوادر حدتو بالاسكندرية) أثناء وجودها بالسجن ، وهما رسالتان تشيران إشارة واضحة إلى موقف هنرى كورييل من ثورة يوليو ومن إسرائيل .

ولما كان هنرى كورييل قد استخدم فى تقاريره ـ التى كانت أصولها تكتب عادة بالحبر السرى وترسل مع بعض المسافرين إلى مصر أو بطرق أخرى ـ الأسماء الحركية للكوادر التى وردت بتلك التقارير ، فقد استعنا ببعض الأصدقاء للتعرف على الأسماء الأصلية لأولئك المناضلين ، طالما أن أدوارهم النضالية أصبحت جزءا من تاريخ مصر المعاصر ، وقد لقينا فى هذا الصدد معاونة الكثيرين ، ولكننا نخص بالشكر الصديقين د . فتحى عبد الفتاح والأستاذ بدر رفاعى لعونهما الصادق فى هذا المجال . ورغم ذلك بقيت بعض الأسماء الحركية غامضة بالنسبة لنا ، ربما لأن هؤلاء تركوا الحركة الشيوعية فى وقت مبكر ، أو لأن ذاكرة المناضلين لم تسعفهم بالأسماء الحقيقية لأولئك الرفاق القدامى .

ولما كان « هنرى كورييل » صاحب هذه المجموعة من الوثائق ، فقد رأينا أن نقدم لها بدراسة عن « هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية » ، ضمناها دراسة نقدية لكل من المجموعات الخمس من الوثائق التى يضمها هذا الكتاب .

وبعد .. عزيزى القارىء .. إن هذه الوثائق التى تلقى أضواء هامة على فصيل كبير من فصائل الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات حتى الخمسينيات ، حافلة بالتجارب النضالية التى تشكل ـ بسلبياتها

اليونانيون عندما علموا بذلك فى ترتيب لقاء معه ، كان لدى مارتى تعليمات مشددة جداً بعدم إجراء أى اتصال وبخاصة فى مصر حتى لا تثار الشبهات حول قدومه للجزائر ، فكيف بلقاء سرى مع مناضلين فى صراع مع حلفاء الاتحاد السوفييتى ومطلوبين أيضاً ! كيف استطعنا إقناعه أنا وزوجتى ؟ لا أذكر ، لعله تأثر باستعدادنا الطيب وعدم إدراكنا للأمور .. نجحنا فى النهاية ، وتمت المقابلة فى سيارتى التى توليت قيادتها لمدة تقرب من ساعتين قدم فيهما المسئول اليونانى إلى مارتى تقريراً عن كل الأحداث المتعلقة بهم ، سمعه هذا الأخير باهتمام ، محاذراً اتخاذ موقف ووعد بنقل الحديث ؛ لم يتعد الأمر ذلك .

كانت المشاركة فى المسألة اليونانية هامة جداً بالنسبة لنا حيث كانت المخاطر فى الأنشطة المصرية التى تتم فى ظل ظروف أمن مرضية نسبياً ، كما سأبين ذلك فيما بعد ، تبدو لنا بعيدة ، أما المشكلة اليونانية التى كانت بحق شكلاً ضارياً من أشكال الصراع ضد الامبريالية فقد واجهنا معها حقائق فظيعة : من تفتيش فظ إلى تعذيب مخيف للمناضلين المعتقلين ، ونحن مدينون لها بالقوة التى اكتسبناها من مشاركتنا المتواضعة .

ولنعد الآن إلى الفترة التى تنتهى بميلاد حركة شيوعية مصرية حقيقية وثورية ؛ لقد كانت بحق فترة غنية جداً .

ولنتصور الوضع أولاً : قمنا حتى ذلك الحين بإذاعة الأفكار الشيوعية المرتكزة على نشر النظرية الماركسية والدعاية للاتحاد السوفييتى ؛ ومن الآن فصاعدا نريد الذهاب لأبعد من ذلك ؛ لذا ينبغى أولاً الإجابة على هذه الأسئلة - مع إعطاء إجابات عملية لا إجابات مجردة أو تعريفات حكيمة :

* ما معنى اعتناق الشيوعية ؟
* ما الأهداف التى ينبغى للشيوعيين أن يتخذوها ؟
* ما المهام التى ينبغى أن يقوموا بها ؟

يجب الاعتراف بأننا لم نسىء التصرف ، وخاصة أنه لم يكن لنا معلم : لقد كنا فى آن واحد ، مبتدئين بلا معلم ، وقادة بلا إعداد ، حاولنا بالطبع أن « ننقل » عن المناضلين الذين اتصلنا بهم من خلال المكتبة ، ولكن التجارب لم تكن مثمرة جداً ، فالغالبية العظمى منهم مناضلون بأحزاب شرعية بدائية التكوين ، والمسئولون المهمـون - مثل بعض المسئولين الانجليز (راجع ما سبق) - يقاطعوننى ، أو يزدروننا أو كانوا غير قادرين على فهم مشاكلنا وإيجاد حلول لها .

كانت أكثر الصلات ثراء هى صلاتنا بالزملاء اليونانيين ولاسيما اتيين Etienne الذى قام بدور كبير فى تنظيم جنود الجيش الملكى ، وهو حسب اعتقادى ، عامل خراطة مريض بالسل ، له تحياتى .. كم أكون سعيداً لو عرفت أخباره ! وأستطيع القول ، رغم أحاديثنا الشيقة أحياناً مع مناضلين شيوعيين أجانب ، إننا لم نتلق أبداً نصائح ولا توجيهات

ولاتعليمات من أى شخص . وأرغب هنا فى الحديث عن صلاتى بسفارة الاتحاد السوفييتى التى فتحت أبوابها عام ١٩٤٢ أو ١٩٤٣ : كنت الوحيد فى مصر الذى أقام علاقات عمل مع الاتحاد السوفييتى وهى صلات لا يمكن اعتبارها تجارية ، فحسب ، ومن جهة أخرى كانت زوجتى أمينة صندوق « السيدة تشرشل ! للإعانة الروسية (؟)» يالها من هيئة مدمرة !

كان من الطبيعى إذن أن أقابل المستشار عبد الرحمن سلطانوف الذى ربما اختير لهذا المنصب بسبب أصله الإسلامى ولمعرفته باللغة العربية ، قابلنى المستشار عبد الرحمن ثلاث أو أربع مرات ، وقد أعلننى على الفور فى أول مقابلة أن الاتحاد السوفييتى لا ينوى القيام بأى نشاط فى مصر التى يجهل عنها كل شىء ، شرحت له أفكارنا عن الوضع فى مصر وأعتقد أننى لم أؤثر فيه كثيراً فقد عرفت بعدها أنه كتب مقالاً فى مجلة سوفيتية أكد فيه عدم وجود شيوعيين بمصر !!

وفى آخر مرة طلب منى أن أتخلى عن استيراد الكتب من الاتحاد السوفييتى لأدير مكتبة « بورجوازية » لأننى أسىء إليهم .. رددت بنبرة مستنكرة : إنه لا توجد مكتبة قادرة على بذل الجهود والتضحيات التى نقوم بها ، ولا على الحصول على نتائج تقارن بنتائجنا فلم يعلق على هذا ؛ ولكننى لم أره بعدها ؛ وقد تمت هذه المقابلات بالطبع على مرأى ومسمع من الجميع .

إن تقارير بعض هيئات المخابرات التى أعلنت أننى « عميل سوفييتى » تعود إلى هذه الفترة ، تصوروا ! مقابلة مستشار بالسفارة ! لا يحتاج المرء أكثر من ذلك ليكون « عميلاً » ! لقد تحدث القذر چورچ سوفرت Georges suffert فى إحدى مقالاته المقززة عن صلاتى بسلطانوف « الرهيب » ، تنطق هذه الصفة « بالعلم » وتعطى لهذه « الصلات » طابعاً مثيراً للقلق ، ولكن إذا كان الشخص قذراً .. يجب أن أعلن أن السبب فى هذه الصلات المحدودة بالاتحاد السوفييتى لا يعود إلىّ .

بدأنا إذن العمل بحماس فى الفترة التى تلت العدوان النازى ، أعطانى مارسيل إسرائيل ثقته فى وقت ما وأشركنى فى عمله ، ولكن لم تسفر أبحاثنا المشتركة عن شىء يذكر فقد تركت العمل منذ الاجتماع الأول بمجموعة مارسيل إسرائيل حيث كانت لى رؤية أوسع - تعود لأصلى « البورجوازى » - من تصورهم الضيق للأمور الذى روعنى ؛ كانوا أناسا جادين ولهم « اتصالات دولية » لا أعرف عنها الكثير ، ولكنهم - فى رأيى - يحملون أنفسهم على محمل الجد أكثر من اللازم ، ومع هذا تعاونت معهم « من الخارج » لفترة ، ولكن ساءت علاقاتنا إلى أن انتهت بهجرهم « بسببى » الاتحاد الديمقراطى الذى أنشأوه ، والذى انعقدت اجتماعاته الأولى فى مركز محفل ماسونى إيطالى ، فالماسونيون أعداء منطقيون للفاشية التى تضطهدهم وقد أصبح بعضهم مناضلين شيوعيين نشطين

مثل ساندروروكا الذى قابلته فى تورين Turinعام ١٩٥١ ، وجدت بعد ذلك خلف مكتبه مركزاً بدا لى رائعاً بالمقارنة بالحجرة الرثة التى وضعها الماسونيون تحت تصرفنا ..

بعد ترك الاتحاد الديمقراطى قامت مجموعة مارسيل بتأسيس ناد جديد أكثر شعبية وذى إلهام مصرى « الثقافة وأوقات الفراغ » وذلك لعدم قدرتها على تغيير أسلوب عملها ، هكذا كنت أعتبر ممثلاً للبورجوازية بينما يمثلون هم الجماهير الشعبية ! لست أعرف بالتحديد تاريخ المقابلة الحاسمة التى جمعتنى ومارسيل بعد رجوعه من فلسطين حيث اقترح علىَّ ، فى محاولة جديدة للوحدة شجعته عليها الأحزاب الشقيقة ، أن أنضم لمجموعته ، حاولنا معاً الإلمام بالموقف ولكن سرعان ما توقفنا عند تعرضنا لمسألة الدين ؛ كان مارسيل يؤكد فى جميع الحالات على ضرورة الإلحاد بالنسبة للشيوعيين وعلى أهمية الأنشطة المعادية للدين بالنسبة للحزب ؛ راعنى موقفه بالرغم من أننى فقدت إيمانى مبكراً : كنت يهودياً فى مدرسة كلها من المسيحيين .. (مدرسة الرهبان اليسوعيين المدهشة بالفجالة . وهى مدرسة أحتفظ لها بذكرى طيبة للغاية فهى قد ربت فىَّ القيم الأخلاقية العالية كما أدين لها بتلقينى فلسفة التومائية الحديثة التى أشعرتنى بحاجتى لتصور شامل للعالم ، هذا التصور الذى وجدته فى الماركسية) ولأننى عشت فى بلد مسلم أدركت نسبية العقائد ومنافاة تمييز إحداها على الأخريات - باعتبارها جامعة لجميع الحقائق -للعقل ، ساعدتنى أيضاً على التخلص من « الأفكار » الدينية « المسبقة » الذى لم يتطلب وقتاً طويلاً ، معلمة فرنسية غادرتنا لتدير ليسيه البنات التابع للإرسالية العلمانية بالقاهرة .. ولكن مصارعة الدين فى مصر حيث يتمتع بجذور عميقة عملية انتحارية بحق .

كان جوهر المناقشة فى الواقع غير هذا : هل يهدف الشيوعيون إلى نشر الماركسية كأفكار ، كمفاهيم ، كعقيدة ؟ أم يهدفون إلى جعلها دليلاً للصراع من أجل تحرير الشعب المصرى ؟ يجب أن أقول إن مفاهيمى « الانتهازية العميقة » أثارت تقزز مارسيل لمدة طويلة ، ومع هذا كانت ولا تزال المناقشة أساسية ، فالشيوعيون إما سيبـرزون أن الماركسية هى الأسلوب الأكثر فعالية لتحسين أحوال الجماهير المصرية جذرياً ، وفى هذه الحالة يكونون جديرين بثقتها ، أوسيقاتلون مع أو ضد مفاهيم فلسفية ودينية مما يؤدى إلى انقسام قوى التحرير .

سيقال لى إن الثورة البلشفية ناضلت ضد الكهنة الأرثوذكس ! ولكن ما العلاقة بين الكنيسة الأرثوذكسية التى تمثل السند الرئيسى للقيصرية الطاغية فى العشرينيات وإيمان الجماهير المصرية !

حقاً إن أكثر القوى رجعية تستخدم الدين ضد الشيوعية وقد قدمت واقعة من هذا الصراع (راجع موضوع القذر جورج سوفرت Georges suffert فى بوان دى جوان

(نقطة يونيو) Point de juin سنة ١٩٧٦) ولكن هذا يحدث أيضاً فى دولة فرنسا العلمانية ؛ من الغباء إذن الرد على مثل هذا الهجوم بهجوم على الدين لا على الرجعية .

إن العالم بعد ثورة أكتوبر ، وهذه الفكرة من الأفكار العزيزة جداً علىّ ، لم يعد هو عالم سنة ١٩١٧ ، فالقوة المحولة للثورة البلشفية المنتصرة يزيد وزنها فى جميع المجالات شيئاً فشيئاً : كل شىء فى المجتمع يتغير كما أن دور الدين قد تطور كثيراً حيث وقف إلى جانب الجماهير عدد متزايد ، لا من المؤمنين فقط ، بل ومن رجال الدين الذين انضموا بعزم إلى قوى التحرر الاقتصادى والاجتماعى وشاركوا فى النضال من أجل إجراء تغييرات اجتماعية عميقة كفوا عن محاولة كبحها .

سأسبق الأحداث بعض الشىء وأتحدث هنا عن عملى بالأزهر : كان للحركة المصرية للتحرر الوطنى قطاع بالأزهر ، وكان هناك فى الفترة التى توليت فيها مسئولية هذا القطاع (!) مجموعة فى كل من كليات : أصول الدين ، الشريعة ، اللغة ، ومجموعة أخرى فى المعهد الثانوى الذى يؤهل لدخول هذه الكليات ، وكانت لجنة الأزهر تضم عضوا من كل مجموعة .

كان طلبة الأزهر هم أكثر الطلبة فقرا فى مصر ، وهم نازحون من الريف ويقطنون لدى عائلات فقيرة هى الأخرى ، ويحصلون من الجامعة على منحة شهرية : جنيهان مصريان يتدبرون بهما أمرهم ، بحيث يبعثون إلى ذويهم بجزء منهما ، كان يأتيهم من الريف بعض الطعام : جرة الجبن الذى يأكلون به الخبز الموزع عليهم مجانا بالجامعة ، وكانوا يظنوننى لعدم معرفتى باللغة العربية ، وهى اللغة الوحيدة التى يمكننى التحدث بها إليهم ، عاملاً فرنسياً (!) ويجدون طبيعياً اهتمامى بهم .

كنت أحضر اجتماعات « لجنة الأزهر » وكانت كثيراً ما تتوقف فى أوقات الصلاة ، ولأعلن رسمياً أنه لم تحدث قط « مشكلة » - ولو صغيرة - تتصل بالدين : نظم أحدهم قصيدة شعرية من خمسمائة بيت عن الجدلية (الديالكتيك) ! وقد اتخذ طلبة الأزهر فى سنة ١٩٤٦ موقفاً تقدمياً حازماً إلى جانب طلبة جامعة القاهرة ، وبالإضافة إلى ذلك أقاموا الصلة الأولى بين الشيوعيين والريف المصرى الذى عادوا إليه : كان عملاً مثالياً ينبغى استئنافه باستخدام كل القوى وهى قوى أكثر عدداً من تلك المتاحة لنا .

يحيا ثوار الأزهر !.. وليسقط استخدام الدين بواسطة الرجعية المنحلة والفاسدة ممثلة فى الطبقات التى تزدهر فيها جميع المباذل ..

وليحيا الشيوعيون المدافعون عن أخوة شعوب الأرض جميعاً ، سواء تلك التى تحررت أو التى لا تزال تناضل فى سبيل تحررها ، مثالاً للاستقامة والخلق والإخلاص للوطن وللجماهير المصرية !

كان أكثر مواقف الحركة الشيوعية المقبلة حسماً هو الموقف المعادى للامبريالية ، بينت

قبلاً أن للبورجوازية المصرية والقوى التقدمية رأياً فى معاهدة سنة ١٩٣٦ تكريساً فعلياً للاستقرار فى مصر ، كما بينت أن أحداث سنة ١٩٤٢ هى أحداث « تقدمية » فى رأى مجموع التقدميين فهى قد انتهت إلى :

١ - الإتيان بحكومة أغلبية بدلاً من حكومة أقلية .

٢ - الإتيان بحكومة حليفة « للديمقراطية » بدلاً من حكومة موالية للفاشية ، مما يزيد من قوة المعسكر المعادى للنازية .

منذ البداية أوضح لى كتاب لينين « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » الجانب المعادى للامبريالية فى النشاط الشيوعى ، لم يكن هناك شك فى أن النضال ضد الامبريالية هو جوهر نضال الشيوعيين فى العالم كله ، وحسب ما تراءى لى لم تغير الامبريالية الانجليزية من قوامها فناديت على الفور (فى مواجهة المناضلين ضد البورجوازية العدو الرئيسى للجماهير المصرية ، وفى مواجهة المؤيدين للنضال ضد الفاشية العدو الرئيسى للشعوب) بالنضال ضد الامبريالية الانجليزية ، العدو الرئيسى للشعب المصرى ، وضد فاشية النازيين الذين لا يفضلونهم بحال .

كان أول نشاط « عملى » لى هو توزيع منشور كتبه زملاء مصريون لبوانتى Pointet وقمت أنا وهو بتوزيع أربعة آلاف نسخة منه فى أحياء القاهرة الشعبية ، ليلة بعد ليلة فى ظل الأحكام العرفية بعد تقدم الجنود الإيطاليين عن طريق ليبيا : كانت الأحكام العرفية قد أعلنت منذ بداية الأعمال الحربية ولكن تطبيقها ظل غير مشدد حتى ذلك الحين . ماذا يقول هذا المنشور ؟ باختصار « إن الغزاة الجدد ليسوا بأفضل من الانجليز . وهنا أيضاً ينبغى الاختيار بين الانطلاق من مفاهيم مجردة أو من وقائع يجب تغييرها ؛ لا وزن إذن لنشاط يعادى الفاشية ويميز الأمبريالية ، فنشاط كهذا ليس إلا دعاية انجليزية : (الرجوع إلى واقعة إخوان الحرية) .

أما إدراكى الداخلى للصراع ضد الامبريالية كهدف للشيوعيين فى مصر فقد تحقق فى الزيتون .

فى سنة ١٩٤٢ حدثت دفعة قوية للجنود الألمان الذين توغلوا فى مصر بقيادة روميل فأحرقت سفارة انجلترا الأرشيف الخاص بها وشاهدت القاهرة كلها الدخان يرتفع فوق حدائق السفارة ، وقامت بتخصيص قطار لنقل « المناضلين المعادين للفاشية » من كل الجنسيات إلى فلسطين ، فى هذا القطار كانت الرفيقة التى أصبحت زوجتى ترتدى كبقية زميلاتنا زى الجنود اليونانيين ، ولحسن الحظ أن تم تفتيشهن عند الحدود بواسطة رقيب انجليزى شيوعى تزوج فيما بعد من الصديقة المصاحبة لها ، وقد أصبحت هذه الصديقة منذ وصولها إلى انجلترا - ولا تزال - عضواً بالحزب الشيوعى الانجليزى . وكان هذا الرقيب واحداً من الشيوعيين الانجليز الذين انحازوا إلى مجموعتى ، فدفع مع زوجته غالياً

جداً ثمن هذا العمل الذى أدى إلى عزلهما لفترة داخل لجنة الشرق الأوسط للحزب الشيوعى الانجليزى[١٦] .

أتاحت هذه الرحلة للشيوعيين إقامة صلات مع ممثلى الأحزاب الشيوعية العربية وبخاصة الحزب الشيوعى الفلسطينى ، ولا أعرف من مضمون هذه الصلات غير مطالبتها الشديدة « بوحدة » الشيوعيين المصريين ..

أما أنا فقد قررت البقاء لأننى ظننت بمنتهى حسن النية إمكان تنظيم « المقاومة ضد الألمان » .. الأمر الذى لم يكن ممكناً ولاسيما أننى لا أستطيع الذوبان داخل الجماهير بسبب شكلى « الأجنبى » وعدم إجادتى اللغة العربية . ولكن هذا لم يحل دون مضاعفة نشاطى خلال هذه الفترة التى كانت فيها « أسماء البقلى » الطالبة آنذاك هى السند المعنوى القوى لى ، وكانت عائلتها القاطنة فى المعادى تستقبلنى هى الأخرى بكرم الضيافة الحار الذى يميز المصريين من كل الفئات : تزوجت أسماء فيما بعد من شاب لامع هو « أسعد حليم » الذى سيصبح الساعد الأيمن لمارسيل إسرائيل ، ولقد قابلت والدها الذى كان مديراً لسجن محكمة الاستئناف حيث تم حجزى فى سنة ١٩٤٦ على ذمة القضية المسماة « بالمؤامرة الشيوعية الكبرى » وكان استقباله للمعتقلين السياسيين العديدين طيباً للغاية .

ولكن هذا النشاط لم يدم طويلاً ففى أوائل يونيو تقريباً وجدت ذات صباح فى المكتبة مجموعة كبيرة من رجال البوليس بالداخل والخارج وقد قاموا بتفتيش دقيق للمكتبة وحجزوا بعض الكتب وتم ترك الباقى ، ثم صحبونى إلى ڤيلا العائلة حيث لم يسفر التحقيق عن شىء فالڤيلا كبيرة وتتيح بسهولة نقل ما قد يورطنى من غرفتى الخاصة بواسطة المصعد وإخفاءه فى القبو بمساعدة جميع الموجودين .

تم اقتيادى بعد ذلك إلى ڤيلا كبيرة بضاحية الزيتون ووجدت هنالك ما يقرب من خمسين شخصاً من « الخطرين على الأمن العام » (كم من مرة عرضت فيها هذا « الأمن العام » للخطر !) الذين تم حجزهم بمقتضى القانون القائم على الأحكام العرفية ، وهم جميعاً من المصريين فقد تم وضع الأجانب وبصفة خاصة رعايا دول المحور فى معسكرات واسعة بالصحراء ، ويمكن القول بأن عزلتهم هذه نسبية حيث ذهبت مرة هنالك لزيارة أحد أصدقائى الإيطاليين الذى لم يكن فاشياً على الإطلاق !

قضيت فى الزيتون ستة أو سبعة أسابيع شيقة كجميع فترات اعتقالى اللاحقة : كانت

---

(١٦) كان هنرى كوربيل قد زود كوكس ـ صديقه الانجليزى ـ عضو لجنة الشرق الأوسط بالحزب الشيوعى الانجليزى ـ بالمعلومات الخاصة بموقف حدتو من ثورة يوليو (أوائل اغسطس ١٩٥٢) مما دفعه إلى كتابة مقال بالدايلى ووركر ايد فيه حركة الجيش المصرى ، وعندما اتخذت الحركة الشيوعية الدولية موقف الإدانة للثورة ، عوقب كوكس وزوجته .

المرة الأولى التى اعتقل فيها وبينما كنت فى حالة من الإعياء البدنى لا يمكن وصفها كنت على درجة من التأهب النفسى جعلها تبدو لى « مألوفة » بل ومثيرة للحماس ، لم أشعر بالطبع « باستحقاقى » لها ، لذا عاهدت نفسى أن يكون كشف حسابى إيجابياً فى المرة القادمة حتى لا يثير لدى شعوراً بالذنب من هذه الجهة ولقد حافظت على العهد ..

لماذا ألقى القبض علىَّ بينما خصص قطار لحماية المناضلين اليساريين الآخرين ؟ عرفت بعدها أن البوليس السياسى المصرى هو الذى اتخذ قرار اعتقالى ـ خلافاً لما جرت عليه العادة حيث كان للانجليز اليد الطولى فى هذا المجال ـ على أساس من منطق بسيط : إن الألمان سيدخلون مصر ، ونحن فى نظرهم متورطون بسبب تعاوننا مع الانجليز كما أن اعتقال وتسليم شيوعى ـ يهودى علاوة على ذلك ـ يعد عربوناً عن حقيقة مشاعرهم تجاه الألمان ، كان هذا شرفاً كبيراً لى !

كان المعتقلون الآخرون ـ وبينهم عميل فرنسى بيتان Petain ـ مناضلين نشطين لصالح دول المحور ويتميزون بعدائهم الشديد للشيوعية والسامية ، وكان الاتصال الأول بهم مثيراً للقلق إذ اتفق الجميع على تصفية الحساب معى فى الليلة نفسها فلم يتم قبولى بأية غرفة ولكن هناك شخصين أتيا لنجدتى : أحدهما بارون روسى أبيض عرض علىَّ مشاركته غرفته بعد أن وجد فىَّ شخصا من وسطه ، أما الآخر ، وكان شخصاً ذا نفوذ ، فهو أمين سابق فى الحزب الشيوعى المصرى[17] « ! » أُقْصِىَ فى ظروف لا أعرفها حتى اليوم بواسطة الدولية الشيوعية فأصبح عميلاً ألمانياً ! لماذا أظهر تعاطفاً ؟ ربما لأننى أمثل بالنسبة له ماضياً لا يزال يشعر بالحنين إليه ؟ لست أدرى ولكنه ذهب إلى حد قبول انضمامى إلى مائدته وكانت لنا محادثات طويلة ناشدنى خلالها أن أتحول إلى الإسلام تحسباً لوصول الألمان الوشيك ، كان الإغراء شديداً إذ كنت فى هذه الفترة أتمنى أن « أتمصر » وبدا لى أن اعتناق الإسلام إحدى الوسائل لتأكيد « مصريتى » وكان ما أنقذنى من هذه الهفوة هو بالفعل خطر التقدم الألمانى ونفورى من أن يبدو الغرض من هذا التحول هو حماية نفسى .

كان هناك العديد من اليهود الذين يشعرون بالرغبة نفسها فتحول الكثير منهم إلى الإسلام ، وتعمقوا فى دراسة اللغة العربية وتناولوا الأكلات المصرية وحاولوا جادين تذوق الغناء والرقص والأفلام المصرية ، أمل أن يكونوا قد نجحوا فى هذا ، أما أنا فقد حللت المشكلة بطريقة مختلفة حيث أن العبرة هنا أيضاً بأفعال المرء وليس بماهيته ، فتحسين لغتى العربية مثلاً لم يكن مفيداً لأحد سواى بينما يعد وقف جهودى لتعلم الماركسية أكثر فائدة لزملائى وبلدى ، لن أصبح مصرياً إذن إلا بالنضال من أجل بلدى وشعبه : لا أزال مؤمنا بأننى سرت فى الطريق الصحيح .

---

(١٧) يقصد محمود حسنى العرابى السكرتير العام للحزب الشيوعى المصرى ٢٣ ـ ١٩٢٤ .

ولنعد إلى اعتقالى وهو بمثابة أول غوص لى فى واقع السياسة المصرية التى لم أكن أعرفها جيداً ، فهو قد أتاح لى إدراك أن المواطن المصرى الحق لا يمكنه قبول أية « مرونة » تجاه انجلترا ! وإذا كان هدفنا هو حقا النضال ضد المحور فكيف يمكننا الحصول على نتائج أفضل انطلاقا من الموقف المجرد : « انجلترا تقاتل المحور وينبغى مساعدتها » الذى يؤدى إلى نتيجة وحيدة ألا وهى حرماننا من اهتمام الرأى العام ؛ على العكس من ذلك بدا لنا أن الطريق الأفضل هو الانطلاق من موقف ثابت فى عدائه للامبريالية وتنمية أقوى حركة شيوعية يمكن إقامتها على هذه القاعدة ونشر الشعور بالاحترام والحب نحو الاتحاد السوفيتى ، وأعتقد أننا كنا على حق . ولكن كم من معارضة أثارها هذا الخط ! وكم من اتهام - « مرة أخرى » - لإثبات أننى انتهازى قذر إلخ .. صمدنا وأطلقنا على مجموعتنا التى سنعود إليها لاحقاً اسم « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » .

كان الحدث الآخر أثناء الاعتقال هو مشاركتى فى إضراب عن الطعام .

انتخبنا عضواً ونائباً سابقا عن الحزب الوطنى ممثلاً للمعتقلين ، لست أذكر ظروف هذا الانتخاب كما أننى لا أذكر اسم هذا العضو ولا سبب إبعاده عن مركزنا الذى أسفر عن قرار المعتقلين بالإضراب عن الطعام للمطالبة بعودته .

كنت قد اتخذت قرارى بالتضامن مع جميع المعتقلين حتى لو كانوا ينتمون إلى المعسكر المعارض لمعسكرى ، لذا سمحت لنفسى أن أنتقل مباشرة من صيام رمضان إلى الإضراب عن الطعام ، بينما لم يبدأ الآخرون الإضراب إلا فى اليوم التالى بعد وجبة حافلة بالطعام . كنت أصوم رمضان كالآخرين إذ أن المرء لا يعتد بكلامه إذا تحدث وهو شبعان إلى أناس خاوية بطونهم كما أن من اللائق احترام العادات الاجتماعية للوسط الذى يتواجد فيه الإنسان وبخاصة إذا كان فى هذه العادات ما يزعج ، وعلى الشيوعى أن يسلك سلوكاً مثالياً لأن هذا يخدم قضيتنا أكثر من الأحاديث الطويلة .

كان هذا الإضراب ناجحا ، على كل حال فيما يخصنى فهو أقصر - إذ لم يستمر سوى عشرة أيام - وأنجح إضراب فى حياتى .

كانت الظروف العامة مواتية ، فالألمان قد هزموا وعاد قطار الديمقراطية حاملاً إياهم إلى مصر ، والظروف العامة شرط هام يجب أخذه فى الحسبان عند الإعداد لإضراب ، والإضراب عن الطعام « كغيره من الإضرابات » التى يتشابه معها فى التكتيك ، يتطلب مراعاة بعض القواعد مثل عدم تعبئة كل القوى منذ البداية حتى لا تضعف بمرور الوقت .

ينبغى إذن البدء بأكثر العناصر عزماً مع الانضمام التدريجى للآخرين حتى تزيد قوة الموقف بدلاً من أن تضعف إلخ .. لم ينقص هذا الإضراب إلا « الإعداد » وهو أحد العناصر الرئيسية التى يجب توافرها مع التعبئة فى الخارج حتى يحتفظ بتأثيره ، إذ أن الإضراب عن الطعام هو السلاح الأخير فى يد المعتقل وينبغى ألا يضيعه . وهو - للأسف -

ما فعلناه فى النهاية ! عادة ما تتم التعبئة فى الخارج ببطء ولكن هذا لم يكن مهماً فى حالتى لأن الخارج بالنسبة لى هو العائلة التى تحركت على الفور فتدخلت لصالحى تعزيزات قوية حالت دون إصدار قرار اتهام ضدى .

إن العزيمة هى العنصر الأساسى لإنجاح الإضراب عن الطعام ولم يكن هناك شك فى إصرارى على المضى « للنهاية » : لن أذكر الضغوط التى مورست علىَّ لحملى على قطع هذا الإضراب ولكن فى المستشفى حيث نقلت ، قيل لى حين طالبت بإطلاق سراحى : « النحاس باشا يقول لك إنه سيطلق سراحك إذا توقفت وينذرك أنه لن يفعل إذا استمررت إلخ .. » ولكننى صمدت ..

أطلق سراحى وتم وضعى إدارياً تحت المراقبة فكان علىَّ ألا أغادر منزلى منذ الغروب إلى الشروق ، وقد اتخذ هذا الإجراء لسلب المجرمين فى نظر القانون العام القدرة على الإيذاء إذ أن المعروف أن هؤلاء يتحركون ليلاً ، وهو يعتبر امتحاناً كبيراً عانى منه سنين طويلة رفاقى الذين تعرضوا له ، فالاستيقاظ فجأة عدة مرات بالليل ليس دائماً بالأمر المحتمل وهو قاس فى كل الأوقات ، أما أنا فلم أتأثر به على الإطلاق لصلتى الوثيقة بامتيازات البورجوازية الكبيرة .

كان أحد رجال البوليس يمر مرتين أو ثلاثا للاطمئنان ، وكان مدركاً تماماً لوضعه فهو لانبهاره من مظاهر البذخ المحيطة لم يكن يجرؤ على الدخول من الباب الرئيسى ، وكان يدخل من الباب المخصص للخدم حيث تتم مقابلته فى غرفة الخدمة فيقدم له شىء من الطعام مع أجر بسيط ثم ينصرف بعد التوقيع فى سجل التفتيش ، غادرت فى النهاية منزل والدى إلى المنزل الذى أقيم فيه مع زوجتى ولكن رجل البوليس رابط الجأش ، استمر فى المرور على الفيلاّ ثلاث سنوات أى حتى انتهاء الأحكام العرفية ومن المؤكد أنه استاء بعدها كثيراً لفقد هذا المورد من الرزق .

شدت فترة الاعتقال أزرى من كل النواحى واستأنفت جهودى لتكوين حركة شيوعية مصرية بعزيمة أكبر من ذى قبل ، وأخذت بعض المواقف تتضح شيئاً فشيئاً :

* المضمون المعادى للامبريالية كمحور لنضال الشيوعيين .
* الموقف من السودان .
* الحياد الدينى .

كنا فى طريقنا للإعداد لهدفنا الرئيسى وهو بناء الحزب الذى أصبح حديث الكثيرين ، ولكن أحداً غيرنا لم يعطه مضموناً فعلياً ، فمعظم الشيوعيين حتى سنة ١٩٤٣ ينظرون لتأليف الحزب على النحو التالى : تكوين مجموعة من الشيوعيين المخلصين والصادقين والأحسن إعداداً من « الآخرين » ، وتتويج هذه المجموعة باعتراف من الدولية الشيوعية . وأنا اليوم أكثر تفهماً لهذا الموقف الذى ينظر إلى الأحزاب الشيوعية على أنها

« أقسام » من الدولية الشيوعية التى تعد الإدارة الحقيقية لها بصفتها الهيئة التى تحدد للأحزاب خطتها وتكتيكها كما تقوم بتصحيح الأخطاء التى قد تحدث إلخ .. من هنا يتضح أن إنشاء « قسم » أكثر سهولة من تأسيس حزب . ولكن مفهومنا الذى أكده لنا عمل الدولية الشيوعية مختلف تماماً ، فنحن نرى أن الحزب هو طليعة الطبقة العمالية ، وليس من الممكن اكتساب هذا الاسم بغير انضمام جميع العناصر العمالية الطليعية إليه ، ومن هنا كانت المهمة التى أسميناها « بناء» الحزب والتى رأينا تنفيذها على مراحل .

ولكنها ليست مهمة لمناضل واحد أو مجموعة صغيرة ، بل هى مهمة للحركة الشيوعية المصرية التى يتعين البدء بها ، وهى أيضاً مهمة معقدة بطريقة غريبة ، إذ أنها تتطلب مناضلين ثوريين من الجماهير الشعبية لا من المثقفين ، كما أن هؤلاء المناضلين ينبغى أن تكون لهم « رسالة » ، وكان هذا الأمر على درجة من البساطة على الصعيد الاجتماعى حيث يجب التركيز على أن معاداة الامبريالية - وهو ما نتفق فيه ظاهريا على الأقل مع تكوينات سياسية أخرى - ليست الرسالة الوحيدة للحركة المصرية للتحرر الوطنى : المجموعة الوحيدة التى تخاطب مناضلين لا يمكنهم الاستغناء عنها لأنها مجموعة ذات رسالة اجتماعية حقيقية .

كانت الصيغة بسيطة :

« الفقر ، الجهل ، المرض » هذه الأوبئة الاجتماعية الثلاثة :

— ليست حتمية .

— لا يمكن القضاء عليها فى إطار نظام رأسمالى يضيف إلى عدم عدالة التوزيع عجزه الواضح عن زيادة الإنتاج بدرجة كافية لتصفية هذه الأوبئة .

— لا يمكن القضاء عليها إلا فى ظل نظام اشتراكى على غرار ما حدث فى الاتحاد السوفييتى .

— إن تاريخ المجتمعات يجعل من قدوم المجتمع الاشتراكى أمراً حتمياً .

سيقال إن كل هذا ليس مبتكراً ! ولكنه واضح ومقنع ، وقد أثبتت التجربة أن هذا كافٍ .

من جهة أخرى كان علينا تحديد خبراتنا « السياسية » من أجل التقدم فى مجال غير مألوف لنا وهو مجال التنظيم ، أعنى التنظيم السرى ، الذى كان نقطة ضعفنا .

فى بداية « نشاطى » استدعانى عمر « بك » حسن مدير « القسم المخصوص » .. (ضمنياً لمكافحة الشيوعية) الذى يتحدث الروسية ، وهو قد تم إعداده مع سليم زكى « باشا » - رئيس البوليس فيما بعد . الذى يتحدث الروسية[18] هو الآخر على يد

---

(١٨) هذه المعلومات غير صحيحة . فكل من عمر حسن وسليم زكى تدربا على يد الانجليز وليس الروس ، ولم تكن اعمارهم - عندئذ - تنبىء بانهم ادركوا الاوكرانا ، اللهم إلا إذا كان تدريبهم قد تم فى مرحلة الطفولة .

وإيجابياتها ـ ركنا من أركان تاريخ مصر المعاصر ، من حق الأجيال التى لم تعشه أن تتعرف عليه ، وأن يكون لها حكمها الخاص عليه .

والله والوطن من وراء القصد .

القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٩٨٧ .

د . رءوف عباس

الأوكرانا القيصرية : البوليس السياسى الرهيب التابع للقيصر ، وقال لى :

« إننى أقدر أسرتك كثيراً وأعرف « مثاليتك » ، وأنا أعمل منذ عشرين سنة بهذا المكتب « وتحت يدى » جميع الشيوعيين : إن عملائى يحيطون بكم ! تعقل وكرس نفسك للنشاط الاجتماعى » حقيقة كان المخبرون وقتئذ أكثر عددا من المناضلين ..

لم ينل هذا من عزيمتنا وقررنا مواجهة الموقف بوعى فأنا لست من المؤمنين « بالقوة غير المحدودة » للبوليس السياسى ولكنى أومن بالإعداد « الكافى » أو بعدم الإعداد للمناضلين ، وإلى الآن لم أقابل استثناء واحدا لهذه القاعدة : إن الفشل والاعتقال يرجعان لا إلى التقدم « الفنى » أو القدرات الفائقة للبوليس ، بل إلى تخلف الشيوعيين أنفسهم ، وليسأل هؤلاء أنفسهم بأمانة عن « تجاوزاتهم » غير المعقولة لأبسط قواعد الأمن والتنظيم .

بدأنا إذن بوضع هذه القواعد وهو بداهة أسهل كثيراً من تطبيقها ، ولكن يجب ألا ننسى أننا لم نتلق إعدادا ، وأن اكتشاف القواعد الأولية ، وهى أهم القواعد ، يطلب منا جهوداً كبيرة ، وقد أدى تناولنا الجدى للأمور إلى النجاح فى تطبيق هذه القواعد بطريقة لائقة ، وإحاطة عملنا « بالهامش الأمنى » اللازم لازدياد نشاطنا على الأقل خلال الفترة التى امتدت حتى سنة ١٩٤٧ ، كما ساعد إعداد اللوائح على تحديد المشاكل التنظيمية وكانت أولى هذه المشاكل هى اختيار الاسم ، وهى مشكلة حلتها على طريقتها كل من المجموعات الأخرى سواء بعدم اختيار اسم أو باختيار « اسم مستعار » مثل مجموعة « الديمقراطية الشعبية » التى تدعى غير ذلك وترى أن خداع الرأى العام حيلة جيدة !!! هناك أيضاً الأسماء الموجهة « للمبتدئين » : إسكرا Iskra مثلاً ، ما الذى يعنيه هذا الاسم أو ترجمته العربية لغير الشيوعيين ؟

وقفنا فى اختيارنا للاسم عند اقتراحين فقط :

١ ـ الأول هو اتخاذ اسم « الشيوعية » المجيد بشكل ما، ولكننا تراجعنا لثلاثة أسباب :

* السبب الأول : يتعلق بالأمن فهذا الاسم يعرضنا للهجوم لأن الشيوعية « خارجة على القانون » .

* السبب الثانى : وهو أهم من الأول ، هو أن هذا الاسم يؤدى إلى الحكم علينا لا من خلال حقيقتنا أو أهدافنا الحقيقية بل انطلاقاً من أفكار مسبقة غير معقولة أدخلتها فى العقول دعاية مستمرة تصور « الشيوعية » على أنها المرادف لأكثر المباذل شذوذاً .

* ويتعلق السبب الثالث : وهو أهم الأسباب جميعاً ، بما تنتظره الطبقة العمالية والجماهير المصرية من الشيوعيين ، إذ يعنى هذا الاسم بث الاعتقاد فى النفوس بأننا قادرون على أداء دور قيادى : دور الحزب الطليعى بينما نحن لم نزل فى المرحلة الأولى من بنائه .

وقد حدث آنذاك إجماع على هذا الرأى ، لذا كان الشباب المثقف [١٩] الذى تم « إعداده » من خلال المناقشات داخل الحزب الشيوعى الفرنسى ـ لا عن طريق النضال فى بلاده ـ على خطأ حين خرج عن الإجماع فى هذا الشأن وألف « حزبا شيوعيا مصريا » فاختيار هذا الاسم وإن كان حسنة لا جدال فيها ، إلا أنه يعد غلطة سياسية عميقة ، الذنب الأول فيها هو خداع الجماهير (ولم يكن ـ للأسف ـ الخطأ الأخير فهم لم يتركوا خطأ إلا وارتكبوه) .

٢ ـ ولنعد إلى مسألة اختيار الاسم للمجموعة التى كنا بسبيل إنشائها : اتخذنا قرارنا بأن يكون الاسم معبرا عنا وعن هدفنا فوقع اختيارنا على ما يلى :

* حركة : لا حزب للإشارة إلى أننا لا نزال فى البداية .
* مصرية : لأن التمصير يجب أن « يتم » وسنرى أنه تحقق مع ميلاد المجموعة .
* تحرر وطنى : فالتحرر الوطنى هو المهمة التى حددناها لأنفسنا حتى فى ذروة نضالنا ضد النازية والتى تعبر عن نشاطنا المعادى للامبريالية ، وبالإضافة إلى هذا هناك الوقع الاجتماعى الذى لا يمكن إنكاره لمفهوم التحرر .

هاهو العرض الملخص للطريقة والسبب اللذين تم بهما اختيار اسم « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » ؛ هناك ملحوظتان أخريان فيما يتعلق بالاسم :

الأولى : وهى أنه عند وحدتنا مع « إسكرا » تم بناء على اقتراحى اختيار كلمة « ديمقراطية » بدلا من « مصرية » التى فقدت مع تأليف المجموعة الجديدة سبب وجودها مع الحفاظ على اسمنا السابق : لقد أصبح اسمنا ـ أكثر من أى وقت مضى ـ هو رايتنا فالتحرر الوطنى والنضال من أجل الديمقراطية هما المهمتان اللتان حددناهما لأنفسنا .

الملحوظة الثانية : هى أن اختيار الاسم لمجموعة ما ، لا يعنى بالضرورة ظهورها به فور اختياره ، فقد أصدرنا منشورنا الأول (نكاد نكون مجبرين كما سنرى لاحقا) فى سنة ١٩٤٥ بينما اختير الاسم فى سنة ١٩٤٣ .

واجهتنا أيضا بقية اللوائح بالعديد من المشاكل :

ما شروط دخول المجموعة ؟ من يكون داخل وخارج المجموعة ؟ كان هذا على درجة من الأهمية وخاصة أن عدد الشيوعيين فى تزايد : أعنى هؤلاء الذين كانوا حينئذ يعتبرون أنفسهم كذلك ، هل سيصبحون أعضاء من « تلقاء أنفسهم » وبعضهم معروف بل و « شهير » وسبق له دخول السجن ؟ هل سنتركهم جانبا ؟ هل هذا من حقنا ؟

---

(١٩) يقصد د . فؤاد مرسى ود . إسماعيل صبرى عبد الله اللذين اسسا تنظيما حمل اسم « الحزب الشيوعى المصرى » ، عام ١٩٥٠ ، عرف فى اوساط الحركة الشيوعية المصرية باسم « الراية » ، وهو اسم الجريدة التى اصدرها الحزب .

هاكم الطريقة التى عملنا بها :

أولاً : « غيرنا الوسط » ، غادرنا « عالم الشيوعيين » المعروفين والمكشوفين الذين لا يعرفون للنظام معنى ، ولا يرغبون فى دخول « ثكنة » ! هذه هى الكلمة التى استخدمها لينين للإشارة إلى نظرة العديد من المثقفين للحزب ؛ « نزلنا » (اعذروا جرأتى فى استخدام هذا اللفظ فالأولى أن أقول « صعدنا ») إلى الجماهير العديدة داخل هذا المحيط الحقيقى الذى لا يمكن للبوليس أن يعرفه جيداً وبالتالى لا يمكنه التحكم فيها ؛ هذا « النزول » يمكن أن نقول إننا نجحنا فيه فى حدود متطلباتنا المتواضعة فقد عدنا منه بعدد من المناضلين يعدون من أكثر المناضلين الذين عرفتهم مصر صدقا فى ثوريتهم ، والذين يفخر بهم أى « حزب » لم يزد عددهم على العشرين ، فنحن لم نكن قادرين على « استيعاب » عدد أكبر ، ومع هذا فقد أنشأنا الحركة الشيوعية المصرية بهم .

كان العثور عليهم هو المرحلة الأولى ، ويليها بعد ذلك الإعداد الذى كان أيضا مغامرة مثيرة : مدرستنا الأولى للكوادر ، لقد كانت مغامرة حاسمة .

تمت تسوية المشاكل المادية بسهولة بفضل إمكاناتى « البورجوازية » مرة أخرى حيث كان مقر مدرسة الكوادر الأولى « السراى » وهو بيت ريفى كبير يقع فى مزرعة واسعة يمتلكها أبى وأتولى إدارتها .

ضمت المدرسة خمسة عشر مناضلا استمر تدريبهم خمسة عشر يوما على ما أذكر ، وكانوا من العمال والطلبة الفقراء ـ بينهم أزهرى واحد على الأقل ـ و « صغار البورجوازيين » ، الأحرى أن أقول « صغار » بدون برجوازيين .

ماذا تعلموا ؟ لقد نقلنا إليهم كل مانعرفه تقريبا . أولاً : من المقصود بـ « نحن » ؟ مجموعة صغيرة جداً لا تزيد على ستة أو سبعة أشخاص من المثقفين بالطبع ، وقد نجح معظمهم فى حياتهم العملية وأصبح أحدهم وزيراً ![20] كانوا جميعا مخلصين ، متواضعين ، راغبين فى نقل معلوماتهم بطريقة بسيطة ومباشرة للغاية وكذا فى « نقل الشعلة » بقدر إمكانهم إلى من هم أقدر على حملها مدة أطول ومسافة أبعد ؛ إننى أذكرهم بمودة عظيمة فرغم طريقهم اللامع فى الحياة لم يركن أحدهم أبداً « للخيانة » .

عاش الدارسون حياة بسيطة وزاهدة فى ظروف مادية شديدة التقشف وجو معنوى غير عادى ، وقد ترجم أحد المرشدين « النشيد الأممى » بقدر كبير من الدقة والفن ، وكان سماع هذا النشيد بالعربية من مناضلين صادقين قاموا على الفور « باتخاذه نشيداً لهم » مكافأة أكبر من كل الجهود التى بذلناها .

---

(٢٠) تولى التدريس بهذه المدرسة هنرى كورييل ، وجوماتالون ، ودافيد ناحوم (من العناصر البورجوازية اليهودية) ، بالإضافة إلى ثلاثة من ابناء البورجوازية المصرية هم : طاهر المصرى ، واحمد التونى ، وزكى هاشم ، والأخير كان وزيرا للسياحة لفترة قصيرة فى عهد انور السادات .

كانت مهام التدريس أكثر تعقيداً بالطبع فالمقرر « غير منسق » ، وإن كنت لا أستطيع تذكرة إلا أننى أعرف أنه يضم بعض العناصر عن مصر : مواردها وبؤسها ، مع تحليل أولى ـ على الأرجح ـ للطبقات بها ، ومبادىء عن الاقتصاد السياسي والفلسفة الماركسية : نص ستالين الشهير عن « المادية الجدلية والمادية التاريخية » ، مبادىء عن تاريخ الحزب الشيوعى البلشفى بالاتحاد السوفييتى وإنجازات الاتحاد السوفييتى فى جميع المجالات : القضاء على البطالة ، المساواة بين الجنسين ، التعليم للجميع الخ .. كل ما يبدو خرافيا وما تم اكتسابه بفضل أكبر جهود بذلها شعب من الشعوب فى ظل ظروف كثيرا ما بلغت فى صعوبتها حد القسوة .. ولأتوقف هنا ، فأنا كلما فكرت فى الاتحاد السوفييتى أتحول إلى شاعر .

ولنعد إلى مدرسة الكوادر : أقيمت المدرسة حوالى أكتوبر سنة ١٩٤٣ ، ولم يداخلنا شك فى أنها علامة على الميلاد الحقيقى للحركة الشيوعية المصرية حيث « استوعب » الماركسية مثلنا ، مناضلون من الجماهير الشعبية استعدوا لأخذ مكاننا ، كانوا بالطبع يعترفون لنا بالجهود التى قمنا بها ، وكنا نحس بحبهم واحترامهم لنا ، فهم يولوننا ثقتهم وينوون على الاحتفاظ بنا إلى جانبهم لا التخلص منا ، ومع هذا فقد أصبحوا هم الشيوعيين من الآن فصاعدا ، أما نحن فكنا فى ذروة السعادة لأننا أقرب الأصدقاء إليهم .

كنا قد اتفقنا أن التنظيم الشيوعى يمر بسلسلة من المراحل وإن لم نتفق على مغزى ولا مضمون هذه المراحل :

فى أول مراحله يعمل الحزب ـ فلنسمه هكذا لتبسيط الأمور ـ « من الداخل » ، وقد اختلفنا على معنى هذا العمل حيث يرى أكثر « منافسينا » جدية أنه يرتكز بصفة خاصة على الإعداد النظرى ؛ أما نحن فكانت لنا رؤية مختلفة .

ولكنى أولاً أود توضيح نقطة : فى كتابه « تاريخ المنظمات اليسارية المصرية » يزعم رفعت السعيد ـ « لتبرير » الدور الذى قام به « الأجانب » فى إنشاء الحركة الشيوعية المصرية ـ أن البوليس السياسي لم يكن يهتم بهم بينما تشل رقابته حركة الشيوعيين المصريين ، وسأثبت خطأ هذا الرأى .

أثناء بحثنا عن مناضلين « ذوى خبرة » ، أحطنا بكل « قدماء » الشيوعيين وبخلاف عصام حفنى ناصف الذى طالب كشرط لاشتراكه بتعيينه أمينا عاما ولم نكن مستعدين لقبول « شرط » كهذا ، ويانا كاكيس Yannakakis تاجر الإسفنج الشهير الذى كرس نفسه للعمل بين مواطنيه اليونانيين ، انضم إلينا جميع من توجهنا إليهم من الآخرين وناضلوا معنا أى كان بوسعهم النضال ، وهم الذين دخلوا الحركة المصرية ولسنا نحن الذين أصبحنا أعضاء فى مجموعتهم ؛ وأود ذكر بعض ممن أتذكرهم بصفة خاصة : الدكتور عبد الفتاح القاضى : تحدثت عنه كناشر ومحرر للمجلة الألمانية التى أصدرتها

الحركة المصرية لأسرى الحرب الألمان (الرجوع إلى ما سبق) ، وقد عمل كثيرا فى ترجمة الكتب النظرية ونشر المجلات الداخلية التى سأتحدث عنها لاحقا ؛ ظل عبد الفتاح القاضى لفترة طويلة عضوا فى لجنتنا المركزية إلى أن صده أخيرا المعدل السريع لاجتماعاتنا الليلية التى تستمر طوال عشر ساعات من الساعة السادسة مساء حتى الرابعة صباحا فضلا عن عمله صباحا .

هناك أيضا « الدكتور » حسونة المسئول عن مجموعة الأسكندرية ، وهو فى الواقع طبيب أسنان على درجة عالية من التعليم ، وإن كان أقل « ثقافة » من الدكتور القاضى ، وقد تولى الإشراف على مشاكل الطباعة السرية : مجموعة « الكتب الخضراء » ، المنشورات إلخ .. والشيخ صفوان ، وعبد الرحمن فضل الذى أصبح شهيرا بسبب منعه من دخول مصر عند عودته من الاتحاد السوفييتى فظل لشهور طويلة جوالا لا يرسو فى مكان ، و « كواء » لا أذكر اسمه .. انضم هؤلاء جميعا إلينا وقاموا بعمل هام بالرغم من معرفة البوليس بهم جيداً ، وقد مات جميعهم للأسف ، وإننى أتمنى أن يتولى إنسان ما ، جمع كل الذكريات التى يحتفظ بها عنهم البعض منا لإحياء ذكراهم كما آمل ألا يتخذ المناضلون « الجدد » الذين يبحثون بجدية عن الخبرة الناقصة لديهم ، موقفا مزدريا من « القدماء » إذا كان هؤلاء لا يريدون التعاون مع مناضلين « ارتكبوا أخطاء » فإن هذا يعنى الادعاء غير المعقول بعدم ارتكابهم أخطاء لأن الوحيد الذى لا يخطىء هو من لا يعمل ، على حد قول لينين ، كما أن موقفهم المزدرى للعطاء القليل إنما يعنى فى الواقع عدم التمسك بالثورة ، ونحن الذين كنا على استعداد للزحف تحت أقدام من يتيحون لنا التقدم خطوة واحدة فى أي مجال !

أخذت مجموعتنا إذن فى الاتساع بعض الشىء ، وقد تألف - إن صح القول - « العمود الفقرى » الثورى فى المرحلة الأولى من عمال الجيش بقيادة سيد سليمان رفاعى الذى يستطيع المساهمة فى تاريخ حزبنا بكتابة مذكراته ، وآمل أن يحذو حذوى ؛ ينبغى أيضا نشر المعارك التى قادها هؤلاء العمال المتعلمون والمؤهلون ، وهم بحق صفوة الطبقة العمالية فى مصر ومعاركهم جديرة باحتلال مكان مشرف بين معارك الطبقة العمالية فى العالم .

إننى أذكر جيداً - مع كثرة الأشياء التى نسيتها - التقرير الذى قدمته إلى اللجنة المركزية ، بعد دورة مدرسة الكوادر وهو « خط إعداد الكوادر » ؛ قوبل التقرير بحرارة وبخاصة من الأعضاء الجدد باللجنة المركزية ، فلقد كان معبرا عن المطلب الرئيسى للمرحلة التى نمر بها : إذا كان هدفنا الأساسى هو « بناء الحزب » فإن الحلقة الرئيسية فى هذا البناء هى « إعداد الكوادر » الذى نجحنا فيه بقدر معين ولفترة ما ، والدليل على هذا هو رأى « منافسينا » : يالهنرى من شخص مزعج ! لم تكن الأوصاف بهذا اللطف - للأسف إن كوادر الحركة المصرية لا مثيل لهم ؟! ومن الأخطاء الكبرى التى ارتكبناها عدم

الانتباه إلى توقف عملية « إعداد الكوادر » بينما تتطلب الزيادة السريعة في التنظيم عددا متزايدا من الكوادر الجديدة ، وربما كان السبب فى المقاومة غير الكافية التى واجهت بها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى حملات الشرطة فى مايو سنة ١٩٤٨ هو هذا التفاوت المستمر بين عدد الكوادر الموجودة وعدد الأعضاء ، وبالإضافة إلى هذا فإن كوادر الحركة المصرية ـ لانغماسهم بالكامل فى النشاط العملى ـ لم يتطوروا باتساق فى جميع النواحى اكتفاء بتطورهم من خلال المشاركة فى المعارك الحادة التى قدناها ، وسنرى أن اجتماعات اللجنة المركزية **للحركة الديمقراطية** خلال الفترة الطويلة للصراع الداخلى لا تشغلها مهام الإدارة الفعلية للعمل فضلا عن محاولة التحليل الواعى والهادىء للوضع ، وقد كلف هذا « الانحراف » الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى غاليا ، ولكننى أشك فى وجود تحليل كافٍ لهذه الظاهرة . أقول هذا لأن اجتماعات اللجنة المركزية بالحركة المصرية ساهمت فى إعدادنا : كانت المشاكل كلها تطرح وتناقش بعمق ، على سبيل المثال تحليل الوضع السياسي للبلد الذى سنتحدث عنه عند ذكر أحداث سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ ، وهو تحليل لم تقم بمثله الحركة الديمقراطية كما أننا قمنا وحدنا فى مواجهة الجميع بتحليل لضرورة المد الثورى فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ بالتحديد ، على أننا لم نكتشف ولم نتصور الهجوم المتطور للرجعية فى منتصف سنة ١٩٤٧ تقريبا . لذا كانت الإجراءات التى اتخذناها لمواجهته سطحية أو على أية حال غير كافية ؛ ولا أذكر أننا تناقشنا مرة واحدة حول ما قد يحدث فى ١٥ مايو : الحرب ، إعلان الأحكام العرفية .. فكان « الإجراء » الحازم الوحيد هو توجيه « النصح » للقادة بتغيير أماكن إقامتهم ؛ لم يكن مدهشا إذن نجاح الهجوم الرجعى مع هذا النوع من الإعداد ، ولنا عودة لكل هذا .

لا نزال حتى هذه اللحظة فى الحقبة التى تلت « فترة التكوين الأولى » وهى المرحلة الأولى فى بناء الحزب ، تلك المرحلة التى يعمل فيها الحزب من الداخل فينشىء كوادره ويحدد أسلوب العمل وتجارب التنظيم والوسائل الفنية ، ويحلل واقع البلد تحليلا ماديا وليس مجرداً : إلى أين وصلت بالفعل كل من القوى الاجتماعية التقدمية ، والمحافظة والرجعية ؟ ما درجة نضوجها الفعلى ؟ ما هو بالضبط التأثير المتبادل بين هذه القوى ؟ إلخ إلخ .

من أكثر دراساتنا خصوبة تلك الدراسة التى أسفرت عن إدراكنا بأن القلب الثورى المصرى للطبقة العمالية ينبض بشبرا الخيمة : ياعمال شبرا ، هاهى المناسبة للانحناء لكم ولقائدكم المحبوب والمحترم محمد شطا القائد بلا منازع الذى أنشأ « مجالس المصانع » قبل ثلاثين عاما من تشكيل « اللجان العمالية » بأسبانيا والذى قاد المعارك المثالية الجديرة بأن يذكرها التاريخ .

ساعدت مجموعة من العناصر الموضوعية التى أدركناها جيداً على حب عمال شبرا للنضال :

* ضخامة الطلب وارتفاع الأسعار حيث أوقفت حالة الحرب الاستيراد الخارجى ، كان إذن من صالح أصحاب العمل شديدى الجشع الاستجابة لمطالب العمال إذ أن الخسارة فى حالة الإضراب مرتفعة للغاية .

* على العكس من هذا كان الموقف فى المحلة التى لم يكن بها سوى مصنع كبير واحد ، وكان الطرد منه يعنى إما الاغتراب إلى القاهرة مثلا أو العودة إلى الأرض ؛ أما فى شبرا حيث المصانع العديدة ـ كان البعض منها مجرد ورشة بسيطة ـ وحيث تنقص الأيدى العاملة المؤهلة كان من السهل أن يجد العامل المطرود بسبب نشاطه مكانا آخر للعمل .

كانت الظروف إذن مواتية وأعطت جهود شطا ثمارا أخرى ولم تقتصر على انتصار المطالب ، ففى وقت بسيط أصبح عدد كبير من عمال شبرا شيوعيين وأى شيوعيين ! أتذكر بيانا لى عن « الأجر ، السعر ، الفائدة » ، يصف هذا البيان ميكانيزم استغلال العمال وكان عمال النسيج الذين يستمعون إليه يفهمونه بصورة أفضل منى ، فهم يعيشون هذا الاستغلال وبإمكانهم حساب معدله بدقة .. لقد كان الأمر جليا بالنسبة لهم ، من هنا كان انضمامهم الفورى والنهائى .

أحسست هذا الإحساس « بالحب من أول نظرة » . مرة أخرى أود أن أرويها هنا : فى سنة ١٩٤٧ تم القبض علىَّ واعتقالى فى سجن الأجانب فى ظروف سأعود إليها ؛ قابلت فى السجن معتقلا آخر ، وهو قاطع طريق قادم من الريف ، قتل عدداً لا أذكره من الأفراد وإن كنت أظن أن الإحصاء شمل أكثر من عشرة ، ولكن أحداً لم يُشهد ضده لما يثيره من خوف ورهبة ؛ هذا السجين أدين له بفهمى المادى لمعنى النضال الفورى التلقائى فى الريف حيث يأخذ هذا النضال شكل « قطع الطريق » لعدم قيام الطبقة العمالية بقيادته كما أدين له أيضا بمعرفتى باحتياج الفلاحين إلى « تجسيد » طموحاتهم فى صورة أشخاص « يفوضون » إليهم أمرهم وينقادون إليهم بلا تبصر على أن تكون لهم جميع المزايا : إنه شكل من أشكال « عبادة الشخصية » .. ولنعد إلى « قاطع الطريق » الذى كانت لى معه مناقشة قصيرة : كلمته ، وإن لم أحسن التعبير لعدم كفاءتى فى هذا المجال ، عن مبدأ « الأرض لمن يزرعها » ، لم أر فى حياتى رد فعل أسرع من هذا فقد نادى السجانين ، وكان أطول منهم قامة ويثير فى نفوسهم الرعب ، وقال لهم مأخوذا بحق : « لقد وصل المهدى ! » عبثا حاولت أن أشرح له أن هذه المواقف ليست شخصية وأنها مواقف يتبناها حزبى وكل الشيوعيين فى العالم .. تم الفصل بيننا على أننى أظن أن قاطع الطريق هذا كان بإمكانه أن يصبح تشابايف Tchapaiev . مصريا بحق .

ولنعد إلى عمال شبرا الخيمة الذين يعرف عنهم الجميع أنهم رمح الحركة الوطنية فى سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ فهم القوة الأساسية لمظاهرات الجماهير حيث كان قادتهم هم المحركون الرئيسيون « للجنة الطلبة والعمال » ـ والأجدر تسميتها « لجنة العمال

والطلبة » ـ ومصر مدينة لحبهم للقتال وللتضحيات التى بذلوها فى قيادتهم للجماهير بأول انتصار ثورى تحقق بعد الحرب وهو الجلاء عن وادى النيل المحتل منذ سبعين عاما .

إن كتابة ملحمة عمال شبرا مهمة لمحمد شطا الذى لم يتوقف دوره الوطنى عند حد قيادة عمال شبرا أو عمال النسيج بصفة عامة بل امتد إلى « لجنة الطلبة والعمال » وإلى اللجنة المركزية للحركة المصرية التى كان عضوا بها ، ثم الحركة الديمقراطية بعدها ؛ إن محمد شطا أحد أساتذتى وكان يقول لى أحيانا : « ليس فى مقدورى الرد على حججك ولكنك مخطىء مع هذا » ، وكان على حق .

ولكن الوقت لم يتح لنا للذهاب أبعد من ذلك .

أخذنا فى العمل بجدية « لتحويل » الحركة المصرية إلى حركة « عمالية (بروليتارية) شبراوية » ، وصعد عمال آخرون من شبرا إلى اللجنة المركزية بالحركة المصرية .

إن تحويل التكوين الوطنى أو الاجتماعى لهيئة ما ليس بالعملية الميكانيكية ، إنه تحول حقيقى ينبغى إجراؤه ، لذا يجب النجاح فى العمل على ألا يشعر العنصر الجديد بالاغتراب أو بأنه فى « ضيافة الآخرين » ، بل يجب أن يشعر أنه « فى بيته » وأن « الآخرين » هم الذين « فى ضيافته » ، يجب أن يمر سريعا من « أنتم » إلى « نحن » ؛ صدقونى ليس هذا بسيطا وبخاصة أن القادة الجدد لا يتم اختيارهم بواسطة زملائهم الذين لم يصلوا للقيادة بعد وإنما بواسطة الآخرين ؛ كيف ينبغى لهذا الاختيار أن يتم ؟ ليس تبعا للمعايير الخاصة « بنا » ، وهى درجة الإعداد والحكم على القيم ، بل يجب أن يتم على أساس وجهة نظر الآخرين : العنصر العمالى الطليعى هو العامل الذى يعتبره زملاؤه كذلك ، سواء فى المصنع أو فى المهنة ، وإذا كان هذا العامل محترما من زملائه فإن هذا بالضرورة يعود إلى :

* أنه يجيد النصح ومن الطبيعى التوجه إليه عند مواجهة صعوبة .
* أنه يهتم بالآخرين أكثر من نفسه : هذا الإخلاص لزملائه ، الإخلاص الذى سيكرسه سريعا للطبقة العاملة كلها وللمصالح العميقة لشعبه ، هو قوام شخصية العامل الطليعى .
* وأخيرا أنه لم « ينتظرنا » ليبدأ النضال فالمعرفة بقوانين الماركسية لم تكن هى ما جذبه للنضال ، بل إنه هو الذى قاد النضال على الفور من أجل زملائه وطبقته وشعبه ، وعندما « قابل » الماركسية وجد فيها ما يبحث عنه بكل روحه وقواه : المغزى العميق لقتاله والسلاح القوى الذى سيمكنه من القتال بفعالية أكبر وهما تجربة كل الذين ـ من قبله ـ قادوا المعركة نفسها فى العالم أجمع ؛ يالها من حقيقة مثيرة للحماس : إنها حقا المعركة ذاتها !

ولكن الوقت لم يتح لنا ، كما سبق أن قلت ، لإعداد عدد كافٍ من عمال شبرا ككوادر فقد عرقلتنا عن هذا الإعداد الوحدة التى ينبغى تحقيقها ، وكنا نظن تراجعنا مؤقتا ولكننا للأسف لم نستطع استئناف جهودنا فى هذا الاتجاه ، إذ يبدو أن المشاكل الداخلية شلتنا :

كنا نعمل بجدية فى كل الاتجاهات ، ونشرت الحركة المصرية دوريات داخل الحزب لحل مشاكل التكوين الداخلى : « الوعى » وكانت بمثابة « لسان حال نظريتنا » ، وأخرى لا يحضرنى اسمها عن الاتحاد السوفييتى ، والثالثة واسمها « الكادر » مركزة على مشاكل التنظيم .

أما على الصعيد « الخارجى » فكما قلت لم نكن قد ظهرنا بعد كتنظيم وكنا على حق فى هذا الموقف المطابق للنظرية الماركسية اللينينية عن البناء المرحلى للحزب الثورى ، ولكن هذا لم يكن يعنى على الإطلاق أن مناضلى الحركة المصرية قانعون « بدراسة الماركسية » كما يحدث لدى « آخرين » .

لم يكن بالطبع كل المناضلين صادقين فى ثوريتهم ، إذ انضم بعضهم إلى تنظيمات أخرى « أكثر جدية » و « أفضل تنظيما » من وجهة نظرهم لعدم استطاعتهم مجاراتنا ، وأصبح بعضهم أشد الأعداء ضراوة ، كما ألف آخرون « تنظيماتهم الخاصة » التى يشعرون فيها أنهم « فى بيوتهم » .

ولكن هؤلاء لم يمثلوا إلا أقلية ، وكنا نرى فى موقفهم تأكيدا لصحة خطنا الثورى فنكتفى ، حتى لا نرثى كثيرا لفرارهم ، بذكر جملة لينين عن « أولئك الذين ينقلبون بعرباتهم عند المنعطفات » ؛ وكنا فى أحيان أخرى نتنفس الصعداء لتخلصنا من هذا « الثقل المعوق » بحق ، ولا أذكر أننى أو أننا ـ مجموعة كوادر الحركة المصرية ـ رثينا حقا لمغادرة هؤلاء التى هى فى الواقع بمثابة سقوط الأجزاء الفاسدة فى التنظيم .

كان العمل « خارج » التنظيم يعنى بالنسبة لمناضليه استئناف النشاط الذى تقوم به غالبيتهم بطريقة أكثر فعالية وأكثر إدراكا وأكثر وعيا فزادت الإضرابات فى كل مكان ، وأصبحت أحسن إعداداً وقيادة وأثمرت نتائج أفضل من ذى قبل .

من المشاكل التنظيمية التى كان علينا حلها مشكلة « المتفرغين » أو « المحترفين » ، وهو اسم لا يحمل أى معنى مهين ، وقد اتبعنا فى مواجهتها وصية لينين ـ وإن لم يتم قبولها بسهولة ـ القائلة بأن « الثورة لا يُعَدُّ لها فى أوقات الفراغ » ، والتى تتطلب أكبر عدد من « المحترفين » الثوريين لمواجهة « محترفى » البوليس السياسي المصرى والآخرين : أحصينا سبعة أنماط من البوليس ينبغى علينا مواجهتها .

كانت المكافأة الزهيدة التى يحصل عليها المحترفون وهى ستة جنيهات مصرية غير كافية إلا بالنسبة للمناضلين من أشد الطبقات بؤسا ، مما يضطرهم إلى الاستدانة من رفاقهم ميسورى الحال ، وكان السبب فى هذا الجو غير الصحى هو مواردنا المحدودة التى كان لها ثقلها . فلأعترف بأمانة ـ عند تحقيق الوحدة مع إسكرا Iskra حيث يتيح الحصول على موارد وفيرة تطويرا حاسما لنشاطنا وذلك عن طريق زيادة عدد ومكافأة المحترفين ؛ ومع هذا كان خطأنا الرئيسى هو الاعتقاد بأن « المعجزة » أو المهارة كفيلة بحل

المشاكل المالية التى لم ننظر إليها باعتبارها مشكلة سياسية ينبغى مواجهتها بالنشاط الذى نكرسه بصفة عامة لحل المشاكل الهامة .

كان من الضرورى إذن إعطاء أهمية حاسمة لتجنيد وإعداد المتفرغين الذين يعتبر إطلاق هذا الاسم على عدد منهم نوعا من « التحايل » مثل الطلبة الذين لا يزالون يعيشون مع عائلاتهم .

إن النظرية بدورها لم تأخذ الأهمية الواجبة فى جهودنا لبناء الحزب ؛ وسألخص هنا العناصر المختلفة التى لا غنى عنها داخل وخارج الحزب ، وهى عناصر يقوم تسلسلها على درجة الالتزام ، حيث نجد على القمة هؤلاء الذين يكرسون أنفسهم بالكامل لخدمة الحزب ويتخذون من الثورة حرفة لهم ؛ ينبغى إذن أن تكون مواردهم من الحزب نفسه ، إذ أنهم جميعا يتمتعون بقدرات عقلية وتنظيمية تتيح لهم ممارسة أنشطة أكثر إيرادا ، ومن هؤلاء المناضلين تتكون ، مالم يكن هناك استثناء ، الهيئات الموجهة لأنهم بالفعل الوحيدون القادرون على ممارسة « مهنة » ترتكز على العناية بجسم المجتمع ، وعند ما يصل الثورى منهم إلى منصب « نائب » مثلا يقوم بتسديد ما تقاضاه للحزب : من المعروف أن هذه المبالغ تمثل مصدرا هاما جداً من المصادر المالية للحزب الشيوعى الفرنسى مثلا .. وقد حاول الرجعيون دائما النيل من هؤلاء المحترفين بوصفهم « بالمرتزقة » و« العملاء » ، لذا لزم الرد عليهم بحزم ، إذ كان علينا مواجهة « محترفين » لا يحركهم مثل أعلى ومعظمهم من المرتزقة بحق : البوليس السياسي بأنماطه ، ثم الأحزاب البورجوازية التى تضم عددا كبيراً من الأعضاء وربما لا يحصل هؤلاء الأعضاء على مكافأة أو قد تكون المكافأة غير مباشرة إلا أن إمكاناتهم « الشخصية » تتيح لهم العيش ببذخ .

أصبح لدينا إذن « محترفون » رغما عن الرأى العام ، على أن هؤلاء المحترفين فى نظرنا لم يكونوا على درجة كافية من الاحتراف ، إذ أننا ـ كما قلت سابقا ـ لم نهتم بإعدادهم إعداداً كافيا واكتفينا فى الواقع باستغلالهم لأقصى درجة ، ومع هذا فهم الثروة الحقيقية للحزب الثورى .

هناك أيضا « الانتشار الاستراتيجى » الواسع الذى بذلنا كل ما فى وسعنا لتحقيقه بالتوازى مع جهودنا للعثور على الحلقة الثورية ، التى يمثلها فى هذه الفترة عمال شبرا ، وتطويرها ؛ لا أقصد هنا الجهود التى بذلناها مع اليونانيين والإيطاليين والألمان والفرنسيين إلخ .. فهذه الجهود قمنا بها على أساس « دولية عمالية (بروليتارية) » وكنا فخورين جداً بتقديمها حتى أننى لا أذكر اعتراضا واحدا على الأنشطة العديدة لنا فى هذا المجال ، وهى أنشطة كان بإمكاننا استغلالها بحكمة فى تطورنا الذاتى ، ومع هذا لم نتهرب أبداً من أية مهمة وكان لنا العديد من المبادرات مثل مساعدة الأثيوبيين ، وبرغم ضعف الإمكانات طبقنا حرفيا القول المأثور : « يثرى المرء بما يعطيه » إذ كان ثراء الحركة المصرية من هذه الناحية لا ينفد .

إن هذه الأنشطة قد أفادتنا كثيرا أيضا حيث حصلنا من مساعدتنا لليونانيين مثلا على خبرة فى العمل الثورى السرى ، كما ربت فينا هذه المواقف الإحساس الذى ذكرته « بالدولية العمالية (البروليتارية) » التى تؤلف القوام الحقيقى للشيوعية وهو إحساس لا يتنافى مع معنى الوطنية التى ينبغى أن تكون عليها الشيوعية فالشيوعيون هم أحسن الوطنيين ، وهم يفضلون كثيرا هؤلاء الذين يدعون أنفسهم كذلك والذين يتسبب مفهومهم الضيق والمحدود فى إلحاق الفشل الذريع بالوطن بدلاً من أن يخدمه فى حين أن الدولية العمالية - قلنا هذا عدداً لا يحصى من المرات - لا تضع حداً لأشد الوطنيات تصلبا بل إنها تضيف إليها تألقا ، ولقد ساعدنا هذا الإحساس على اتخاذ موقفين ضد التيار فى مشكلتى السودان وفلسطين اللتين سنعود إليهما بالطبع .

إننى أتحدث هنا عن المرحلة الأولى التى تمتد من أكتوبر سنة ١٩٤٣ إلى أكتوبر سنة ١٩٤٥ ، هل استطعت إعطاء فكرة عن اتساع وتعقيد مهامنا مع ضعف الإمكانات المتاحة ؟ هل كان بوسعنا عمل « كل شىء » فى هذه الظروف ؟

كان « انتشارنا » داخليا وقد وجه إلينا اللوم لأننا لم « نعمل بالريف » وهو بداهة مالم يقم به نقادنا ، ولكن هذه قصة أخرى ؛ حقيقة أننا عملنا بالقاهرة أساسا - والأسكندرية أيضا - ولكن هناك امتدادا لنا يتمثل فى المناضلين الذين يعودون لبلادهم لسبب أو لآخر : الطلبة الذين يعودون إلى ذويهم أثناء العطلة ، العمال العائدون إلى قراهم بعد الاستغناء عنهم ، الأزهريون أو بصفة عامة حملة الشهادات المقيمون بالريف الخ .

كان « الانتشار » فى القاهرة نفسها لا يستهان به : تحدثت عن العمل بين السودانيين وهنا ينبغى القول إنه إذا كانت الكوادر العمالية الرائعة للحزب الشيوعى السودانى تدين بتكوينها إلى العمل معنا : عملنا بين النوبيين وذكرت فخر حزبنا بكوادره النوبية التى شاركت فى القيادة على جميع المستويات ، فإن العديد منهم ، كوادر ومثقفين ، قد ناضل إلى جانبنا ومنهم عبد الخالق محجوب ، وهو بلا جدال أكثرهم تأثيراً ، الذى قام بدور رئيسى - أهله له الدور القيادى الذى أداه كاملا فى الحركة المصرية والحركة الديمقراطية وفى الحركة السودانية والحزب الشيوعى السودانى ؛ هذا ولا ينال من جدارته الدور الكبير الذى لعبته فى تكوينه الفترة التى قضاها فى مصر والتجربة التى حصل عليها أثناءها سواء على الصعيد السياسي والتنظيمى أو على صعيد مشاكل النضال الداخلى .

لقد تحدثت عن الأزهر وعمال الجيش كما سأذكر كلمة عن « الجنود » (ضباط الصف) عند الحديث عن الجيش وعمال النسيج ، أما الآن فإننى أود الحديث عن قطاع « الطلبة » لدينا : فى كل بلاد العالم الثالث كثيرا ما يلعب الطلبة دورا هاما فى النضال الثورى ، إذ أنهم بتعليمهم وتجمعهم الضخم داخل الكليات التى تجتمع بدورها داخل الجامعة كما هو الحال فى جامعة القاهرة بالجيزة يمثلون بحق شباب البلد وبالتالى مستقبله

ولكن فلنطرح العموميات جانبا ولنعد إلى مصر حيث كانت الخاصية الأولى للطلبة هى الفقر الشديد : فرق واضح بينهم وبين الطلبة الأثرياء الوافدين علينا بعد الوحدة مع إسكرا Iskra ، لقد كانوا بالفعل من طبقة اجتماعية مختلفة ! أما الشباب من غير الطلبة الذى تضطره الظروف إلى العمل للوفاء باحتياجاته واحتياجات أسرته ، والذى يصل مبكرا إلى مرحلة النضوج بفعل هذه الظروف ، فهو لا يمثل طبقة مختلفة عن بقية العاملين أو على الأقل لم يظهر لنا هذا الاختلاف .

كان الطلبة ثوريين لأقصى درجة وسنرى فيما بعد الدور الوطنى الذى قاموا به فى مصر حيث كانوا قوة مشاركة لا « مساعدة » فحسب فى إدارة الحركة الوطنية ، ويعود الفضل فى هذا الدور إلى الطلبة الشيوعيين بالحركة المصرية .

كان العمل مع لجنة القطاع الطلابى بالحركة المصرية هاما جداً بالنسبة لى فهو يعد أول محاولة لى للعمل « المباشر » فى قطاع ما : بدأت هذا العمل عندما « يئس » منه المسئول السابق الذى لم أعد أذكر اسمه المستعار ، وكان ما شجعنى على الاهتمام بهذا القطاع هو أن العمل مع هؤلاء المناضلين كان معرضا للتوقف .

« أمين ، شوقى ، سلطان » كم كانت رائعة فترة عملى معهم ! أى نوع من البشر هم ! لقد كانوا على درجة من الفقر لا تتيح لهم ركوب الترام البالغ ثمن تذكرته آنذاك ستة مليمات فكانوا يذرعون القاهرة وضواحيها سيراً على الأقدام وهو ماكانت تضطرهم إليه عودتهم المتأخرة فى أحيان كثيرة عن موعد آخر ترام ، ومع هذا كانوا ككل الشباب الثورى : تزيد سعادتهم ويزيد عملهم كلما زادت المطالب وتعددت المهام التى يقومون بها .

وأود هنا الحديث قليلا عن عبد الرحمن الشرقاوى : لا أذكر الظروف التى انضمت فيها مجموعته ، وهى مجموعة بها عدد كبير من الموظفين بمصلحة الضرائب « ! » إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى MELN ؛ ربما كان هناك سبب خفى وراء هذا الانضمام المؤقت - غادرت المجموعة التنظيم فى سنة ١٩٤٥ فى ظروف سأعرض لها فيما بعد - ويبرر هذا الظن اتخاذهم أسماء « أوروبية » مستعارة تساعدهم على التعرف على بعضهم البعض دون « الذوبان » فى التنظيم ؛ وفى رأيى فإن الهدف منه هو الحصول على أعمال ماركسية باللغة العربية واكتساب الخبرة التى تنقصهم فى مجال التنظيم ؛ وقد قاموا بعد مغادرة التنظيم بتأسيس « الحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل » ، وأنا هنا أتحدث عنه لأعطى مثالا « للتنظيمات » الشيوعية التى هى فى معظم الأحيان « تكتلات » : مجموعات من « الأصدقاء » متجانسة تماما تنشىء سويا تنظيما شيوعيا ، أو بمعنى أدق « تنظيما خاصا بهم » تسوده نظرة مشتركة للمشاكل ؛ وكانت هناك بالفعل صلات شخصية قوية جداً تجمع بين هؤلاء وكانوا أقدر على التفاهم فيما بينهم منهم على التفاهم معنا ومع الآخرين بصفة عامة ، فهم يرون أنهم وحدهم يمتلكون الصدق الثورى والقدرة على الفهم الصحيح للأوضاع .

كان الوضع فى الحركة المصرية التى لم تضم « تكتلات » مختلفا تماما ، فالقادة لم يتعارفوا إلا داخل التنظيم ، وكنا نختلف تماما عن بعضنا البعض بصرف النظر عن انتمائنا الطبقى الذى قد يكون مشتركا : لم يكن هناك - مثلا - تشابه بين بدر الميكانيكى بالجيش والحاصل على شهادة من مدرسة فنية وشطا عامل النسيج وثيق الصلة بمسقط رأسه ، على أن هذا لم يحل دون تشكيلنا فريقا تجمعه الأخوة الحقة ، وكانت هذه الاختلافات المتبادلة تزيد من ثرائنا حيث كنا نشعر بالتضامن مع الآخرين ، أما التشتت فكان يمثل عنصر ضعف بالنسبة لكل منا .

لا أود الرجوع إلى أحداث أكتوبر - نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، التى كثيرا ما تحدثت عنها ، إلا بقدر ما تمس المشاكل الداخلية وإن بقى واردا أمر عودتى إليها عند كتابة هذا الكتاب بصفة نهائية .

إنها مرحلة جديدة للحركة المصرية التى « خرجت إلى النور » فى جو حماسى بهيج حيث قامت بالدعوة إلى العمل فى منشورات تحمل ، للمرة الأولى ، اسمها وكان الأعضاء يوزعون ويلصقون هذه المنشورات على الحوائط برغم الأخطار التى يتعرضون لها ، فإن هذه الأخطار تعنى أن عملنا من الآن فصاعدا أصبح يتم على صعيد أعلى .

لم نكن مع هذا مستعدين لمواجهة علنية مع البوليس : لقد كان اندفاعنا إلى العمل بمثابة زوبعة شديدة أدت إلى انهيار هيكلنا التنظيمى لا اهتزازه فحسب - دليل آخر على عدم استعدادنا - وإذا كنا استطعنا الصمود فإن ذلك يعود إلى المد الثورى الذى كان فى ذروته وإلى معرفة البوليس غير الجيدة بنا .

أثبتت الأحداث التالية ضعفنا الحقيقى ، هذا الضعف أدركه صدقى الذى تولى السلطة فطرح فى يوليو سنة ١٩٤٦ قضية « المؤامرة الشيوعية الكبرى » التى كنت - ولى الشرف - المتهم الأول فيها ؛ كنا أكثر من مائة التقينا فى سجن الاستئناف المجاور للعمارة التى توجد بها محافظة القاهرة والنيابة العامة المسئولة عن إجراء الاستجواب ، حقا لقد شاهدت الكثير من « السينما » بدون مغادرة السجن المشترك حيث كان الجو مثيرا ومرحا أكثر منه باعثا على الخوف ، إذ أدركنا أن المؤامرة المدبرة ضدنا يحيق بها الفشل التام : تخفف عبده دهب مثلا من ملابسه وارتدى « جلبابا » فهذا ليس أول اعتقال له وهو يشعر كأنه فى بيته ، أما أنا فكنت أتعرف للمرة الأولى على سجن حقيقى ، وكان البق هو مبعث خوفى الرئيسى ، وقد وافق المدير الذى كان رفيقا بنا وبى بصفة خاصة - كما قلت سابقا - على رش د . د . ت ، كانت هذه هى أول مرة يتم فيها الرش ، لذا حضر إلى زنزانتى المدير يتبعه الممرض مع مجموعة من السجانين الذين يحملون الرشاشة ويتخذون كافة الاحتياطات كما لو كانت قنبلة ، وعند انتشار البخار بصوته المميز ساد الهرج المكان لمدة دقيقة .

ذهبت إلى النيابة العامة بصحبة ثمانية من الجنود يرأسهم ضابط ، وقام باستجوابى رئيس النيابة ، كانت لنا فى الواقع أحاديث طويلة عن « الشيوعية » وطبيعتها الحقة لأن ملفى لم يكن به عنصر محدد ، فى البداية كنت أرد بإيجاز بقدر الإمكان إلى أن فهمت أنه يرغب فى الحصول على ملف يحتوى على أكبر عدد ممكن من الصفحات المليئة .. أعطيته قدر طاقته وتحدثت باستفاضة .. كان المعتقلون فى مجموعهم يشكلون خليطاً غريباً من وفديين « يساريين » إلى كل « الشيوعيين القدامى » أى الشيوعيين المعروفين منذ بداية الأربعينيات ، وقد توقف معظمهم عن العمل واقتصروا - على كل حال - على الأنشطة الفردية على صعيد المواقف ؛ أما أعضاء الحركة المصرية المعتقلون - مثلى ومثل عبده دهب - فقد تم اعتقالهم لوجود أسمائهم فى القوائم القديمة ، هذا وقد أثبت توزيع المنشورات بالخارج فور القبض علينا أن اعتقالنا لم يؤثر بحال على الحركة الشيوعية المصرية وعلى الحركة المصرية قبل كل شيء .

وتوالى الإفراج بكفالة عن المعتقلين : كان ترتيبى قبل الأخير فى قائمة المفرج عنهم ، أما الأخير[٢١] فكان تروتسكيا - الوحيد فى مصر أو يكاد أن يكون كذلك - وقد أدلى بتصريحات خطيرة .. للانتهاء من هذه المسألة من الطريف أن أقول إن محاكمتنا تمت بعد عشرين شهراً من ذلك بمحكمة الجنايات وصدر الحكم - الغيابى فيما يخصنى - بالبراءة التامة .

وفى العام التالى ، حدثت محاولة أخرى « لتغذية » ملف خال : ففى أحد الأيام بينما كنت جالساً فى مقهى مع بعض الزملاء إذا بالبوليس يعتقلنا ويقودنا إلى سجن الأجانب حيث عزلونى عن زملائى واتهمونى بإصدار منشور : هذه هى الفترة الوحيدة التى انتابنى فيها شيء من القلق . ولكن سرعان ما أطلق سراحنا إذ أن التحدى كان سافراً .

لمحة عن الأخلاق فى السجن : عندما رأى مدير السجن هزالى ، وكان يشعر بمودة نحوى نصحنى بأن أتعاطى « الحشيش » حتى « يفتح شهيتى » .. وكان فى الطابق العلوى حيث تجمع زملائى تاجر حشيش أظهر نحوهم الود ، وفى يوم من الأيام إذا بالضحكات المصاحبة لعسر الهضم الناتج عن الحشيش ترن عالياً داخل أرجاء السجن ولا تتوقف ، كان السجانون يغمضون أعينهم وخاصة أنهم يتلقون مكافأة من جرعات الحشيش التى لا يستطيع معظمهم الاستغناء عنها .

إننى لا أعرف فى أية فترة بالتحديد يأتى تأسيس الحركة السودانية للتحرر الوطنى الذى تحكى عنه روايات مختلفة وأود هنا أن أقص روايتى :

إننى على يقين من أننى صاحب اقتراح فصل ما كان حتى الآن القسم السودانى من

---

(٢١) يقصد لطف الله سليمان ، وعندما اورد جيل بيرو فى كتابه « هنرى كورييل ، رجل من طراز فريد » هذه العبارة ، رد عليه لطف الله سليمان بمقال نشر بمجلة « فرنسا والبلاد العربية - العدد ١٢٠ ، يوليو - اغسطس ١٩٨٤ » دون ان يدرى ان بيرو ينقل عن مذكرات هنرى كورييل .

الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، وتحويله إلى حركة مستقلة ، كما أننى اذكر جيداً أن زملاءنا السودانيين قابلوا هذا الاقتراح فى بادىء الأمر بالوجوم : « هل تخليتم عنا ؟!» ولكنهم سرعان ما استدركوا ؛ شرحت أولاً أن المسألة « مسألة مبدأ » . وكانت هذه الكلمات السحرية كافية للتغلب على جميع الصعوبات إذا استخدمت فى محلها ـ لأننا كنا على استعداد دائم للتضحية فى سبيل « المبادىء » ، ثم أكدت لمحدثى أننا لن نهمل أبداً فى أى ظرف من الظروف تقوية الصلات بين الحركتين ، ويجب أن أقول إن المشاعر الأخوية التى تربط بين « الحركة السودانية للتحرر الوطنى » MSLN التى أصبحت فيما بعد الحزب الشيوعى السودانى والحركة المصرية ثم الديمقراطية للتحرر الوطنى لم تضعف أبداً بعد رحيلى ، ولكنها للأسف لم تتعد المشاعر ، فأنا لا أعرف مواقف مشتركة اتخذت بالتنسيق بين الحركتين : اتخذ قرار حل الحزب[٢٢] مثلاً ، واسمحوا لى أن أقول كلمات عنه بالرغم من أنه لا يقع فى الفترة التى يتناولها هذا العمل ، بدون الرجوع إلى الحزب الشيوعى السودانى ، وقد وجه هذا ضربة حقيقية لهؤلاء الذين يناضلون فى السودان ، وعلى رأسهم عبد الخالق محجوب ، ضد « الحزب الواحد » الذى تحاول القوى البورجوازية فرضه ويساندها فى هذا تيار يمينى داخل الحزب الشيوعى السودانى ؛ لست أقصد عدم وجوب اتخاذ هذا القرار بل أقصد وجوب اتخاذه بمضمون مختلف ـ سأتحدث عنه فى موقف آخر ـ أى بالرجوع الصريح إلى الموقف السودانى ، حيث كان ينبغى مناقشته مع الرفاق السودانيين ، وأخذ القرار السودانى فى الحسبان .

إن هذا الموقف ليس إلا مثلاً ، ولكنه يبدو لى مثلاً صارخاً وخاصة أننى أشعر أن صلات « النضال المشترك » لا غنى عنها ـ اليوم أكثر من ذى قبل ـ وإن أصبحت ذات طبيعة عميقة الاختلاف عن تلك الموجودة فى الفترة التى أتحدث عنها .

ويقودنا هذا الموضوع إلى دراسة مشكلة قريبة منه وهى مشكلة الوحدة العربية : تعرضت الحركة المصرية فى موقفها منها إلى أعنف الهجمات التى تبدو اليوم مثيرة للدهشة ، ولكن فلنذكُر بأن انجلترا هى التى أوجدت « الجامعة العربية » وساعدت على إنشائها ، وقد اشتركت فيها آنذاك جميع الأنظمة التى تخلص لها الإخلاص كله ؛ وفى مصر حيث كانت الملكية فى خدمة الجامعة العربية ، حاولت حكومة الوفد برغم صلاتها الممتازة بالانجليز أن تعطى المشروع مضموناً أكثر وطنية ولكنها سرعان ما انقلبت ـ بتحريض من الانجليز ـ لتأخذ مكانها حكومة **أحمد ماهر** .

كان بديهياً أن انجلترا ـ بعد خروجها من الحرب ـ ضعيفة للغاية ولاسيما فى مواجهة

---

(٢٢) يقصد قرار ١٩٦٥ الذى اتخذه الحزب الشيوعى المصرى بعد انتهاء محنة المعتقلات على اساس ان النظام اصبح يسير فى اتجاه الاشتراكية . (لمزيد من التفاصيل راجع : رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، الوحدة ـ الانقسام ـ الحل ١٩٥٧ ـ ١٩٦٥ ، دار الثقافة الجديدة) .

الامبريالية الأمريكية ، منافسها الجديد فى السيطرة على العالم ـ تنوى أن تجعل من الجامعة العربية أداة لفرض سيادتها ، إذ فكر قادتها فى الاحتفاظ على الأقل بسيطرتهم على الشرق الأوسط حيث المصالح البريطانية الضخمة : قناة السويس ، الوضع الاستراتيجى ، الموارد الاقتصادية مثل القطن وبصفة رئيسية : البترول ، وحيث الجنود الانجليز لا مثيل لكثرتهم ، وخاصة أن التحكم فى المنطقة يبدو يسيراً ، إذ أن فرنسا قد تم طردها بمساعدة الشرق التابع للانجليز ، كما أن التأثير الأمريكى كان لا يزال غير محسوس .

أثار التمرد دفاعنا عن فكرة الوحدة العربية ، رغماً عن السياسة البريطانية ، فلا تزال الصفات الرقيقة من نوع « عملاء الامبريالية » وغيرها تطلق علينا ولكننا كعادتنا فى هذه الفترة رفضنا الإذعان ـ كان تقويمنا ضرباً من المستحيل ـ وجعلنا وحدة الشعوب العربية هدفاً من أهدافنا ؛ كان رد فعلنا البسيط والرافض للمواقف التى تحاول الامبريالية إملاءها ، قائماً على إدراك أن قوة مواقف أعدائنا تكمن فى أنهم يحاولون دائماً الاستناد إلى وقائع محسوسة وأننا حين نعترض بلا تبصر إنما نحقق أهدافهم ، لذا بدلاً من الاعتراض على الجامعة العربية الذى يظهرنا بمظهر المعادين للوحدة العربية ، أصبح الشيوعيون المصريون هم المدافعون عن هذه الوحدة ، وإذا كنا امتلكنا الإمكانات المادية و « السياسية » : إلمام كاف بالموضوع ، محررون أكفاء ، صلات بالأحزاب الشيوعية الشقيقة ـ ولكنها كانت جميعاً تحتقرنا باستثناء الحزب الشيوعى اللبنانى ـ لأصدرنا نشرة عن الوحدة العربية ، وإننى آسف لعدم إصدارها .

إن أحداث الفترة من ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٥ حتى ٤ مارس سنة ١٩٤٦ معروفة جيداً ولست أملك الحق فى كتابة تاريخ لجنة الطلبة والعمال ، فهذا الحق ملك لهؤلاء الذين شاركوا فيها ، لذا سأكتفى بملاحظات إضافية .

أولاً : يعود الفضل فى توقع المد الثورى الذى حدث بعد الحرب إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإن كان يبدو أننا أخطأنا حين عللنا النفس بأن الوفد ـ بعد إبعاده المهين عن الحكم ـ سينتهز فرصة بدء الدراسة بالجامعة ، حيث يمثل الطلبة الوفديون طليعة حقيقية له ، ليبدأ العمل : وزعنا ـ لأول مرة ـ فى هذه المناسبة منشورين باسم الحركة المصرية ، الأول موجه إلى الجماهير والآخر إلى « البوليس والجيش » ، وقد تم توزيع عشرة آلاف نسخة من كل منهما فى جو لا ينسى من الحماس ، لقد كانت مرحلة رئيسية تم اجتيازها إذ قمنا باتخاذ موقف خاص بنا فى القضية الوطنية الرئيسية وهى قضية النضال ضد الامبريالية ، هذا الموقف الذى أعلنا به عن وجودنا ، وأن ظللنا محتفظين بسريتنا .

قلت : قبل ذلك إننا لم نكن مستعدين لهذا على الإطلاق : العمال لم يحاولوا التنظيم بعد ، ولم يصل عدد كوادرنا إلى العشرين كما أن القدامى منهم لم تمر عليهم ثلاثة أعوام

من النشاط داخل تنظيم لم يزل فى طور الطفولة ، حيث لم يكن لتنظيمنا وجود سوى فى القاهرة والأسكندرية ودمياط والمنصورة ، وكان بناؤه لا يزال بسيطاً إذ لم يكن لدينا إلا « لجنة فنية » تهتم بالطباعة « المركزية » ، ولم تعمل بعض الأجهزة مثل « لجنة الإشراف » و « المالية » إلخ .. بالإضافة إلى هذا كنا نجهل تماماً الصلات بين العمل الشرعى والعمل السرى .. وإذا كنا قد « هاجمنا » بالرغم من نقاط الضعف الكبيرة هذه ، فإن هذا يعود لسببين :

* **أولهما** : اعتقادنا بأن المد الثورى سيقوم برأب الصدع فينا .
* **والثانى** : هو إحساسنا بالضرورة الوطنية للعمل الحاسم .

من المعروف أن شيئاً لم يحدث فى هذا اليوم وأن الجامعة ظلت هادئة لعدم تلقى الطلبة الوفديين أوامر ، بخلاف الأمر بعدم العمل ، فالوفد مقتنع تماماً بأنه حقق الاستقلال بمعاهدة سنة ١٩٣٦ التى طلب مراجعتها ، وهذه المراجعة من وجهة نظره تتعلق بنقاط صغيرة وسيتم الحصول عليها ، كما أن الوضع الاجتماعى الذى ازداد خطورة بسبب ظروف الحرب قد يعبر عن نفسه فى شكل « اضطرابات » قد تصبح خطيرة إذا حدثت مظاهرات .

كان هذا الموقف انتصاراً ـ داخل الحركة المصرية ـ لعبد الرحمن الشرقاوى الذى انسحب بجنوده ، إزاء « إصرارنا » على التمسك بتحليل المد الثورى الحتمى ، وأسس معهم الحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل ، الذى أطلقت عليه الحركة المصرية الاسم الساخر : « الحزب الشيوعى لمصلحة الضرائب » ، كان هذا هو أول انشقاق هام فى الحركة المصرية ، ولنقل هنا إن رأى عبد الرحمن الشرقاوى كان أيضاً رأى كل « منافسينا »[٢٣] فلم يتظاهر أحد سوانا .

كنا فى الواقع على حق ، إن المد الثورى موجود بالفعل ولكن التوجيه الذى انتظرته الجموع من الوفد فى المعارضة انعدم فأخذ مكانه ـ على الأقل لفترة ـ توجيه آخريقف على استعداد .

بينما كنا الوحيدين الذين تصرفنا بطريقة لائقة على صعيد النضال من أجل استقلال مصر ، لم تقف الرجعية مكتوفة الأيدى إذ حاولت أداتها الطيعة جاهدة تحويل الانتباه إلى القضية الفلسطينية ، وهى القضية التى لم تزل تخدمها حتى انتهت بالقضاء عليها ؛ وأود هنا أن أقول إننا أهملنا القضية الفلسطينية آنذاك : كنا كشيوعيين الأعداء المنطقيين (الطبيعيين) الوحيدين للصهيونية فى الوقت الذى كانت فيه المنظمات الصهيونية فى مصر تناضل ، بموافقة السلطات ومساندتها ، ضد « الرابطة المعادية للصهيونية » التى قام بتأسيسها القطاع الأجنبى فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، وتولى مارسيل

(٢٣) يقصد اسكرا والتنظيمات الاخرى .

إسرائيل مسئوليتها السياسية ؛ وكان عداؤنا للصهيونية ، المبطن بنفور عميق من معاداة السامية (حتى أننا لم نتمكن من التعاون مع أبسط أعداء السامية) موقفاً مبدئياً ، فقد كنا نحس أن معاداة الشيوعية للصهيونية هى جزء من تكويننا إلى حد لم نستشعر معه الحاجة إلى إهدار الجهود « لإثباته » ، لذلك عندما قام الإخوان المسلمون بالدعوة للاحتفال بذكرى « يوم بلفور » بقصد صرف الأنظار عن العمل الوطنى ، لأنهم لم يقوموا قبلها بالدعوة لتخصيص يوم للامبريالية ، اكتفى منشور الحركة المصرية بفضح عملية الإلهاء هذه ، وأظن اليوم أن الحكمة كانت تقتضى منا الاشتراك فى هذا « اليوم » .

إن الأحداث بعد هذا معروفة : المظاهرات التى قام بها الطلاب بدفعة من الطلبة الشيوعيين ، والبعد الوطنى الذى أعطاها إياه نشاط الطبقة العمالية المصرية وكتيبتها الطليعية : عمال شبرا ، ثم الإعلان الانجليزى فى ٨ مارس سنة ١٩٤٦ بالجلاء غير المشروط عن وادى النيل (الجزء المصرى منه بالطبع) .

هناك ملاحظات أخرى تبدو لى هامة :

فى الفترة التى كانت فيها الجماهير على استعداد لتتبع خطانا ، لم نكن نعرف إلى أين نقودهم لافتقارنا إلى الخبرة ، أدرك هذا صدقى باشا الذى كان حينئذ فى السلطة ، إذ يكفيه أن يستقبل وفداً من لجنة الطلبة والعمال ليعرف أنه ليس لدينا خط سير ، وهو لوم يمكن توجيهه إلينا . ولكن فلنتذكر أن خبرتنا فى الاتجاه السياسى لم تتجاوز الشهور الستة ، وأن وضعنا الداخلى يكاد يوصف بالفوضوية الكاملة حيث ألغيت جميع أقسامنا ولم يعد لنا هيكل تنظيمى ؛ أما فى الجامعة فكان الطلبة الشيوعيون من كل المنظمات ، والمنظمات الشيوعية جميعها تضم طلبة ، يتصلون ببعضهم البعض حيث أدت هذه الفترة المضطربة إلى نبذ القواعد التى تمثل قيوداً على العمل .

ولأذكر هنا تجربة مشابهة تم الحكم فيها علينا ونحن عارون :

كان هذا فى الهاكستب حيث انتهينا من إضراب عن الطعام ، لقد كانت معركة حقيقية نُقِلَ أثناءها عدد منا ، وكنت بينهم ، باعتبارهم القادة إلى أماكن أخرى : زنازين عارية ننام فيها مباشرة على الأرض ، ثم اجتمع بعضنا أخيراً فى ثكنة بلوكات النظام بالعباسية ، وكان أول ما ضايقنا هو توقف الإضراب بينما كنا نرى وجوب استمراره لثقتنا من إمكان الحصول على الإفراج .

ذهب رئيس البوليس السياسى إلى الهاكستب وقابل وفوداً من المعتقلين لمناقشة مطالبهم وقد ترك هؤلاء « باعتدالهم » « انطباعاً ممتازاً » إذ لم يكن لهم فى الواقع مطلب سوى عودتنا .. إزاء هذا الضعف المحقق اتخذت الإدارة رد فعل عنيفا بدلاً من الاستجابة للمعتقلين « لحسن سلوكهم » ولم يقف الأمر عند عدم عودتى بل تعداه إلى عدم منح تيسيرات وإلغاء عدد من الامتيازات التى حصلنا عليها . ولأكمل ذكرياتى عن الإضراب

بما أننى بدأت الحديث عنه ؛ بدأ هذا الإضراب عندما تم الإفراج عن المعتقلين الصهيونيين بينما ظل الشيوعيون محتجزين ، ولأعترف أولاً بغبائى - بالقسوة الاعتراف ! - الذى لا أزال نادماً عليه : بعد اتفاقات الهدنة ، وكان الإفراج عنا متوقعاً بالفعل مع نهاية الحرب ، صارحت أحد ضباط البوليس بحرجى ، لأننى وأنا المصرى أدين بخروجى من السجن إلى هزيمة الجيش المصرى ! لقد كنت مخطئاً فى هذا ولكننى لم أكن مدركاً لتأثير هذا الرأى على مجرى الأحداث حيث عدلت السلطات - وأنا على يقين من هذا - عن رأيها بسبب هذه الفكرة الصائبة فى نظرها ! على أننى لست واثقاً من الاستفادة دائماً من الدرس .

قمنا بإضراب عام عن الطعام ، وكان موقفنا قوياً جداً فى ظل ظروف نهاية المعارك حيث فقد اعتقالنا الذى أدى إليه بدء الأعمال الحربية مبرره : قمنا بعمل وصلة تليفونية على الخط الوحيد الذى يصل معسكرنا بالقاهرة وبوزارة الداخلية ! كنا إذن على علم بما يجرى ولقد أدركنا ما وراء الأمر الذى جاءنا بأن الوزارة ترغب فى رؤية المسئولين بكل عنبر - كانت العنابر هى « مأوانا » بالفعل - لذا طلبت كلمة شرف من نائب القائد الذى أرسلوه للتفاوض معنا فلم يجرؤ على إعطائها ، وكان اختياره بسبب صلاتنا الممتازة أثناء الفترة التى قضيتها فى سجن الأجانب فى عام ١٩٤٧ ، وقد طلب منى هذا الأخير الذهاب لمقابلة الوزير . عندها أغلقنا علينا الأبواب عازمين على المقاومة وبخاصة أننا نعلم أن الأوامر المعطاة حتى هذه اللحظة تقتصر على اتخاذ إجراءات تهديدية .

كان الوضع إذن يبدو مشجعاً عندما علمنا بأن زملاءنا فى العنابر الأخرى وافقوا على الذهاب معلنين ثقتهم من استمرار الإضراب فى غيابهم بالقوة نفسها ، وبالرغم من هذا التبرير « الثورى » داخلنى الإحساس بأنهم إنما استسلموا للضغط ، لم يعد بوسعنا إذ ذاك التمسك بموقفنا فتم نقلنا فى عربات شحن وكنت مرتدياً سروالا قصيراً جداً بدون قميص ، وقد صاحبت خروجنا أغان حماسية ينشدها المئات من المعتقلين ، وإن لم أكن واثقاً من أن عدداً من هؤلاء لم يكونوا فى أعماقهم مستريحين للتخلص منا .

قادتنا عربة الشحن المكشوفة التى عبرت بنا القاهرة وأنا نصف عار إلى المحافظة حيث تم توزيعنا على عدد من أقسام البوليس ، ولقد كلفنا فشل الإضراب غالياً ، إذ أن الوضع تغير مع استمرار الأحكام العرفية لمواجهة حالة الإرهاب التى أدت إليها محاولات الاغتيال المدبرة من جانب الإخوان المسلمين كما أن الرجعية كانت تعلم حدود تصميمنا ، لذا انتظرت السلطات وهى مطمئنة انتهاء الأسابيع الثلاثة التى نتوقف بعدها حتى لا نتسبب فى اضطرابات خطيرة لدى ذوى الصحة الضعيفة ؛ أما الإضرابات الأخرى فقد أسفرت عن الإفراج عن غير المشتركين فى الإضراب من المعتقلين فاستخلصت « المجموعة الأخرى » من هذا أن الإضرابات غير مجدية وأن العمل داخل المعسكرات فكرة جنونية ، وانتهت الغالبية العظمى من الشيوعيين اليهود بالموافقة على مغادرة مصر حيث

« لا فائدة » من الإصرار ، أما نحن فكنا نقول إن الإفراج عنا لن يتم حتى يطلق سراح المجموعات الأخرى من المعتقلين كما أن البروليتاريا (الطبقة العمالية) لا يمكنها التحرر إلا بتحرير كل الطبقات المستغلة !!!

هانحن قد بعدنا عن عام ١٩٤٦ ؛ فلنعد إليه .

كان صدقى باشا على حق فى رأيه بأن لجنة الطلبة والعمال لا تمثل خطراً حقيقياً ، ولكنه مع هذا ارتكب خطأ كبيرا عندما أنشأ لجنة على غرارها تضم جميع القوى الرجعية وطليعتها الإخوان المسلمين بغرض إضعاف تأثير لجنة الطلبة والعمال ، وعندما شن الهجوم « بالمؤامرة الشيوعية الكبرى » التى سبق لى الحديث عنها والتى أدت إلى القبض على مئات الأشخاص بناء على قوائم معدة منذ زمن طويل .. وقد رويت كل هذا فيما تقدم .

ظن صدقى باشا أنه بهذا قمع الحركة الشعبية فذهب لتوقيع معاهدة دفاع مشترك مع انجلترا ، وكان هذا من سوء حظه لأننا وإن كنا لا نعرف ما نريده كنا على علم تام بما لا نريده وهو معاهدة مع انجلترا ، وقد أعطتنا هذه المعاهدة هدفاً واضحاً فاستؤنف نضال الجماهير بالاشتراك المتصاعد للوفديين ، ويعود هذا للأسباب التالية :

* كان العديد من الوفديين قد ألقى القبض عليهم فى يوليو مع الشيوعيين ، ومن ناحية أخرى كان العديد من الشيوعيين (وبخاصة د . ش) تعمل داخل الوفد وتساهم فى تثبيت جذوره على الأقل بين الطلبة والصحفيين ، كما كان هناك التأثير المتزايد لموقف العمال النضالى فى « لجان الأحياء » .

* كان الوفد خارج السلطة ، وكانت قيادته ، التى تظن أن انجلترا ستعيدها إلى الحكم ، وأنها ستجد بسهولة وسيلة للتفاهم معها ، كما حدث فى سنة ١٩٣٦ ، سعيدة بإثبات أن الاتفاق بدونها مستحيل .

كان هناك خطأ فى الحساب كما هو معروف فالرجعية لاتزال فى حوزتها أوراق لم تلعب بها إذ خلف صدقى النقراشى باشا الذى ذهب بالمشكلة إلى الأمم المتحدة .

ثم حدثت « حرب فلسطين » .

كان هناك أثناء ذلك حملة مشوشة للوحدة : لقد انتهت فترة الاحتقار المتبادل بين التنظيمات المختلفة وإن ظل هذا الاحتقار موجوداً بين القيادات ، لا أستطيع التحدث عن الآخرين ولكن حزبنا لم يكن يحمل للتنظيمات الأخرى إعجاباً شديداً ومع هذا كنا المحركين النشطين للوحدة معها ، ولى كعادتى فى ظروف أخرى مسئولية خاصة فى اتخاذ هذا القرار وكنت أستند على ثلاثة اعتبارات :

* أنه كانت لمنافسينا قيمتهم بالرغم من عيوبهم العديدة .

* أن مفاهيمنا ستنتهى بالانتصار فى جميع المجالات لأنها مفاهيم صحيحة والمفاهيم الصحيحة تنتهى دائماً بالانتصار ، وهذا فى الواقع مفهوم خاطىء .

هنري كورييل
والحركة الشيوعية المصرية

* أن مواجهة العدو بوحدة وإن كانت هشة إلا أنها أفضل من تشتيت القوى ، هنا أيضاً كان الموقف مفرطاً فى السذاجة ، وهذا ما أدركناه فى الشهور التى سبقت مايو سنة ١٩٤٨ .

تطوعنا إذن للبدء فى عملية الوحدة بأسرع ما يمكن وكانت المماطلة من جانب إسكرا Iskra التى عرفنا فيما بعد أن ما دفعها لهذا هو حاجتها لضم أكبر عدد من المجموعات الأخرى حتى تتمكن من مواجهة « الوحش » الذى نمثله ؛ ومن المجموعات التى انضمت إلينا مجموعة « القلعة » - سميت كذلك لأن المسئول عنها يقطن هذا الحى - وكان يزعم هذا المسئول أنها تضم مائة ألف عضو ! وقد بلغت عدم واقعية الأعضاء الذين لم يتجاوز عددهم العشرين ، حد تصديقه ! ويعود إلى هذا المسئول الفضل التاريخى الكبير فى اجتذاب الضابط الشيوعى الأول الذى لعب فيما بعد دورا رئيسيا فى ظروف عديدة من تاريخ مصر ؛(٢٤) هناك أيضا مجموعة مارسيل ، وفى الأسكندرية مجموعة « أناتول » بالإضافة إلى إسكرا ومجموعة شهدى - الجبيلى ، أى أن خمس مجموعات اتحدت معنا .

الإجراء الثانى وهو التجنيد المكثف والسريع عن طريق ضم الأشخاص المتواجدين فى محيط التنظيم ، وإذا كانت الحركة المصرية تدخل أعضاءها بهذه السرعة فلماذا لا تشعر المجموعات الأخرى بالحق فى إدخال مناضلين بدون المرور بمرحلة « الإعداد » التى وضعتها الحركة المصرية ، ومع هذا كان هناك فارق رئيسى فى الطبقات التى يتم الاختيار منها ، وفى أسلوب الاختيار ، وهل يتم من خلال العمل ، أو أثناء حفل أو استقبال يختلط فيه الرقص والغزل بالحوار السياسى .

لست أذكر الوقت الذى استغرقه الإعداد للوحدة الذى تلخص من جانبنا فى إبعاد بعض العمال من المرشحين للقيادة ، حيث كان واضحا عدم استعدادهم لتحملها . تم إذن هذا الإجراء الثانى وقد أفضى بلاشك إلى نتائج إيجابية - على الأقل - فى البداية : انضم الأجانب فى « قطاع » هائل بقيادة مارسيل وكنت مسئولا عن هليل Hillel نظريا ، فهو بعد لمعرفته التامة بالعربية أكثر « مصرية » منى كما أنه الأقدم والأكفأ فى عمله الذى كان غزيرا ، وقد وافق هليل Hillel على عدم المشاركة فى القيادة مع قصر اهتمامه على « الأجانب » .

تطور « قطاع » الأجانب على أساس الجاليات : كان هناك قسم يونانى يضم بين أعضائه ياناكاكيس Yannakakis الذى أصبح بعد ذلك مدرسا بإحدى كليات فرنسا وواحداً من أنشط المناضلين المعادين للسوفيتية بجريدة المراقب الجديد Novel Obser Vateur وقسم أرمنى يضم « چوچو » Jojo البسيط اللامع ، وقسم إيطالى يضم بصفة

---

(٢٤) يقصد احمد حمروش ، وكان عندئذ برتبة ملازم ، وقد لعب دورا كبيرا فى العمل بين الضباط ، وكان من ابرز كوادر قسم الجيش داخل حدتو .

خاصة العديد من اليهود النشطين ، المتواضعين المتفانين وشديدى الكرم ؛ وقد توزع هؤلاء منذ ذلك الحين على بلاد عديدة ولاسيما فرنسا ، وبرغم هجرهم النشاط النضالى احتفظ معظمهم بمعتقداته وساعدوا ماديا أحزاب البلاد التى استقروا فيها بكرم فائق النظير لقد كانوا حوالى الألف ، ونجح جميعهم بلا استثناء فى المهن التى عملوا بها ، كما أن الغالبية العظمى من أبنائهم يعتبرون من الطبقة المثقفة فى جيلهم (بإمكانى الحكم على الوضع فى فرنسا حيث يتركز ، كما قلت ، أكبر عدد ممكن وليس هناك ما يدعو لأن يختلف الوضع فى البلاد الأخرى) .

أصبح التمصير إذن أمرا واقعا : لم يعد للأجانب الدور الحاسم لا فى الحركة المصرية فقط ولكن أيضاً فى التنظيم الجديد الذى تحققت به وحدة الحركة الشيوعية آنذاك ، ومع هذا لم يكن هناك مواقف وطنية متطرفة فقد ظل اثنان من الأجانب وهما يونس وشندى[٢٥] فى القيادة ، وأصبحت أميرة مسئولة عن قطاع المرأة بينما ضم قطاع الطلبة شقيقها مع العديد من الشباب غيره ، كان هناك أيضاً دور لاوليفييه Oliver وتولى چو المجلة ، من الآن فصاعدا أصبحت جميع القوميات ممثلة بدرجة كافية . لهذا تم بناء على اقتراح يونس الاحتفاظ باسم الحركة المصرية مع تغيير لفظ المصرية إلى لفظ جديد أكثر أهمية وهو « الديمقراطية » ، وكانت هذه التسمية بالفعل صحيحة ودقيقة حتى أن الموافقة عليها تمت بالإجماع بالرغم من تشابهها مع اسم إحدى المجموعات التى يضمها التنظيم الجديد ، هكذا أصبح التحرر الوطنى والديمقراطية هما أهدافنا العامة من الآن فصاعدا .

اتخذنا إجراء آخر بدا لنا ملائما وهو تجميع القطاعات فى أمانتين تتكون أولاهما من القطاعات التنظيمية والأخرى من القطاعات غير التنظيمية وهى تشمل بالطبع مجالات عمل هامة جداً مثل المجلة التى تمثل أهم إضافة لإسكرا ، وكان ما يضمن الحماية لهذه المجلة هو استنادها القوى على اثنين من أبناء شخصيتين هامتين من البورجوازية الكبيرة ؛ بالإضافة إلى المجلة كان هناك القطاع الطلابى الذى انتشر بسرعة مذهلة ، وقطاع المرأة ، والأجانب ، والجيش .. ربما أنسى أحدها .. نعم ، وقطاع الأقاليم ، وقطاع السودان .

كان انضمامى إلى هذه القطاعات خطأ كبيراً لأنها تمثل قطاعا ثانويا إلى جانب القطاعات التنظيمية التى كان يجدر بى أن أوليها اهتمامى ، ولكننى كنت أبغى الانسحاب عن الأنظار كما أننى كنت أظن صادقا أن قطاعا يضم بدر وحميدو وعادل[٢٦] ليس بحاجة لوجودى .

لكن المهم هو تحديد الظروف التى أدت إلى وجود الأزمة التى لا أذكر إلا القليل من

---

(٢٥) يونس الاسم الحركى لهنرى كورييل وشندى الاسم الحركى لهليل شوارتز .

(٢٦) بدر : هو سيد سليمان رفاعى ، وحميدو : محمد شطا ، وعادل : عبد المعبود الجبيلى .

أحداثها وإن كنت أظننى قادرا على تحليل أسبابها : هناك سببان رئيسيان تضافرا لإحداث الأزمة .

أولهما : وهو السبب الموضوعى ، أن الوضع العام يبدو مشجعا ، فالحزب لم يكن يتطور فحسب بل يكاد يتفجر فى جميع القطاعات ، وقد تكون النتائج التى حققها قطاع الأقاليم هى النتائج المذهلة بحق وخاصة أن الوحدةَ ضاعفت من إمكاناتنا المالية حيث بلغت ميزانية الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى حوالى ألف جنيه مصرى بينما كانت ميزانية الحركة المصرية سبعين جنيها ؛ كان العمل بهذا القطاع الذى تطور بسرعة كبيرة لا يزال فى بدايته إذ أنه يرتكز أساسا على اجتذاب أعضاء ، وتوزيع المنشورات والمجلات ، ازددنا إذن كفرق وليس ككوادر حيث أننا لم ننجح فى إنشاء مدرسة للكوادر بالأقاليم ، وهذه الحلقة الرئيسية هى القوة الأساسية للحزب .

لا أزال إلى اليوم أجد التحليل الذى قمت بعمله عن الطبقات فى الريف صحيحا إلا أنه ، لأسباب لا أستطيع تحديدها ، لم يكن « مقنعا » ، وهذا ما يدعو للأسف وخاصة أن برنامج الضباط الأحرار للإصلاح الزراعى ، وهو البرنامج الذى قام بإعداده عضو اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، وقد أخبرنى بذلك بنفسه دون حرج ، يعكس المفهوم البورجوازى للإصلاح الزراعى حتى أننى ظننت أنه أعد بواسطة خبراء أمريكان !

كان قطاع « المرأة » أيضاً ينمو داخل الحزب ، وكذلك قطاع « الطلبة » الذين بلغ عددهم ألف طالب وهم العناصر اللامعة النشيطة التى تسمى اليوم « باليسارية » ؛ أما قطاع « الجيش » فكان يتطور بأقسامه الثلاثة : ضباط وصف ضباط (وهو القسم الذى أعطى أفضل النتائج) وعمال ؛ أما القسم الذى شعرنا بالحاجة الشديدة إليه فهو قسم يضم « الجنود » .

هناك إذن زيادة سريعة جداً فى عدد الأعضاء بالحزب كما أن هناك تفاوتا متزايدا بين عدد الأعضاء وعدد وكفاءة الكوادر ؛ أما على صعيد الأنشطة فكان يبدو أن كل شىء يسير على ما يرام حيث تضاعفت أنشطة القطاعات المختلفة وقامت إضرابات هامة جداً وعنيفة جداً بعد الوحدة .

ولكننا لم نكتشف الضغط المتزايد للرجعية فى حينه ، لم ندرك فى الوقت المناسب أن الرجعية لا تزيد من ضغطها فحسب (قمع الإضرابات بوحشية متزايدة ، اعتقالات مستمرة للمناضلين) بل هناك بالإضافة إلى هذا وضع اقتصادى يتضافر معها ، وهو الوضع المرتبط بنهاية حالة الانتعاش التى أدت إليها الحرب ، وبداية الأزمة وعلى وجه التحديد ظاهرة العمال الذين بلغ عددهم ٣٠٠,٠٠٠ بالمعسكرات الحربية ، هؤلاء العمال الذين وجدوا أنفسهم بين يوم وليلة بلا عمل وبلا إمكانية العثور على عمل .

هناك إذن فى « الخارج » :

* وضع اقتصادى يزداد خطورة ، وقد أفضى هذا الوضع إلى جو من المعارك تزداد شراستها ويندر الانتصار فيها ؛

* وضع سياسى يزداد خطورة : إن الرجعية لم تكن لتقف مكتوفة الأيدى أمام التزايد المدهش للقوى الشيوعية والقوى الوطنية التى يوازى تطورها تطور قوانا .

وبينما كان النضال بالداخل يتطور هو الآخر بقوة ، كنا قد أصبحنا عاجزين عن مواجهة هذا الوضع فضلا عن تحليله .

كان العنصر الثانى فى هذا الوضع هو الصراع ضد يونس ، وقد أخذت بسذاجتى المعهودة وقتا طويلا - أقصد سنوات طويلة - لإدراكه .

جلبت الجامعة إلى الحركة الديمقراطية مثقفين لامعين يتطلعون إلى اليوم الذى يتولون فيه زمام أمور الحزب ؛ لقد كانوا كمثقفين متطرفين بعض الشىء ، وهم يتساءلون لماذا لا يتم التمصير كاملا بتصفية يونس ؟ وبينما يرون أن دور « الأجانب » ينبغى خفضه إلى الصفر . يميلون من ناحية أخرى إلى الإقلال من أهمية مرحلة التحويل إلى الوضع البروليتارى ؛ كان المهم بالنسبة لهم هو أن يكون المرء مصريا ، أما مقابلة المثقفين بالعمال فى مصر فهو فى رأيهم مظهر من مظاهر التعميل (القول بأن العمال وحدهم قادرون على قيادة الحركة الاشتراكية) ؛ بدأ إذن الصراع ضد يونس ، فى البداية بغير وضوح ثم بطريقة حازمة وحاسمة .

كان ما أثار الاضطراب هو تضافر هذين العنصرين (الصراع ضد يونس والسبب الموضوعى) اللذين لولاهما لاستطعنا تحليل الأحداث ثم مواجهتها بالاتحاد ولأمكننا التغلب على خلافاتنا الداخلية بسهولة ، بالإضافة إلى الصعوبات المتزايدة التى تواجهنا ؛ من هنا عظم الصدمة للهجوم الذى يضع مسئولية هذه الصعاب على عاتق مناضل بعينه ودوره .

كان أول انفصال فوجئنا بحدوثه انفصالا « يساريا » كاملا ، وهو انفصال أدين بشدة من الجميع بمن فيهم عادل والإسكريون وقد تم بناء على مبادرة شهدى التى أثرت على قطاع الطلبة الذين « يريدون الذهاب إلى العمال » ، كما أثرت على قطاع الأجانب ، إذ لم يوافق بعض أعضائه على دورهم المحدود فى إطار القطاع ، وعلى المثقفين الذين تمكن شهدى من ضمهم إليه .

ضم الانفصال أيضاً عددا كبيرا من الأعضاء الذين لم نشعر بغيابهم على صعيد القيادة ، إذ أن شخصا واحدا هو الذى غادرها ، وهو مسئول بالمجلة التى لم ينقصها المحررون كما أن إدارات القطاعات الغنية بالأعضاء والخبرة لم تتأثر هى الأخرى بهذا الانفصال ؛ ستكون لنا عودة لدور القطاعات فى الحركة الديمقراطية ، أما بالنسبة لقطاع

الطلبة فقد كان هدفنا هو إنشاء تنظيم طلابى شيوعى يمكنه احتواء عدد كاف من الأعضاء حتى يتخلص القطاع من الزيادة الفائضة .

تم الانفصال الحقيقى بعد الانفصال الأول بفترة قصيرة على أثر تقرير قمت بتقديمه ، ويهدف هذا التقرير إلى توسيع تمثيل الحزب والاقتراح بأن يصبح « حزب القوى الوطنية والديمقراطية » ؛ فى جو عادى تبدو المشكلة بسيطة . ما الصيغة القادرة حقا على التعبئة فى ظل الظروف التى نمر بها ؟ هل هى قاعدة الحزب العمالى أو صيغة أكثر اتساعا ؟ من البديهى أن التنازل عن إقامة الحزب الشيوعى التقليدى لم يكن هو غرض التقرير الذى يعبر فى الواقع عن حقيقة أساسية وهى أن الطبقات ذات الجوهر العمالى يمكن أن تقبل قيادة شيوعية وأن تعتبرها ممثلاً شرعياً لها فى ظل انتصارات الاشتراكية الباهرة ؛ وقد عرفت فيما بعد أن أحزابا شيوعية عديدة تبنت هذه الصيغة نفسها .

على كل الأحوال كان التقرير قابلا للمناقشة ، لماذا إذن لا تتم مناقشته بهدوء وتعديله وإلغاؤه إذا لزم الأمر ؟ لهذا السبب أقول إن التقرير كان ذريعة - وخاصة أننى سحبته إزاء ردود الفعل التى أثارها - للصراع ضد يونس الذى أصبح التصالح معه أمرا مستحيلا إذ أنشىء تيار سمى « بالعادلى » لمواجهة اليونسية ، ولنقل فورا إنه تيار سلبى لا يقترح سوى مقاومة خط القوى الوطنية الديمقراطية ، ولنقل أيضاً إن التاريخ أصدر حكمه حين غادر عادل مصر بإرادته للعمل فى معمل چوليو Joliot حيث بدأ إعدادا علميا لامعا ، مما أهله ليصبح المسئول عن المشاكل الذرية فى مصر على أعلى المستويات(٢٧) .

كان الطريق مسدودا إذ لم يكن فى وسع العادليين الانفصال بعد إدانتهم الشديدة لانفصال شهدى وخاصة أن العمال - بعد تذمرهم الوقتى - لم يكن لديهم أدنى رغبة فى الانفصال ؛ أما نحن فقد واجهنا بالإضافة إلى عقمنا وإلى القمع المتزايد ، هجمات عديدة على درجة عالية من الدقة ، إذ بدأت الحركة الديمقراطية إلى جانب معاركها ضد المعاهدات أهم معركة لها وهى المعركة المتعلقة بمستقبل فلسطين ، وسأعود إليها فيما بعد .

بالرغم من سحب التقرير وعدم تغير شىء فى الممارسة ، وبرغم مناشدتنا للمعارضين بأن الواقع يفرض علينا مشاكل خطيرة وهامة جداً إلا أننا كنا كمن ينطح الصخر ؛ وكان علينا قبل كل شىء مقاومة هذا الخط المشئوم الذى يعد السبب الحقيقى فى جميع المصاعب .. يمكن التساؤل : لماذا لم أنسحب ؟ يجب أن أقول بمنتهى الصدق إننى لم أفكر فى الانسحاب ثانية واحدة ، إذ أننى بالرغم من عدم وضوح الرؤية تماما كنت أعرف أن الحركة المصرية ، وهى التى تجتمع على الأساسيات مع استثناء مؤقت لحميدو الذى انضم إليه مجاهد ، هى الممثلة للتيار الثورى الصادق داخل الحركة الديمقراطية وهذا ما أثبتت

---

(٢٧) تولى د . عبد المعبود الجبيلى (عادل) رئاسة هيئة الطاقة الذرية عند تأسيسها فى عهد عبد الناصر .

الأيام صدقه ، كما أن زملائى كانوا سيعتبرون هذا الانسحاب ، الذى أقول للمرة الثانية إننى لم أفكر فيه أبدا ، خيانة .

لقد كانت فترة حزينة ظهر فيها بقوة الوجود المستمر « لتيارين من الحركة الشيوعية المصرية » ، وقد كتبت عن هذين التيارين تقريرا ركزت فيه على ضرورة إعداد كوادر قيادية على جميع المستويات على أن تكون هذه الكوادر لا من « المثقفين اللامعين » بل بقدر الإمكان من العناصر « سليلة الطبقات الثورية » فهذه العناصر هى وحدها التى لا تتحرك فى جميع الاتجاهات ، وهى التى لا تشعر بالخوف وتحتفظ بقدرتها على القتال كاملة فى الفترات الصعبة .. إن « الحزم » أهم كثيرا من المعلومات الواسعة المستمدة من الكتب : هذا هو الدرس المستفاد من التجربة المريرة فى سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ .

وظلت المشكلة : « هل كانت الوحدة ضرورية ؟ » ، بعد تفكير أقول : إن الأسباب التى أدت إليها لا تزال صحيحة ، ولم يكن فى إمكاننا ألا نقوم بها ، ولكن كان علينا أن نكون أكثر يقظة وأكثر قدرة على الاستفادة من الدروس ، ولكن فيض الأحداث لم يتح لنا الوقت الكافى للتفكير ، وأتحمل وحدى مسئولية ذلك ، حيث أن هذه المهمة تقع على عاتقى بصفتى الأكبر سنا والأقدم والأقل اتصالا بالأحداث ؛ ولكن ما جدوى الندم المستمر على هذه الحقيقة : « لو كنا أكثر قدرة لحققنا نتائج أفضل » ..

بالنسبة لإسكرا التى تمثل التيار الآخر فى هذا الوقت ، حسم التاريخ بوضوح نقطة : من هم الثوريون ؟ وعلى الرغم من أننى لم أعاصر حقبة الحزب الشيوعى المصرى إلا أننى لا أعتقد أن التاريخ قد أجاب بطريقة مختلفة على السؤال نفسه .

نضال الحركة المصرية للتحرر الوطني منذ تأسيسها حتى اعلان الاحكام العرفية في مايو عام ١٩٤٨

تقرير من هنرى كورييل إلى رفاقه بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطني في سبتمبر - اكتوبر ١٩٥١

تمهيـــد :

منذ فبراير سنة ١٩٤٨ والحركة الشيوعية المصرية تعيش أخطر أزمة عرفتها من حيث العمق والاستمرار والآثار المصاحبة لها إذ ركزت الحركات والانقسامات المختلفة التى تنتمى بدرجات شديدة التفاوت إلى الماركسية ، هجماتها على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى كانت أهم تنظيم شيوعى مصرى فى بداية سنة ١٩٤٨ .

إن هناك مع هذا حدثاً رئيسياً فى الصراع الأيديولوجى للحركة ، وهو الحدث الذى ظهر بصفة خاصة فى المواقف العملية ، ثم أخذ يتضح يوماً بعد يوم ، فقد تكون معسكران : « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » من ناحيـة ، ومن الناحيـة الأخرى جميـع التنظيمات والانقسامات التى كانت تتناسى خلافاتها لتتحالف ضد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؛ أى التيار الثورى الذى تمثله فى الوقت الحاضر الحركة الديمقراطية أساسا ، والتيار الانتهازى بأشكاله المختلفة والمتنوعة التى تميل إلى التكتل لإفشال العمل الثورى .

أدى هذا الصراع داخل الحركة الشيوعية المصرية إلى سيل من الافتراءات والانتقادات الموجهة ضد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بهدف إنكار جميع الأعمال الإيجابية للحركة أى الجانب الثورى من نضالها فى مصر ؛ ويعرض هذا التقرير ، الذى كتب على عجل فى ظل ظروف صعبة ، الأعمال الرئيسية للحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى إيجاز ، فهو لا يعد دراسة تاريخيـة ولا سياسيـة ، ولا يشكل محاولة للنقد أو النقد الذاتى ، حيث أن الهدف منه هو مواجهة هذه الافتراءات والانتقادات ، بالتذكير السريع بأعمال أولئك الذين حاولوا إنشاء حزب شيوعى مصرى جديد بأن يحتل مكاناً بين الأحزاب الكبيرة الشقيقة فى النضال ضد الامبريالية العالمية من أجل السلام والاشتراكية ، على أساس من مبادىء ماركس وانجلز ولينين وستالين .

نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسهما حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو سنة ١٩٤٨ :

مقدمة : إن الغرض من هذا التقرير هو إبراز النواة الثورية التى تأسست فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، تلك النواة التى شكلت بالاتحاد مع العناصر الثورية فى إسكرا نواة النضال فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، وهى الحركة التى لا يزال النضال مركزاً بها إلى حد كبير ؛ أما الوصف التفصيلى لجميع أعمال هذا التيار السياسى المصرى فهو أمر يستحيل علينا فى ظل الظروف الحالية .

يمكننا تقسيم حياة الحركة المصرية للتحرر الوطنى إلى خمس فترات على أساس الظروف الملموسة الخاصة بميلادها وتطورها وتأثيرها الكبير على نشاطها واتجاهاتها ؛ وسنكتفى فى هذا التقرير بالحديث عن الفترات الأربع الأولى من نشاط الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، أما الفترة الخامسة فسنتحدث عنها فيما بعد حيث أن ظروف كتابة هذا التقرير لا تتيح لنا العرض التفصيلى لعمل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (٢) منذ إعلان الأحكام العرفية فى مصر حتى اليوم .

الفترة الأولى

منذ تأسيس الحركة فى سنة ١٩٤٣ إلى رفع الأحكام العرفية فى سنة ١٩٤٥ :

كان للانتصارات العالمية التى ولدت فى ظلها الحركة المصرية للتحرر الوطنى (سحق الجيوش الفاشية فى ستالينجراد ، والاندحار النازى فى العلمين) انعكاس على الرأى العام المصرى إذ خلق الصعود المتزايد للقوى الديمقراطية العالمية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى ، والهزائم السياسية والعسكرية والفاشية ظروفاً مواتية جداً لتأسيس حركة شيوعية مصرية ثورية بحق بشرط أن تتوافر لها القيادة الجيدة والعناصر السليمة .

ميلاد الحركة المصرية للتحرر الوطنى :

ولدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى على أثر انشقاق مجموعة صغيرة من العناصر الماركسية غير المصرية التى كونت حركة إسكرا المنتسبة أيضاً إلى الماركسية ، وكانت مشكلة « التمصير » هى السبب فى الانشقاق ، إذ اعتبرت العناصر الإسكرية الحديث عن ضرورة « التمصير » الحركة الشيوعية وهى لا تزال جنينا تطرفاً وطنياً ، وفضلت الاحتفاظ بتركيبها [illegible]وى وقيادتها غير المصرية بدعوى أن الفصل بين المصريين والأجانب ، والعمال والمثقفين أمر غير وارد « بين الشيوعيين » .

كان « التمصير » إذن هو شعار الحركة التى اتصلت عناصرها بمثقفين مصريين ينتمى أغلبهم إلى البورجوازية المصرية شديدة الفقر فحمل هؤلاء مذهب الماركسية ـ اللينينية ـ

الستالينية إلى مجالات عمل أخرى : الطلبة ، العمال إلخ ؛ واستمر النشاط الناجح للحركة المصرية للتحرر الوطنى فى هذا الاتجاه حتى سبتمبر سنة ١٩٤٣ حيث انشقت فجأة مجموعة من المثقفين المصريين والأجانب الذى ألفوا مجموعة « تحرير الشعب » ذات القيادة الأجنبية برغم شعار « كل المسئولية للمصريين » الذى اتخذوه ، وقد انهارت هذه المجموعة التى لم يتعد عدد أعضائها الثلاثين عضواً فى سنة ١٩٤٧ .

إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، برغم ضعفها وبساطتها ، لم تتخل أبداً عن واجبات النضال منذ اليوم الأول لإنشائها :

بين المتمردين اليونانيين :

ساعدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى المتمردين اليونانيين بفعالية فى القاهرة والأسكندرية فأمدتهم بالمؤن أثناء حصار الجيش البريطانى لهم ، وعاونتهم على الهرب والاختفاء ، وعلى طباعة وتوزيع نداءاتهم ؛ وقد قدمت الحركة المصرية فى هذا السبيل تضحيات كبيرة ، وأظهرت تفانيا لا يمكن إثباته فى هذا التقرير .

بين العمال :

فى عام ١٩٤٣ ، تضامنت الحركة المصرية للتحرر الوطنى مع الحركة النقابية المتصاعدة وشاركت فى إعداد قانون عقد العمل الفردى ؛ وفى سنة ١٩٤٤ ، طورت الحركة نقاط ارتكازها فى مجالات نشاط مختلفة ، وبصفة خاصة فى التجمع العمالى القريب من القاهرة : شبرا الخيمة التى تضم ١٥٠٠٠ من عمال النسيج ، وكذا فى بعض الأحياء العمالية بالأسكندرية ، فى مصنع السجائر ، وبين الميكانيكيين الذين يعملون بالطيران الحربى وبالهندسة ، كما اتصلت بعمال المطابع الأميرية وعمال ورش ومخازن السكة الحديد ، وعمال شركة قناة السويس بالإسماعيلية .

النضال الخارجي : الذى أخذ خلال هذين العامين ١٩٤٣/ ١٩٤٤ خطا واسعاً جداً تبعاً لإمكانات ومبادرة الأعضاء أو مجموعات الأعضاء العاملين فى أحد الأوساط ، وتبعاً لإمكانات هذا الوسط بدون توجيهات محددة من القيادة إذ كانت الحركة عاجزة عن إدارة أو تنسيق هذه الأعمال ؛ ولقد تضاءل هذا الضعف شيئاً فشيئاً مع نمو المد الثورى وتزايد قوى الحركة نفسها .

فى سنة ١٩٤٥ استمرت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى تطوير نقاط ارتكازها بين العمال ومدتها إلى الأقاليم لاسيما المحلة الكبرى ، مركز صناعة النسيج الكبير الذى يضم حوالى ٣٠٠٠٠ من عمال النسيج الآلى وعشرات من عمال النسيج اليدوى ، كما شاركت فى عدد من الإضرابات الاقتصادية الكبرى فى شبرا والمحلة بنشر وتوزيع المنشورات على نطاق أوسع من العام السابق .

فى شبرا الخيمة ، نظمت بعض كوادر الحركة إضرابا عاما للمطالبة بإعادة فتح النقابات التى أغلقتها الحكومة ؛ ضم الإضراب ١٥٠٠٠ عامل ، واستمر عشرة أيام اضطر بعدها العمال إلى التراجع ، ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى نادت بتكوين لجان تنفيذية عن طريق الانتخاب المباشر فى المصانع ، وذلك للحفاظ على وحدة العمال بالدائرة برغم الإغلاق التعسفى للنقابة ؛ استجاب العمال لهذا النداء وشُكِّلت بالمصانع لجان تتبع لجنة تنفيذية إقليمية انْتُخِبَ بها أعضاء من الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

وفى الأسكندرية ، ناضلت عناصر الحركة المصرية بفعالية داخل نقابات النسيج العمالية التى يسيطر عليها أرباب العمل ، وحصلت على ثقة العمال بتشكيل لجان من ممثلى المصانع ، وقد أخذت هذه اللجان فى البداية شكل لجان الإعانة الاجتماعية .

هكذا لعبت الحركة المصرية للتحرر الوطنى دوراً هاما جداً بين عمال النسيج وعمال الحكومة والجيش ، وتمكنت جزئيا من القضاء على تأثير الأحزاب البورجوازية فى هذه الأوساط العمالية التى ظهر بينها اتجاه جديد ، فلأول مرة تنعزل الطبقات العمالية التقدمية عن هذه الأحزاب لتقوم ببناء قوتها المستقلة ، ومنذ ذلك الحين والعمال أكثر قدرة على مقاومة استغلالها لهم فى الصراعات الحزبية والبرلمانية .

قامت الحركة المصرية أيضاً بنشاط كبير من أجل تمثيل مصر فى الاتحاد العالمى للنقابات فرشحت اثنين من أعضائها لهذا الغرض ، وجمعت تفويضات عديدة لهذين المرشحين اللذين يضمهما رسمياً الوفد المصرى ، كما أعدت جميع التقارير والدراسات المقدمة للاتحاد العالمى للنقابات .F.S.M ؛ وبينما يقوم أعضاء الحركة المصرية بالنشاط الدعائى داخل التجمعات العمالية والنقابات لبيان أهمية مشاركة مصر فى الاتحاد العالمى ، تعمل الحركة المصرية للتحرر الوطنى على تأسيس مؤتمر نقابات العمال بالشركات الصناعية والتجارية (الخدمات العامة ، صناعات ذات طابع احتكارى ، إلخ).

وفى هذه الفترة انضمت مجلة « العهد الجديد » العمالية إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى استعملتها للدعاية للديمقراطية وفى نضالها الوطنى .

المشاركة فى النضال الاقتصادى :

شاركت الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، بالإضافة إلى عملها السياسى ونشاطها فى مجال الإعداد فى المراكز العمالية ، فى النضال الاقتصادى لعمال النسيج والأحذية ، وعمال الجيش ؛ وقد أعطى هذا النضال نتائج إيجابية منها زيادة أجور عمال النسيج ، وتجميع القوى العمالية بغرض إنشاء النقابات المختلفة .

المشاركة فى النضال الوطنى :

فى سنة ١٩٤٤ أعدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تحليلاً للحركة الوطنية فى مصر ،

وحددت فيه المطالب الوطنية ، التى لم تكن واضحة آنذاك ، فطالبت بالجلاء ، وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقية سنة ١٨٩٩ .

أنشىء فى آن واحد داخل الحركة قسمان : أحدهما : نوبى والآخر : سودانى ، ولقد أصبح القسم السودانى فيما بعد الحركة الشيوعية الوحيدة فى السودان ؛ الحركة السودانية للتحرر الوطنى التى حافظت بعد استقلالها على صلات النضال الوثيقة التى تربطها بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

أحست الحركة فى هذه الفترة بالحاجة إلى جريدة تصبح منبراً سياسياً لها فحصلت على مجلة سودانية تصدر فى القاهرة باللغة العربية وهى مجلة « أم درمان » التى أسميت « النضال المشترك » ؛ وتعد هذه المجلة أول لسان للحركة يعرض آراءها فى النضال الوطنى وأيضاً فى بعض المسائل ذات الأهمية المحلية ؛ وقد نشرت المجلة رأيها فى المسألة السودانية ، ودافعت عن ضرورة النضال المشترك لشعبى مصر والسودان من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى ، وجلاء جيوش الاحتلال الانجليزية ، فى مواجهة البورجوازية التى تنادى بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى .

لقد كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الشيوعية المصرية الوحيدة التى تبنت موقفاً مستقلاً من هذه المشكلة ، وقد أوضحت الحركة أن على السودانيين ، بعد تحرير وادى النيل من قبضة الامبريالية ، ممارسة حقهم الكامل فى تقرير المصير بالوحدة او الانفصال ، أو أى حل آخر .

انشطة اخرى :

طورت الحركة المصرية للتحرر الوطنى نشاطها خلال هذه الفترة فى مراكز أخرى : الجنود ، صف الضباط ، الموظفون بالجيش ، الجامعة ، الجامعة الدينية (الأزهر) وأيضاً فى مدن الاقاليم .

هناك أيضاً عملها بين الأسرى الإيطاليين والألمان حيث ساعدت على إصدار نشرتين سريتين باللغتين الإيطالية والألمانية ، وقد قامت هاتان النشرتان بدعم الحركة المعادية للفاشية بين الأسرى .

الفترة الثانية

تبدأ هذه الفترة مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث هبت الشعوب الخاضعة للاستعمار تناضل بشراسة من أجل التحرر الوطنى بعد الهزيمة الساحقة للفاشية ونمو القوى الديمقراطية لاسيما الاتحاد السوفييتى .

مشاركة الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى النضال الوطنى :

فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ رات الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى الإضرابات التى اندلعت

بشائر المد الثورى فاستعدت للمشاركة فى النضال وتوجيهه إلى المطالب الوطنية السابق تحديدها وهى : « الجلاء الفورى عن مصر والسودان ، إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقية سنة ١٨٩٩ الخاصة بالسودان » .

كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تعتقد أن المعارضة البورجوازية ، لاسيما الوفد الذى أبعد عن الحكم ، ستعمل على تطوير النضال بين الطلبة المحدد شهر أكتوبر لعودتهم إلى الجامعة ، فقامت فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٥ ، اليوم المحدد لبدء الدراسة فى الجامعة ، بتوزيع ٢٠ ألف نسخة من منشورين :

أحدهما : موجه إلى الطلبة والعمال والجماهير الكادحة وينادى بالنضال .

والآخر : يخاطب الجنود والبوليس .

ولكن شيئاً لم يحدث فى هذا اليوم إذ اتفق الوفد مع حكومة النقراشى على تفادى المظاهرات ، وأفسد الإخوان المسلمون محاولة الوحدة داخل الجامعة ، وكانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى أو الحركة الشيوعية بصفة عامة أضعف من أن تقود الحركة بمفردها فنادت بعقد المؤتمرات المحلية للدعاية والتحريض على الثورة والنضال الفعال من أجل تحقيق المطالب الوطنية ، وقد انتهت هذه المؤتمرات بسلسلة من المظاهرات ؛ وزعت الحركة المصرية أيضاً منشوراً ينادى بالنضال الوطنى ويكشف خيانة الأحزاب البورجوازية وتخليها عن النضال الوطنى .

لقد كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الشيوعية الوحيدة التى تشارك فى النضال الوطنى بينما اكتفت الحركات الماركسية الأخرى « بمراقبة » المد الثورى غير الطبيعى فى رأيهم ؛ ومع هذا امتدت دعوة الحركة المصرية للثورة إلى الشباب الوفدى الذى تزايد ضغطه على القيادة الوفدية ، وقد زاد من اشتعال ثورة الحركة المصرية للتحرر الوطنى المذكرة الضعيفة التى بعث بها النقراشى إلى انجلترا تحت الضغط الشعبى ، طالباً بدء المفاوضات .

فى عطلة أعياد المسلمين نادت الحركة المصرية للتحرر الوطنى بانتخاب لجان تنفيذية فى الجامعة والمدارس تمهيداً لانتخاب لجنة تنفيذية للطلاب ، وقد رفعت النداء نفسه بين عمال شبرا الخيمة التى أجريت بها انتخابات جديدة وتم بالفعل انتخاب لجنة تنفيذية محلية بها .

وفى ديسمبر تم تشكيل اللجنة الطلابية التنفيذية من الجامعيين وطلبة المدارس الثانوية وطلاب الأزهر ، وكان أعضاؤها من الشيوعيين والتقدميين ، وقد أثر هذا العمل التنظيمى تأثيراً كبيراً على الحركة الوطنية فى سنة ١٩٤٦ .

موقف الحركة المصرية للتحرر الوطنى من المشكلة الفلسطينية :

فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، اليوم الموافق لذكرى إعلان بلفور ، حاول الإخوان

المسلمون ، بتحريض من الامبريالية والحكومة المصرية ، إثارة المظاهرات المعادية للسامية ، وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية فى حماية البوليس ، ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى استعدت لهذا اليوم وكشفت هذه المناورة فى منشور يحدد المطالب الوطنية مرة أخرى ويربطها بالمشكلة الفلسطينية ، ويرفع الشعارات المعادية للامبريالية والرجعية العربية والصهيونية ؛ وقد أوضحت مجلة « النضال المشترك » موقف الحركة من المشكلة : « استقلال البلاد ، جلاء الجيوش الامبريالية ، وحق تقرير المصير للعرب واليهود » إذ رفضت الحركة رؤية المشكلة من زاوية « الهجرة » كما فعلت إسكرا حتى لا تحول الاهتمام عن المشكلة الرئيسية .

لقد استمرت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى جهودها لدعم الحركة الوطنية فرأت فى الأعياد الدينية والتجمعات الشعبية فرصة مواتية لتحقيق الارتباط العضوى بين الطلبة والعمال فأثارت سلسلة من المظاهرات شعارها النضال الوطنى كما وزعت منشوراً بهذا المعنى ، وقد اشترك فى هذه المظاهرات العمال والطلبة والجماهير .

تحقق إذن الارتباط العضوى بين العمال والطلبة داخل الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى أنشأت « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » ، وهى لجنة تمثل عمال شبرا الخيمة ، وعمال مؤتمر النقابات ، وعمال الشركات الكبرى ، بالإضافة إلى طلبة الجامعات والمدارس الأخرى ، وقد انضمت إليها فيما بعد رابطة طلاب كليات الأزهر ، ورابطة خريجى الجامعات ، ورابطة خريجى المدارس الصناعية .

بدأت اللجنة عملها فى تنظيم الحركة الوطنية تحت إشراف الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى النصف الثانى من يناير سنة ١٩٤٦ أى فى الوقت الذى أدركت فيه الحركات الأخرى لاسيما إسكرا أن المد الثورى ليس صناعياً كما تزعم فاضطرت ، تحت ضغط من قواعدها وبخاصة الطلبة ، إلى المشاركة فى النضال ، وإذ رأى الإخوان المسلمون أن قيادة النضال القومى انتقلت إلى الشيوعيين ، الأمر الذى قد يؤدى إلى انعزالهم وتخلفهم ، انضموا إلى إسكرا فى المطالبة بانتخابات جديدة لإعادة تشكيل اللجنة التنفيذية للطلاب ؛ وأُنتُخِبت بالفعل لجنة جديدة فى نهاية يناير ، وأحرز الشيوعيون فى هذه الانتخابات فوزاً كبيراً يليهم الوفديون ثم الإخوان المسلمون فالمستقلون وبعض ممثلى الأحزاب الأخرى ، وقد انسحب الإخوان المسلمون من اللجنة بعد فترة قصيرة لأنهم وجدوا التيار الوطنى بقيادة الشيوعيين والوفديين شديداً جداً عليهم .

كانت كوادر الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى التى تقود النضال وتشجع الطلبة عليه ، عاملة على إبعاد وكشف الإخوان المسلمين الذين يحاولون بث الخوف والتراجع ، وفى الخامس والسادس والسابع من فبراير نظمت لجنة الطلاب التنفيذية مظاهرات ضخمة فى الأحياء الشعبية بقيادة الشيوعيين والوفديين ، وقد فشل الإخوان المسلمون فى تحويل المتظاهرين الذين كانوا يهتفون بالشعارات الوطنية .

وفى مظاهرة التاسع من فبراير التى رُفِعَ فيها شعار « الجلاء بالدماء » اصطدم البوليس بالطلبة على كوبرى عباس فى مذبحة النقراشى الشهيرة التى أسفرت عن مئات من الجرحى وأكثر من عشرة من القتلى .

كان لهذه الأحداث آثار خطيرة استغلتها الحركة المصرية للتحرر الوطنى لمضاعفة جهودها التنظيمية فطلبت من العمال الانضمام إلى الطلبة فى الجامعة التى حاصرها البوليس والجيش غداة هذا اليوم ، وقد انتهى هذا الحصار بصدامات عنيفة أُحْرِقَت فيها الزينات المعدة بمناسبة عيد ميلاد الملك فى الحادى عشر من فبراير ، وقُتِلَ فيهاَ الطالب السودانى الشاب محمد على من مجموعة مجلة « أم درمان » ، واجتمع الطلبة فى كلية الطب للسهر على جثمان زميلهم ، وحاصرهم البوليس بها يومين وليلتين ، ثم لجأ إلى الغازات المسيلة للدموع والأعيرة النارية لسرقة جثمان الطالب وتحطيم مقاومة المتظاهرين الذين هاجموا الشعلة الملكية عدة مرات .

كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى آنذاك توزع المنشورات ، التى تدور كلها حول القضية المصرية ، مطالبة باستقالة النقراشى ، وقد اضطر هذا الأخير بالفعل إلى الاستقالة إزاء الضغط الشعبى الضخم وخلفه صدقى باشا فوزعت الحركة فى اليوم ذاته منشوراً بعنوان « صدقى عدو الشعب رقم ١ » كما قادت مجلة « النضال المشترك » ، (أم درمان سابقاً) بالاشتراك مع صحافة المعارضة حملة واسعة ضد صدقى باشا الذى اضطر إلى التنازل قليلاً أمام الحركة الوطنية بغرض استنزافها .

كان يوم ٢١ فبراير هو يوم الجلاء ، فاستعدت له اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بنشر النداءات وتوزيع المنشورات ، كما أعدت له عدته الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا فوزعت المنشورات العديدة - بين العمال بصفة خاصة - لشرح مضمون النضال الوطنى ، ونادت « بضرورة الإعداد للنضال المسلح » .

هكذا بلغت الحركة الوطنية درجة من القوة أفزعت الامبريالية والرجعية اللتين تحاولان القضاء على الحركة الشيوعية فى مصر ، لماذا ؟ لأن الشيوعيين هم الداعون للاحتفال بهذا اليوم الذى شارك فيه الوفد على استحياء ولم يشارك فيه على الإطلاق الإخوان المسلمون ؛ وقد أدى النجاح الكبير الذى حققه هذا اليوم إلى زيادة النفوذ الشيوعى فى الجامعة ، والإقلال من نفوذ الإخوان المسلمين ، بالرغم من محاولتهم إفساده بالاشتراك مع التجمعات الفاشية التى شكلت لجنة وطنية أخرى تولت إذاعة الدولة الدعاية لها .

إن أهمية هذا اليوم الذى أعلن « يوما لنضال الشعوب المستعمرة » ترجع إلى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، القيادة الشعبية الجديدة من نوعها فى مصر ، وإلى تأييد الجماهير التى أعربت عن شكها فى الأحزاب البورجوازية التقليدية الخائنة ، وانضمام هذا العدد الكبير من عمال النسيج والترام والأوتوبيس ، والمقاولات العامة والسينما إلخ إلى الطلبة والجماهير الوطنية المصرية .

بعد هذا عجزت الحركة المصرية للتحرر الوطنى عن الحفاظ على هذا المستوى من النشاط إذ سيطرت العناصر الانتهازية على لجنة العمال والطلبة وقادتها فى طريق المهادنة والتبعية الذى لم يكن ليقودها إلا إلى الفشل ، ولم تملك الحركة حيال هذا إلا توزيع المنشورات وفضح هذه السياسة فى مجلتيها « النضال المشترك » و« العهد الجديد » ؛ ومع هذا وبالرغم من الهدوء النسبى الذى ساد القاهرة والأسكندرية عقب فترة الثورة ناضل أعضاء الحركة المصرية بطريقة عفوية مع الجماهير فى الرابع من مارس ، يوم الحداد الوطنى على أبطال ٢١ فبراير ، وفى مظاهرة الأسكندرية الكبرى يوم السادس من مارس كما امتد تأثير الحركة إلى الأقاليم حيث قاد أعضاء الحركة مظاهرة كبرى فى المنصورة والزقازيق وأسيوط .

وبعد فترة قصيرة انهارت اللجنة الوطنية لأسباب عديدة لا داعى لذكرها جميعا اكتفاء بالسبب الرئيسي فى هذا الانهيار ، وهو ضعف الحركة الشيوعية وعجزها عن التخلص من هذا الضعف من خلال المد الثورى .

قامت عندئذ المجموعات الماركسية المختلفة : الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، إسكرا ، تحرير الشعب ، الفجر الجديد ، بتشكيل لجنة للتنسيق بينها فى القطاعات العمالية والطلابية كما أسست تنظيما طلابيا جامعا هو « اتحاد الطلاب المصريين » ويُعَدُّ إنشاء هذا الاتحاد انتصارا للحركة المصرية التى دعت إلى تنظيم طلابى « جامع » فى مواجهة فكرة تكوين تنظيم « أحمر » التى روجت لها « إسكرا » .

أخذ اتحاد الطلاب المصريين يستعد بنشاط للمشاركة فى مؤتمر جمعية الطلاب الدولية التى أرسلت إليه دعوة لحضوره وقرر إيفاد عضوين : أحدهما : من الحركة المصرية . والآخر : من إسكرا ولكن عضو إسكرا سافر بمفرده لوجود عضو الحركة المصرية للتحرر الوطنى بالسجن آنذاك .

فى ١٦ مارس سنة ١٩٤٦ احتفل الديمقراطيون المصريون وعلى رأسهم الشيوعيون بجلاء الجيوش الامبريالية من سوريا ولبنان وحدثت صدامات دموية مع الإخوان المسلمين الذين تدخلت النيابة لحمايتهم ؛ وفى الثامن من أبريل نظمت الحركة المصرية بالاشتراك مع الديمقراطيين الآخرين مظاهرات واسعة فى مقر مؤتمر نقابات عمال مصر وفى الجامعة لتكريم الوفد السودانى عملاً بشعار الحركة المصرية « نضال مشترك ضد عدو مشترك ، وحق تقرير المصير للسودانيين » .

بين العمال العاطلين :

فى بداية سنة ١٩٤٦ حاولت الحركة المصرية جاهدة تنظيم العمال المسرحين من ورش الجيش البريطانى الحربية ، وحثت على إنشاء اتحاد يجمعهم بالقاهرة والأسكندرية . انضم هذا الاتحاد فيما بعد إلى مؤتمر نقابات عمال مصر ، وأثارت مظاهرات العاطلين

التى نظمها ضجة صحفية ؛ وفى الأسكندرية قام عدة آلاف من العمال العاطلين بمسيرة تلبية لدعوة قيادة الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

المؤتمر الدولى للسيدات الديمقراطيات :

فى يونيو سنة ١٩٤٦ ، أوفدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى إحدى عضواتها حاملة تفويضات من العاملات للمشاركة فى مؤتمر السيدات الديمقراطى التى مثلت إسكرا فيه ثلاث مبعوثات .

أول مايو ١٩٤٦ :

فى هذا اليوم احتفل الديمقراطيون بالعيد العالمى للعمال ، وطالبوا بالدعوة لمؤتمر من أجل إنشاء اتحاد عام للنقابات المصرية .

تدخل البوليس لتفريق المؤتمرين الذين عادوا للاجتماع مرة أخرى ، ولكن المواقف الانتهازية للفجر الجديد حالت دون بلوغ المؤتمر النتيجة المأمولة .

فى نهاية مايو ١٩٤٦ :

نظمت الحركة المصرية للتحرر الوطنى أكبر إضراب عرفته مصر فى تاريخها ، ووقفت « إسكرا » تراقب عن بُعد بينما حاول « الفجر الجديد » إفساده ، مثله فى ذلك مثل الإخوان المسلمين .

استمر الإضراب خمسة أيام وشارك فيه ١٥٠٠٠ عامل من شبرا الخيمة ، وكانت أهدافه هى ضمان حق الإضراب ، والحفاظ على مستوى الأجور التى يرغب أرباب العمل فى تخفيضها ، وإيقاف فصل العمال .

هذا ، وقد نظمت الحركة المصرية أيضاً إضراب عمال شركة غزل القطن بالأسكندرية .

١١ يوليو ١٩٤٦ :

طالبت الحركة المصرية للتحرر الوطنى بتشكيل لجنة اتصال للتنسيق بين الحركات الديمقراطية فى النضال ضد مشاريع صدقى باشا الامبريالية فى المفاوضات مع انجلترا ، وتشكلت بالفعل لجنة من مجلة « النضال المشترك » ، واتحاد الطلاب المصريين ، ونظيريه السودانى والنوبى ، والشباب الوفدى ، وشباب الكتلة (الكتلة الوفدية المستقلة) ، والشبان المسلمين ، والشباب السعدى الحر ، وشباب الحزب الوطنى ، إلخ .

نظمت هذه اللجنة المظاهرات بمناسبة ذكرى قصف الأسطول البريطانى للأسكندرية فى الحادى عشر من يوليو ، وشاركت الحركة المصرية والجرائد فى هذه المناسبة بتوزيع المنشورات ونشر النداءات .

الفترة الثالثة

من ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ إلى سبتمبر سنة ١٩٤٧ : تجمع القوة الرجعية :

تشهد هذه الفترة نهاية « الرخاء » الاقتصادى والصناعى الناتج عن الحرب : ارتفع معدل البطالة والتسريحات ، وأخذ مستوى الأجور فى الهبوط بينما أصبحت الإضرابات العمالية أشد قسوة وأقل نجاحاً لازدياد شراسة وسائل القمع حيث أصبح « النظام القائم » الأداة الطبيعية التى تستخدمها الامبريالية لتحطيم الحركة الشعبية ، والوقوف فى وجه المطالب الاقتصادية والنقابية للعمال ولطبقات الشعب المختلفة التى تناضل من أجل رفع مستوى المعيشة .

ومع هذا تفشل الحكومات المتعاقبة فى محاولاتها لهدم الحركة الشيوعية فتتجمع القوى الرجعية بقيادة الامبريالية للقضاء على الحركة الوطنية فى بدء المفاوضات الانجليزية المصرية ، وتحاول أولا تصفية الحركة الشيوعية فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ حيث يلقى صدقى باشا القبض على أكثر من مائتى شخص بتهمة تدبير « مؤامرات تخريبية » كما يقوم بإغلاق الأندية والجرائد التقدمية ؛ ولكن تنظيم الحركة المصرية السرى يتصدى للمحنة بقوة إذ لم يقبض إلا على خمسة من أعضائه بالرغم من أعماله العديدة ، ويقوم التنظيم بعد يومين بكشف الأهداف الحقيقية لحملة صدقى باشا الإرهابية كما يصدر العدد الأول من مجلة « المقاومة » نصف السرية التى تم طبعها فى مطبعة التنظيم السرية ، وقد قامت هذه المجلة بدور هام فى النضال ضد صدقى باشا ومحاولات التراضى مع الامبرياليين الانجليز وكشفت عن ضعف وانهزامية بعض مثقفى الحركة الذين انشقوا وشكلوا حركة مستقلة باسم « العصبة الماركسية » منذ أن ضربت الرجعية ضربتها الأولى .

موقف الحركة المصرية للتحرر الوطنى من النضال :

لم تنجح « حملة » صدقى باشا فى تنفيذ مشروع الامبريالية والنظام الرجعى الحاكم فى مصر إذ انضم الوفد والكتلة ، تحت الضغط الشعبى ، إلى الحملة الشرسة التى قام بها الشيوعيون والديمقراطيون ضد مفاوضات صدقى - ستانسجات Stansgate (ستانسجات) : إن الجامعة فتحت أبوابها فى أكتوبر ، وبدأ الطلبة ، فى القاهرة والأسكندرية ، سلسلة من حركات الاحتجاج التى كانت كثيراً ما تفضى إلى صدامات دموية مع البوليس والجيش ، فأعلن « الحصار » الدائم للجامعة بقوات من البوليس والجيش ، وفى نهاية سنة ١٩٤٦ اضطر صدقى باشا إلى تقديم استقالته التى كرست نهائيا فشل مشروع صدقى - بيفن .

فى هذه السنة الدراسية ، قدمت الحركة المصرية للتحرر الوطنى مشروع ميثاق وطنى

ترجع الإرهاصات الأولى للعمل الاشتراكى فى مصر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عندما بدأت بعض العناصر الأجنبية بالأسكندرية تنظيم الجماعات الماركسية الأولى التى لا نعرف عنها إلا القليل من المعلومات التى وردت على لسان جوزيف روزنتال فى تحقيقات النيابة العامة الخاصة بالحزب الشيوعى المصرى ، حيث أشار إلى أن العمال الأجانب بالأسكندرية نظموا - بإشرافه - حلقات لدراسة الاشتراكية كانت مقصورة على الأجانب وحدهم ، ثم فكر هؤلاء فى تأسيس حزب اشتراكى عام ١٩٢١ .

وكانت تلك السنوات سنوات مخاض سياسى بالنسبة لمصر ، فقد وقعت ثورة ١٩١٩ نتيجة تراكم سخط المصريين على الاحتلال البريطانى ، ومعاناتهم من عسف السلطات البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى ؛ فجندت موارد البلاد الاقتصادية لخدمة المجهود الحربى البريطانى ، وسيق شباب الفلاحين للخدمة ضمن ما سمى بـ « فرق العمل » و « فرق الجمالة » واستشهد عشرات الآلاف منهم فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وقامت السلطات البريطانية بتمويل قواتها فى مصر من الخزانة المصرية مقابل سندات تصدرها الخزانة البريطانية ، ونتج عن ذلك ربط الجنيه المصرى بالجنيه الاسترلينى ، وإحكام روابط التبعية الاقتصادية للاقتصاد البريطانى بما ترتب على ذلك من معاناة المصريين آثار التضخم ، وزيادة تكاليف المعيشة زيادة كبيرة عما كانت عليه قبل الحرب .

وتحمل المصريون ذلك كله على مضض ، على أمل أن تقدر بريطانيا لمصر مساندتها لها فى الحرب ، فتمنحها الاستقلال عندما تضع الحرب أوزارها . وعندما بدأت الدلائل تشير إلى اقتراب الحرب من نهايتها ، ذهب وفد من نخبة البورجوازية المصرية بزعامة سعد زغلول (فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨) يطلب السماح له بالسفر إلى الخارج لعرض مطالب مصر فى الاستقلال أمام مؤتمر الصلح ، فقوبل الطلب بالرفض . وعندما أيقن الانجليز أنهم أمام حركة سياسية منظمة تحظى بالتأييد الشعبى ، قاموا بنفى سعد زغلول ورفاقه ، فانفجر بركان ثورة ١٩١٩ الشعبية التلقائية التى شاركت فيها الجماهير المصرية ، والتى أرغمت الانجليز على التفاوض مع قيادات البورجوازية المصرية ممثلة فى « الوفد » .

ولكن ما كانت بريطانيا على استعداد لتقديمه كان دون المطالب الوطنية بكثير ، فلم يكن

للطلبة إلى لجنة التنسيق بين الحركات الماركسية ،وقام اتحاد الطلاب المصريين بتقديمه إلى شباب الأحزاب المختلفة الذين وافقوا عليه جميعاً باستثناء الإخوان المسلمين ، فَطُبِعَ الميثاق وتم توزيعه بتوقيعات جميع الموافقين عليه .

كانت هذه هى المرة الأولى التى يصدر ويُوَزّع فيها فى مصر ميثاق وطنى يحدد بوضوح الأهداف الوطنية ويتعهد بالنضال من أجل تحقيقها ؛ وبعدها أصبح الشيوعيون ، بتحالفهم مع الشباب الوفدى ، القوة الرئيسية فى الجامعة .

فى سنة ١٩٤٧ ، يستأنف طلبة الجامعة ؛ بالقاهرة والأسكندرية ، النضال فيحتفلون بذكرى توقيع المعاهدة الانجليزية - المصرية بخصوص السودان (سنة ١٨٩٩) فى ١٩ يناير ؛ وتنظم الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا مظاهرات كبرى للاحتفال « بيوم نضال شعوب المستعمرات » فى ٢١ فبراير فيتدخل البوليس بعنف ويفتح الكوبرى الذى يصل شبرا الخيمة بالقاهرة لمنع العمال من التظاهر .

فى ٣١ مارس : مظاهرات دموية بمناسبة جلاء الانجليز عن القاهرة والأسكندرية ، ويشارك فى هذه المظاهرات عناصر من إسكرا والحركة المصرية للتحرر الوطنى التى تفضح هذا الجلاء الزائف ، ويردد فيها الشعب الشعارات الموجه بعضها ضد السراى خادم الامبريالية .

فى مايو ، حول العمال الأعضاء بالحركة المصرية للتحرر الوطنى جنازة صبرى أبو علم باشا أحد أمناء الوفد إلى مظاهرة وطنية واسعة ضد الامبريالية ، وفى العاشر من أبريل « يوم السودان » كشفت الحركة المصرية علنا فى المظاهرات وفى المجلات والمنشورات عن المواقف الانتهازية للوفد السودانى .

ثم نادت الحركة المصرية بعد هذا « بنقل المشكلة المصرية إلى مجلس الأمن » إذ كانت هذه هى الحلقة التى تتيح للنضال الوطنى فرصة التطور ، وذلك لعدم استعداد الشعب للقتال المسلح بعد فشل المفاوضات المباشرة .

أخذ هذا النداء يتكرر ، وأخذ مضمونه فى الاتساع حتى أصبح شعاراً وطنياً تسانده جميع القوى الديمقراطية فى البلد فاضطرت حكومة النقراشى تحت الضغط الشعبى إلى حمل المسألة المصرية إلى مجلس الأمن .

فى هذه الفترة ، بدأت أيضاً الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى طبع مجلة « نضال العمال » فى مطبعتها السرية الخاصة ، وقد أدت هذه المجلة دوراً كبيراً فى الدفاع عن الحقوق العمالية وربط نضالهم بالنضال الوطنى ضد الامبريالية .

ومن الأعمال الاقتصادية للحركة فى هذه الحقبة أيضاً إضراب الميكانيكيين الحربيين بمطار ألماظة القريب من القاهرة ،وقد نجح هذا الإضراب تماماً بعد أن احتل العمال مواقع العمل ؛ لذا لزم التنويه .

الوحـــدة :

فى مايو ١٩٤٧ ، تكونت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى باتحاد الحركة المصرية للتحرر الوطنى وحركة إسكرا ؛ وفى الشهور الأولى لتكوينها كان العمل الخارجى صعباً بسبب اتصالات ومشاكل التنظيم الداخلية .

وفى يونيو جمعت الحركة الديمقراطية التوكيلات ، وقامت بالدعاية اللازمة لسفر المبعوثين إلى الاتحاد العالمى للنقابات لتمثيل مصر فى اجتماع جمعيتها العامة برغم معارضة الحكومة والعقبات التى أقامها « الفجر الجديد » ؛ كما شاركت بفعالية فى إضراب خريجى المدارس الصناعية من أجل تحسين ظروف العمل .

كررت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى النداء بنقل المسألة المصرية إلى مجلس الأمن فى صحافتها السرية والرسمية ، وحاولت إيفاد أحد أمنائها لإسماع صوتها فى الأمم المتحدة ولكن سفارة الولايات المتحدة رفضت السماح له بدخول الولايات المتحدة .

أعدت الحركة الديمقراطية أيضاً دراسة عن المسألة السودانية تتيح للأمم المتحدة إضعاف المواقع الامبريالية بوادى النيل ، ووجهت إلى الوفد المصرى فى مجلس الأمن نداء بالمطالبة بوصاية مصر على السودان بدلاً من « وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى » التى تطالب بها البورجوازية المصرية ، وبالاعتراف بحق السودانيين فى تقرير المصير بعد جلاء الجيوش الامبريالية ؛ هذا بخلاف التقريرين عن معاهدتى سنة ١٩٣٦ وسنة ١٨٩٩ .

فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، ظهر وباء الكوليرا الذى ساهمت الحركة الديمقراطية فى مكافحته حيث شكلت بواسطة اتحاد الطلاب المصريين ولجان المصانع « لجانا لمكافحة الكوليرا » فى مختلف أحياء المدينة والمصانع والمدارس إلخ ، وأيضا فى الأقاليم ؛ وقد ساعدت هذه اللجان على امتداد نفوذ الشيوعيين إلى الكثير من الأوساط .

وفى الشهر نفسه أضرب المدرسون عن تصحيح الامتحانات بقيادة ومشاركة أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

حاولت الحركة الديمقراطية إعادة تشكيل اللجنة الوطنية على قاعدة أكثر متانة فنادت « بتكوين لجان وطنية فى المصانع والمدارس والأحياء الشعبية ، إلخ » ، وتضم هذه اللجان ، إلى جانب الشيوعيين ، أعضاء من مختلف الأحزاب ؛ وقد صاحبت هذه الحركة المنشورات والنشرات الرسمية وغير الرسمية ، وعمل عدد من هذه اللجان بنجاح أدى إلى امتداد نفوذ الحركة إلى الأحياء الشعبية ، خارج الدوائر المحدودة للعمال والطلبة ؛ وقد زادت هذه اللجان من وعى العمال الطبقى وإدراكهم لضرورة الوحدة العمالية .

وفى ديسمبر قادت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وشاركت فى إضراب المدرسين .

مجالات جديدة للنشاط :

امتد نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى إلى الأقاليم بالوجهين القبلى والبحرى حيث أسست مراكز لها فى جميع مراكز المديريات تقريباً ، واتصلت بعمال الأوتوبيس ، وعمال النسيج الآلى واليدوى ، وعمال محالج القطن ؛ كما أنشأت قسماً جديداً للحركة فى دمياط وكفر الدوار وعشرات القرى التى أقيمت بها صلات مع العمال الصناعيين وعمال مصانع السكر ، فضلاً عن صلاتها بالعصابات المسلحة فى الريف .

وفى القاهرة ، بدأ قسم المرأة فى التطور بين المصريات فضم مثقفات ، وعاملات ، إلخ ؛ واجتذبت الحركة أيضاً أعضاء بالمطبعة الوطنية والنقابة ، وبين الميكانيكيين والحجارين كما توسعت بين عمال النسيج والسكك الحديدية ووكلاء النيابة .

ملاحظات عن الفترة الثالثة :

جدير بالذكر أن المشاركة العمالية فى النضال الوطنى خلال هذه الفترة أضعف منها فى الفترة السابقة ؛ ويعود هذا إلى الظروف الاقتصادية الصعبة ، وتسريح عدد كبير من المناضلين النقابيين بالإضافة إلى ضعف التنظيمات العمالية إزاء الهجمات الوحشية المتكررة للرجعية التى لم تتردد فى استخدام الدبابات والبنادق ضد العمال ، فاضطر أولئك إلى التركيز على النضال الاقتصادى الذى كان بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت بحق (النضال ضد نقل المصانع إلى القاهرة إلخ) .

وبالرغم من هذا ، فقد زادت هذه المحن الصعبة من إحساس الطبقات العمالية بوحدتها .

الفترة الرابعة

الإعداد لحرب فلسطين ـ إعلان الأحكام العرفية :

عاد النقراشى باشا من مجلس الأمن معتقداً أن الضجة التى أثارها والموقف الانتهازى لحزب الوفد الذى رفض كشفه طوال عرض المسألة المصرية بالأمم المتحدة نجحا فى خداع الرأى العام ، ولكن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى استقبلته فى محطة القاهرة بمظاهرة عنيفة شاركت فيها السيدات .

أخذت إجراءات النقراشى لقمع الحركة الوطنية والحركة العمالية تزداد شدة ، وأصبحت القاهرة والأسكندرية ساحتين للقتال ضد المضربين من العمال والممرضين ، والطلبة والمدرسين والمهندسين إلخ ؛ وفى بداية سنة ١٩٤٨ وبرغم القمع البوليسى الشديد ، حرضت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الطلبة ، بصفة خاصة ، على القيام بسلسلة من الإضرابات وحركات الاحتجاج بمناسبة ذكرى معاهدة السودان .

وفور إعلان الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين الذى أيده الاتحاد السوفييتى

أصبحت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى المدافع عن هذا المشروع برغم معارضة بعض أعضائها ومعارضة الحركات الماركسية الأخرى ، وقد أثارت حملتها الصحفية الدعائية الرجعية التى وضعت قنبلة بالجريدة ، والبوليس الذى يعتبر الحركة الديمقراطية العدو الرئيسى القادر على تهديد الجيش المصرى من الخلف .

٢١ فبراير

رغم إجراءات البوليس الشديدة ، احتفلت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « بيوم نضال البلاد المستعمرة » بتوزيع المنشورات ونشر النداءات فى مجلاتها ؛ وقد حدثت مظاهرات فى هذا اليوم بين عمال النسيج والطلبة ولكن البوليس منع العمال من بلوغ المدينة وفرق مجموعة صغيرة من المتظاهرين بميدان الإسماعيلية ، موقع المظاهرات الكبرى فى سنة ١٩٤٦ .

فى أبريل ، قام الضباط وصف الضباط بإضراب ، وطالبت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بانضمام العمال والطلبة إلى الحركة فحدثت مظاهرات عنيفة بالقاهرة وبصفة خاصة فى الأسكندرية حيث أعادت مظاهرات العمال العنيفة ذكرى أيام سنة ١٩٤٦ العظيمة .

كان للمظاهرة الشعبية الناجحة التى نظمتها لأول مرة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى أحياء الجامعة والأزهر المكتظة بالسكان لتأييد مشروع تقسيم فلسطين تأثير كبير ، وقد وجد البوليس صعوبة كبيرة فى تفريق المتظاهرين ، ولم ينجح فى هذا إلا بعد القبض على بعض السيدات بالحركة .

النضال فى المجال الاقتصادى :

يعود الفضل فى النداء « بوحدة عمال المهنة الواحدة » إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى عمل أعضاؤها على دعمه من خلال الصحافة والمنشورات كما أنشئت اللجان التى تضم ممثلى المصانع والمناطق المختلفة ، وذلك على الرغم من اعتراض الحكومة على هذا الشعار بكل الوسائل .

إن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى قامت بدور أساسى فى إضراب المحلة الكبرى الذى شارك فيه حوالى ٢٥٠٠٠ من عمال النسيج ، وقد انتهزت الحركة هذه الفرصة لمناشدة جميع عمال النسيج فى مصر بالتضامن مع زملائهم فحدثت إضرابات ومظاهرات بين عمال شبرا الخيمة والأسكندرية إلخ ، وفى دمياط تظاهرت جميع المصانع وامتدت المظاهرات إلى المدينة ذاتها كما انعقد اجتماع يضم ممثلى العمال بهذه المناطق لتأييد مطالب المحلة وهى « تغيير النقابة الصفراء ، وتعديل لوائح المصنع » ، وكانت غالبية المشاركين فى الاجتماع أعضاء بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى أو مؤيدين لها .

انعقدت فى هذه الفترة أيضاً اجتماعات لممثلى المطابع المختلفة .

قادت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى حملة قوية ضد مشروع « كادر عمال النسيج » الذى قدمته الحكومة ، واحتجت عليه لجان المصانع التى تشرف عليها الحركة ونجحت بالفعل فى إلغائه .

وإزاء ضعف الحركة النقابية قررت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى إنشاء مكتب نقابى للاتصال بعدد كاف من أعضاء النقابات بالقاهرة والأقاليم ، وقد قدم المحامون الأعضاء بهذا المكتب خدمات لا تحصى للعمال المناضلين ودافعوا عن حقوقهم ، كما قام المكتب فى أول مايو بجمع المساهمات لصالح عمال مصانع « سباهى » المضربين .

بالإضافة إلى هذا تولت الحركة طبع ونشر وتوزيع الكتب والمجلات التالية :

الكتب :

— **لماذا ساندنا الاتحاد السوفييتى ؟**
— أندونيسيا المناضلة .
— الجلاء عن فلسطين !
— تقرير الرفيق جدانوف عن الوضع الدولى .
— ملخص « رأس المال » لكارل ماركس .
— أحمد حسين الفاشى .
— الثالث عشر من نوفمبر ، يوم الكفاح الوطنى .
— نريد أن نتعلم .
— الحكومة والشعب .
— مائتا مليون سيدة معنا .
— الجبهة الشعبية .

المجـــلات :

« **الجماهير** » : مجلة سياسية أسبوعية تصدر رسمياً ويوزع منها فى المتوسط من ٧٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ نسخة ، ويبلغ الحد الأقصى فى التوزيع ١٥٠٠٠ نسخة .

« **نضال العمال** » : مجلة أسبوعية نصف سرية .

« **صوت الطالب** » : من أعمال الحركة الديمقراطية أيضا فى هذه الفترة الإضراب الذى قام به الميكانيكيون بالمطارات الحربية من أجل رفع مستوى المعيشة ، وقد حقق هذا الإضراب النجاح بعد أيام من بدايته ، وألقى القبض أثناءه على بعض أعضاء الحركة بصفتهم « المحرضين » عليه ولكن سرعان ما أفرج عنهم بعد أن تضامن العمال معهم .

ينبغى هنا الإشارة إلى الأزمة الداخلية التى تنمو داخل الحركة الديمقراطية للتحرر

الوطنى وتعرقل العمل بها منذ سنة ١٩٤٨ ، وبالإضافة إلى هذا كان نضال أعضاء الحركة قاسياً بسبب المعارضة الوحشية التى يصطدم بها يومياً من جانب البوليس السياسى ؛ وقد قدم هؤلاء المناضلون تضحيات مادية لا نظير لها ، وأظهروا روح فداء وتفانيا فريدين .

خاتمــــة

قدمنا فيما سبق لمحة سريعة عن أعمال الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بالخارج ، ومنها يتضح :

١ ـ أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى حاولت منذ البداية :

— ربط النظرية الماركسية بحركة الجماهير المصرية والعمال بصفة خاصة .
— الاتصال بالمثقفين المصريين رغم معارضة غالبية العناصر غير المصرية آنذاك .
— الاتصال بالعناصر الفقيرة والطبقة العمالية .
— اجتذاب الأعضاء بصفتهم الشخصية .
— قيادة بعض الأنشطة المحلية بطريقة غير مباشرة .
— المشاركة الكاملة فى صراع الطبقات وفى النضال الوطنى .

وقد عملت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى هذه المجالات بدون مساعدة خارجية باستثناء مجال الكتب والدراسات التى يصعب فهمها على أشخاص لا خبرة لهم .

إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى لم تكن لتستطيع « البقاء » بعد كل الضربات التى وجهتها إليها الرجعية لولا خطها الثورى القائم على تجارب النضال المصرى الملموسة فى وقت لم تعرف فيه مصر العمل الثورى .

٢ ـ إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى أعدت فى أتون العمل ، بعيداً عن التأثير البورجوازى غير الثورى ، مواقفها من المسائل الحيوية الخاصة بالنضال من أجل التحرير فى مصر والسودان والبلاد العربية فكانت الحركة الوحيدة التى تبنت موقفاً مستقلاً من المسائل الوطنية ، فى مصر والسودان ، على أساس مبادىء الماركسية ـ اللينينية حيث اعترفت بحق تقرير المصير للسودانيين ، ونادت بإلغاء معاهدتى سنة ١٩٣٦ وسنة ١٨٩٩ ، وطالبت بعرض المشكلة المصرية على مجلس الأمن ؛ وكانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة ، سواء فى مصر أو على الصعيد العربى ، التى تبنت موقفاً سليماً من المسألة الفلسطينية بالدفاع عن مشروع التقسيم .

ويمكننا اليوم أن نؤكد أن الشعب بأجمعه وافق على الشعارات التى رفعتها الحركة المصرية للتعبير عن تطلعاته رغم اعتراض التنظيمات الأخرى عليها فى كل مرة .

٣ ـ إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى اتخذت وحدة النضال

أساسا للتنظيم فحولته من تنظيم دراسى شبيه بتنظيم إسكرا إلى تنظيم نضالى يتفق تطبيقه مع تطور الحركة ويخدمه .

٤ - إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى لم تر فى هجمات وضربات الرجعية داعيا للخوف والقلق إذ اعتبرتها دائما سببا للتفاؤل بمستقبل النضال ، وقد نجحت الحركة بالفعل فى التكيف مع الظروف المتغيرة والقاسية للحفاظ على سيرتها .

لقد كانت الحركة المصرية هى الحركة الديمقراطية الوحيدة التى ردت على حملة صدقى الإرهابية بنشاط متزايد كما كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى ساندت علنا مشروع تقسيم فلسطين رغم هجوم الفاشيين والرجعية بأكملها بينما سيطر التشاؤم والانهزامية على الحركات الأخرى ؛ وكانت العناصر الثورية داخل الحركة الديمقراطية هى التى أصرت على دعم العمل الخارجى فى الفترة الحرجة من فبراير إلى يونيو سنة ١٩٤٦ بينما كانت عناصر إسكرا الانتهازية ترغب فى التركيز على العمل الداخلى .

٥ - إن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تشارك اليوم أيضا بفعالية فى النضال الوطنى فتنمى ارتباطها بالطبقة العمالية وبالشعب بينما تجد التنظيمات الأخرى جميع الظروف صالحة للهرب من النضال مفضلة بث الفرقة والانقسام داخل الحركة الشيوعية .

إن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، امتداد الحركة المصرية والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، هى الحركة الأكثر تماسكا ، من ناحية الأيديولوجية والتنظيم ، فى الوقت الذى تزداد فيه الحركات الأخرى انقساما وتكاد تصل إلى حافة اليأس ، وهى اليوم تواصل نضالها من أجل التحرر الوطنى ، ومن أجل نظام ديمقراطى شعبى ، ومن أجل الاشتراكية والسلام مليئة بالتفاؤل والثقة فى القوى الديمقراطية الوطنية وعلى رأسها قوة الاتحاد السوفييتى ورئيسه الفذ الرفيق ستالين .

المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني في عام الوحدة مايو ١٩٤٧ - يونيو ١٩٤٨

تقرير من هنري كورييل إلى رفاقه في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني في نهاية عام ١٩٥٥

مقدمـــة :

إن الغرض من هذا التقرير هو تقديم وصف سريع للمراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، أثناء العام المسمى « بعام الوحدة » (مايو سنة ١٩٤٧ -يونيوسنة ١٩٤٨) ، وهو لا يعد تقريرا تحليليا ، ولا نقديا ، كما لا يمكن أعتباره من قبيل النقد الذاتى .

وبالرغم من ضعف الموضوع إلا أن لهذا التقرير أهمية خاصة ، فهو يكشف بالفعل مجريات الأمور فى أعنف صراع داخلى عرفته الحركة الشيوعية المصرية إلى اليوم ، وهو الصراع بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى والتيار المدعو « بالإسكرى » .

إن هذا الصراع لا يعد جديداً بالنسبة للعارفين بتاريخ وتطور الحركة الشيوعية فى مصر ، فهو قد بدأ منذ عام ١٩٤٢ داخل دوائر محدودة جداً من الشباب المثقف ثقافة أجنبية والذى ينتمى إلى الماركسية ، فى وقت كانت تعد فيه الشيوعية غريبة تماما على المصريين ، الذين كانوا لا يعرفون شيئا عنها حيث أنهم قد نسوا بالكامل تجربة الحزب الشيوعى المصرى فى الفترة من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٤ ، ولم يبق أحد من كوادر الحزب القديمة [١] ؛ ينبغى إذن إعادة البناء كله ، والبدء من الصفر دون دراية بالصراع السياسي ولا التنظيم السرى .

كان تفسير الكتب الماركسية التى لم يترجم واحد منها فى هذه الفترة يؤدى إلى مناقشات لا نهاية لها ، وقد ظهر اتجاهان داخل هذه الدوائر الأولية : اتجاه ثورى يحدد ، **قولا وفعلا** قلب نظام الحكم الامبريالى القائم كهدف له ؛ وينتمى التيار الثانى إلى الماركسية اللينينية قولا ويتبنى **بالفعل** مواقف مهادنة توفيقية فهو تيار ثائر فحسب على بعض القيود والعراقيل فى المجتمع المصرى ولا يرغب فى قلب « النظام » الامبريالى .

انفصل هذان التياران فى سنة ١٩٤٢ ، وبينما أنشأ التيار الأول الحركة المصرية

---

(١) هذا افتئات على الحقيقة التاريخية ، فقد كان هناك مناضلون من الحزب القديم يمارسون نشاطهم عندئذ مثل شعبان حافظ ، وصفوان ابو الفتح ود . حسونة وغيرهم .

الانجليز على استعداد لإعطاء مصر الاستقلال التام ، وإنما كانوا يعرضون على الوفد المصرى درجة من الاستقلال الذاتى يمثل - فى حقيقة أمره - حماية « مقنّعة » ، وانتهى الأمر بإعلان استقلال مصر بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ مع سلب « الاستقلال » مضمونه الحقيقى بالإبقاء على جيش الاحتلال البريطانى فى مصر ، وبالتحفظات الأربعة الشهيرة التى لم تغير مضمون الهيمنة البريطانية على مصر .

ورغم أن حظ « ثورة ١٩١٩ » من النجاح كان محدودا ، خاصة أن الواقع الاقتصادى والاجتماعى لم يتغير ، إلا أن مصر ما بعد الثورة لم تعد كما كانت قبلها . كان الشباب الذى شقت حناجره بالمطالبة بالاستقلال فى المظاهرات العارمة ، وسقط منه الشهداء ، غير مقتنع بما أسفرت عنه الثورة من نتائج ، وخاصة أن الأزمة الاجتماعية كانت مستحكمة : فالفوارق شاسعة بين الملاك والمعدمين ، والبطالة تعض بأنيابها جيشا جرارا من العمال العاطلين ، وظروف العمل وشروطه بلغت درجة كبيرة من التدنى فى غيبة التشريعات التى تحفظ للعمال حقوقهم ، وتعترف لهم بحق التنظيم النقابى ، والسياسات الاجتماعية مصطلح مجهول فى السياسة المصرية ، وشباك التبعية الاقتصادية تنصب بإحكام حول مصر ، فيمتص الأجانب خيرات البلاد ، ويعيشون فيها فى وضع ممتاز ، بينما تحول المصريون إلى غرباء فى بلادهم . ومن ثم شغل الشباب المصرى المثقف بمستقبل بلاده ، وراح يبحث لها عن طريق أمثل للنهوض ، من خلال تبنى مشروع جديد للنهضة .

أضف إلى ذلك تردد أصداء ثورة أكتوبر ١٩١٧ الروسية فى مصر ، وانكباب بعض شباب المصريين على التعرف على الفكر الاشتراكى وخاصة من درسوا منهم بالجامعات الأوروبية ، فى محاولة للبحث عن علاج لما تعانيه مصر من أمراض اجتماعية .

وهكذا ، شكلت جماعة من الشباب المثقف حلقة تسعى لتأليف « جمعية اشتراكية » لدراسة مذاهب الاشتراكية المتعددة حتى يهتدون عن طريقها إلى صياغة برنامج ملائم للنهضة المصرية ، فكتبوا إلى جوزيف روزنتال يطلبون الاطلاع على برنامج حزبه ، حتى إذا صادف هواهم انضموا إليه ، وإذا لم يرق لهم أسسوا « جمعية » غايتها الدرس أكثر من السياسة ، يضع أعضاؤها مصلحة مصر نصب أعينهم ، ويكون غرضها نصرة المبادىء الاشتراكية المعتدلة ، وتبصير العمال بحقوقهم . وقد اتفق هؤلاء مع روزنتال على توحيد الجهود ، وإقامة « الحزب الاشتراكى المصرى » ونشر برنامج الحزب موقعا عليه من سلامة موسى ، وعلى العنانى ، ومحمد عبد الله عنان ، ومحمود حسنى العرابى ، واتخذ الحزب مركزا له بالقاهرة ، وافتتحت له فروع بالأقاليم . وغلبت على برنامج الحزب الصبغة الإصلاحية وتضمن تأكيدا ضمنيا على عدم أخذه بفكرة الصراع الطبقى .

وعندما أثار إعلان قيام الحزب رد فعل عنيفا من جانب القوى الرجعية ، تصدى رجال الحزب للرد على هؤلاء بتوضيح ما يرمى إليه حزبهم ، فغلبت على ردودهم روح التأثر

للتحرر الوطنى أسس التيار الثانى إسكرا ؛ ولم يكن كل من التيارين يضم أكثر من اثنى عشر عضوا .

أخذ هذان التنظيمان يعملان ويتطوران بسرعة فى ظل انتصار النظام الاشتراكى ، وهزيمة الفاشية ، والدفعة المحررة للشعوب ، حيث لم تكن الامبريالية والبورجوازية المصرية مسلحتين بدرجة كافية لمقاومة التنظيمات السرية محدودة الاتساع .

إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا كانتا تشكلان بلا جدال التنظيمين الشيوعيين المصريين الرئيسيين من حيث العدد والتأثير والتنظيم إلخ ؛ وهما مع هذا ، وبالرغم من انتساب كل منهما إلى الماركسية اللينينية ، غير متطابقين ؛ وقد تأكدت ونمت الاتجاهات المختلفة فيهما خلال ثلاث سنوات حتى انتهت بالانفصال عام ١٩٤٢ (٢) .

بينما كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تمارس سياسة « تمصير » وترتبط بالبورجوازية المصرية الصغيرة والفقيرة وبالعناصر العمالية « البروليتارية » الأولى ، كانت إسكرا التى ترفض التمصير باعتباره علامة من علامات التطرف الوطنى تنمو بصفة خاصة بين طبقات البورجوازية اليهودية ميسورة الحال ، وبين العناصر المثقفة والمتقدمة فى البورجوازية المصرية الثرية .

كان للتركيب العضوى لهاتين الحركتين أثر حاسم على تنظيم وأسلوب عمل كل منهما : كانت الحركة المصرية تعد أساليب للنضال مرتبطة بالجماهير الكادحة « البروليتاريا » وصغار البورجوازيين الفقراء ، أما إسكرا فكانت تعد سياسة « حزبية » كنشاط سياسي « ؟ » ووسيلة لاجتذاب الأعضاء ؛ وبينما تعد الحركة المصرية للتحرر الوطنى مفهوم « الخلية وحدة النضال » كأساس للتنظيم ، كانت إسكرا تطبق مبدأ « الخلية وحدة الدراسة » ؛ وبينما تؤيد إسكرا براودر Browder وتتحيز لنظرياته Browderisme ، كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى ترفض مواقفه الإصلاحية منذ البداية ، أى قبل النقد العظيم الذى قدمه الرفيق دوكلوس Duclos عن هذه النظريات .

ومع هذا ، ليس من المبالغة القول بأن معرفة الحركتين ببعضهما البعض ، بعد صراع دام ثلاث سنوات فى مجالات عمل واسعة الاختلاف ، معرفة محدودة لدرجة يصعب معها ، حتى على أقدم القادة ، تحديد أوجه الخلاف بينهما بدقة ؛ وكان الأعضاء الأساسيون غير قادرين على فهم أو تبرير الانفصال . وخاصة أن العمل الممتد للتنظيمين ، ولقاء عناصرهما أثناء العمل : فى الجامعة بصفة رئيسية وفى الأحياء العمالية بالقاهرة ، كل هذا جعل من محاولة الوحدة ضرورة .

---

(٢) من الملاحظ ان كورييل يخلط بين مرحلة « الصالونات » الماركسية السابقة على تكوين التنظيمات ، ومرحلة التنظيم ، فإن كلا من « اسكرا » و « حمتو » تأسسا فى ١٩٤٣ ، ولم يكن لهما وجود تنظيمي قبل ذلك التاريخ .

كان لقاء تيارين إصلاحيين ثوريين فى تنظيم شيوعى واحد شيئا جديداً فى مصر فهو يعد تجربة جديدة بالنسبة للثوريين المصريين ؛ لقد عرفت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى تاريخها القصير صراعا داخليا أخذ فى بعض الأوقات طابعا لا ينقصه العنف ، ولكن العمل مع أعضاء تنظيم مختلف لهم مفهومهم السياسى المختلف كان أمراً جديداً عليها ؛ أما إسكرا فلم تعرف انشقاقا ولا صراعا داخليا .

بالنسبة للحركة الشيوعية المصرية ، كان عام الوحدة ، وهو فترة قصيرة للغاية بالقياس إلى أهمية وتأثير الأحداث التى جرت فيه ، هو العام الذى حدثت فيه تجربة سياسية ذات أهمية بالغة إذ أدرك التياران اللذان عملا جنبا إلى جنب تناقضهما **الأساسى** فى هذا العام ، ولم تكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى التى وضعت نهاية للوحدة ، فالإسكريون هم الذين انشقوا وانقسموا إلى مجموعات عديدة ؛ واليوم يعتبر اسم « إسكرا » أو الوصف « بالإسكرية » إهانة داخل الحركة التقدمية المصرية ، وأول المتنكرين لماضيهم والرافضين له هم المؤسسون والأعضاء القدماء بإسكرا الذين يظنون أن الكلمات قادرة على الإقناع بأن انتهازيتهم قد انتهت .

واليوم إذ تستمر الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى طريقها باسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » فهى تواصل النضال من أجل التحرر الوطنى ، والسلام ، والاشتراكية ، غنية بتجربة جديدة ، وقوية بالنضال الذى قادته بلا هوادة ضد جميع التيارات والانحرافات ، وممتلئة ثقة وإيمانا .

الصراع بين التيار الثورى والتيار الانتهازى داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى

الحقبة الثانية : من يونيو سنة ١٩٤٧ إلى يوليو سنة ١٩٤٨

مقدمة :

١ ـ الإعداد للوحدة :

تمت فى الفترة التى تسبق مباشرة الوحدة بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا اتحادات ثانوية تدور حول هذين القطبين الرئيسيين إذ انضم إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى جزء من تنظيمى « تحرير الشعب » و « القلعة » ، بينما انضم بقية أعضاء التنظيمين إلى إسكرا التى لم تنجح مع هـذا فى ضم قطاع الأسكنـدرية من تنظيم « الطليعة » .

كانت إسكرا تستعد للوحدة برفع جميع مرشحيها إلى مرتبة الأعضاء وبإعلانهم بالوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى ؛ وبهذه الطريقة تقدمت إسكرا للوحدة وعدد أعضائها حوالى الثمانمائة بينما كان عدد أعضاء الحركة المصرية للتحرر الـوطنى خمسمائة تقريبا .

٢ ـ الاتحاد :

تم الاتحاد على الصعيد التنظيمى بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا على قاعدة من المساواة حوالى نهاية مايو سنة ١٩٤٧ ، وتكونتْ اللجنة المركزية من عشرة أعضاء يتم اختيارهم بالتساوى من أعضاء الحركتين ، وظلت التنظيمات الأساسية بلا تغيير ، وإن أصبحت تابعة لهيئات متحدة أعلى .

٣ ـ مراحل هذه الحقبة :

يمكن تقسيم هذه الحقبة إلى أربع مراحل رئيسية وفقا لتطور الصراع الداخلى بين التنظيمين اللذين يمثلان فى جوهرهما تيارين مختلفين :

أ ـ من يونيو سنة ١٩٤٧ إلى سبتمبر سنة ١٩٤٧ : مرحلة « شهر العسل » .

ب ـ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ إلى فبراير سنة ١٩٤٨ : ظهور اتجاهات للانقسام والانشقاق مرتبطة بفشل كوادر إسكرا فى الصراع .

جـ ـ من فبراير إلى مايو سنة ١٩٤٨ : تبلور الانقسامات وفساد الحركة .

د ـ من مايو إلى يوليو سنة ١٩٤٨ : **انشقاق « عادل »** [٣] **وإعلان الأحكام العرفية** .

والجدير بالذكر أن جميع هذه المراحل حدثت خلال سنة واحدة ، وهى فترة قصيرة بالمقارنة بما جرى فيها من أحداث وتبلور الاتجاهات ، وبالمقارنة بالخطوات الواسعة التى

---

(٣) عبد المعبود الجبيلى .

قطعها الوعى الشيوعى فى مصر، رغم الانقسامات والانشقاقات ؛ لقد كانت الوحدة بين « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » و« إسكرا » مرحلة ضرورية ينبغى المرور بها سواء فى مايو سنة ١٩٤٧ أو بعدها .

المرحلة الأولى : ويمثلها تشكيل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى كنتيجة للوحدة ، ومواقفها السياسية ، ووجود أسلوبين للعمل بها ، إنها مرحلة شهر العسل الممتدة من يونيو سنة ١٩٤٧ إلى سبتمبر سنة ١٩٤٧ .

التركيب الاجتماعى للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

يمكن إعطاء الجدول التالى من خلال الأرقام التى قدمتها كل من الحركتين عند القيام بالوحدة :

	الحركة المصرية		إسكرا		الحركة الديمقراطية	
عمال	٢٥٠	٪٥٠	١٤٠	٪١٦	٣٩٠	٪٢٨
طلبة	٨٠	٪١٦	٢٠٠	٪٢٢	٢٨٠	٪٢٠
شباب	٩٠	٪١٨	—	—	٩٠	٪٦
مثقفون	—	—	٢٠٠	٪٢٢	٢٠٠	٪١٤
اجانب	—	—	٣٦٠	٪٤٠	٣٦٠	٪٢٦
جيش	٢٥	٪٥	—	—	٢٥	٪٢
ازهريون	٢٥	٪٥	—	—	٢٥	٪٢
سودانيون	٣٠	٪٦	—	—	٣٠	٪٢
المجموع	٥٠٠		٩٠٠		١٤٠٠	

كان نصف الأعضاء التسعمائة الذين قدمتهم إسكرا من المرشحين الذين أصبحوا أعضاء عند القيام بالوحدة ، ولكن الأهم من هذا هو أن الأرقام التى قدمتها إسكرا مبالغ فيها إلى حد لا يستهان به ، إذ اكتشفنا عند الوحدة وجود أسماء وهمية وأخرى موجودة على قائمتى التنظيمين معاً ؛ يمكننا إذن القول إن الحركة الديمقراطية تضم حوالى **ألف عضو** ؛ وقد يحتوى هذا التقدير أيضاً على نسبة من الخطأ .

وجدير بالذكر أيضاً أن المستوى العام للأعضاء قد انخفض بالنسبة لما كان عليه فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، حيث قلت كثيراً بالنسبة المئوية للعمال ، بينما زاد التدفق الحقيقى للمثقفين والأجانب بين صفوف الحركة ؛ ومع هذا فقد تقدمت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى على إسكرا من حيث التركيب العضوى ، وهذا ما ظهر فى تحمس أعضاء إسكرا المطلق للوحدة .

ولإدراك هذه الحقيقة ، يكفى إلقاء نظرة على طبيعة الأعضاء الذين تتشكل منهم اللجنة المركزية الجديدة والأمانة .

اللجنة المركزية : **حركة مصرية** : حميدو[٤] ، بدر[٥] ، علام[٦] من العمال ، يونس[٧] يهودى ثقافته أجنبية ، وشوقى[٨] طالب .

إسكرا : عادل[٩] ، سليمان[١٠] ، عباس[١١] من المثقفين ، شديد[١٢] طالب ، وشندى[١٣] يهودى ثقافته أجنبية .

الأمانة العمالية : بدر وحميدو من الحركة المصرية ، عادل وعباس من المثقفين بإسكرا .

الأمانة غير العمالية : يونس ، شوقى ، عارف من المثقفين بالحركة المصرية ، شندى ، شديد وسليم[١٤] من المثقفين بإسكرا .

يلاحظ فى تشكيل اللجنة المركزية ، عجز إسكرا عن تقديم عضو من العمال للترشيح للإدارة مقابل ثلاثة قدمتهم الحركة المصرية ، ومقابل ذلك قدمت إسكرا عدداً كبيراً من المثقفين ؛ يلاحظ أيضاً وجود صلات قربى أو زمالة دراسية بين الأعضاء من القادة الذين قدمتهم إسكرا ، وهو أمر لا وجود له فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

رد فعل الوحدة :

أ ـ فى الداخل :

* **بين الأعضاء** : حماس عام بين أعضاء إسكرا وحماس جزئى بين أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى ؛ كان من نتيجة هذه المشاعر المتنوعة أن اعتبر الأعضاء أنفسهم فى فترة « شهر عسل » ، فأهملوا الصراع الداخلى من أجل تحقيق وحدة حقيقية بعد الوحدة على الصعيد التنظيمى .

* **بين قادة إسكرا** : استسلام مؤقت يصحبه ميل إلى التحكم فى القطاعات العمالية التى يركزون كوادرهم المثقفة بها .

---

(٤) محمد شطا .
(٥) سيد رفاعى .
(٦) على كامل .
(٧) هنري كوربيل .
(٨) كمال شعبان .
(٩) عبد المعبود الجبيلى .
(١٠) شهدى عطية الشافعى .
(١١) عبد الرحمن الناصر .
(١٢) غير معروف .
(١٣) هليل شوارتز .
(١٤) سدنى سلامون .

بين قادة الحركة المصرية للتحرر الوطنى : حماس ساذج للوحدة واعتقاد خاطىء بضعف التيار الانتهازى فى إسكرا مع تركيز على العمل الخارجى .

ب ـ فى الخارج :

ـ اتحاد تنظيم « الطليعة » بالأسكندرية مع الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، ويمثل « الطليعة » فى اللجنة المركزية « صلاح » .

ـ اتحاد التنظيمات الماركسية الأخرى مثل « العصبة الماركسية » و « الفجر الجديد » و « وادى النيل » ، والبقية الباقية من « تحرير الشعب » فى كتلة واحدة هى « كتلة المعارضة » التى تهدف إلى القضاء على « الفاشية والامبريالية والصهيونية » الممثلة ، من وجهة نظرهم ، فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، إذ ترى هذه التنظيمات أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى تمثل تياراً سليماً نسبياً قد وقعت تحت التأثير الانتهازى لإسكرا ؛ لم يكن لهذه الحملة المصحوبة بجميع أنواع الافتراءات إلا تأثير ضعيف جداً أدى إلى انفصال بعض أعضاء تنظيم « القلعة » بقيادة شخص يدعى « خانا » khana وانضمامهم إلى « كتلة المعارضة » بالاتحاد مع « العصبة الماركسية » .

كانت هذه الكتلة تعبر عن ميل الدوائر الصغيرة للاتحاد من أجل التصدى لتأثير الحركة الديمقراطية الكبيرة على أعضائها ؛ وبينما هى تدعى محاربة انتهازية إسكرا ، كانت فى الواقع تريد تحطيم الوحدة القائمة .

أسلوبان للعمل :

كان لكل من التنظيمين سياسة وأسلوب خاص فى العمل ، بالإضافة إلى الاتجاهات الذاتية لكل منهما ؛ والمهم هنا هو التركيز على أسلوب العمل الذى جربه تيار الحركة المصرية للتحرر الوطنى ؛ وهو التيار الثورى داخل التنظيم الموحد .

* سياسة « تحويل » الحركة الديمقراطية إلى « حركة عمالية (بروليتـارية) » والاستمرار فى تطوير خط الحركة المصرية .
* سياسة عزل الأجانب داخل الحركة باعتبارهم عناصر لم يتم تمصيرها ، وهى عناصر من حركة إسكرا .
* محاربة التأثير السيىء للعنـاصر الإسكريـة المثقفة ، ومحـاولة عـزلها حتى لا « تحول » العمال إلى « مثقفين » بالمعنى السيىء للكلمة .
* وضع حد للفضائح الجنسية المنتشرة فى إسكرا ، وتشكيل قطاع مستقل للمرأة .
* وضع حد « للأقسام » و « الأندية الحمراء ١٠٠٪ » التى تشكل أسلوب إسكرا الرئيسى فى العمل والنضال السياسى ، مع إقامة فواصل رأسية وأفقية لضمان الحماية للتنظيم السرى .
* وضع حد « للشللية » ـ سواء العائلية أوتلك المؤلفة من أصدقاء ـ التى هى أساس

التنظيم فى إسكرا ، وإقامة التنظيم على أساس « الخلية وحدة النضال » مكان العمل ، وبدرجة أقل المسكن ، كما كان الحال أثناء فترة الكوليرا ، والنضال من أجل عرض المسألة المصرية على مجلس الأمن .

* دعم نقاط الارتكاز الضعيفة بإعطائها استقلالاً واسعاً يتيح لها التطور مع ربطها بالمركز : العمال ، السودانيون ، الأزهريون ، والأقاليم .

من المهم ملاحظة أن مستوى التنظيم والإدراك لمعنى كلمة « تنظيم » وماهيته كانا ضعيفين للغاية حيث أن مفهوم « الخلية وحدة النضال » الذى تم إعداده وتطويره فى الحركة المصرية كان مجهولاً تماماً فى إسكرا ، أى أنه مجهول من أكثر من نصف أعضاء التنظيم الجديد ؛ و « مراكز النشاط » لم تتعد فى أغلب الأحيان تشكيل « الدوائر المحدودة » ؛ أما « النضال » ، و « الارتباط بالجماهير » ، و « المشاركة فى نضال الجماهير » ، هذه المفاهيم فى مجموعها كانت مجهولة تماماً فى إسكرا التى يركز أسلوب العمل بها على الدراسة النظرية للماركسية ، على ضم الأعضاء على « أساس القناعة الشخصية » ؛ لذا شعر الأعضاء الأساسيون بالحركة المصرية للتحرر الوطنى « بالاغتراب » ، فالغالبية العظمى منهم تنتمى إلى البورجوازية الصغيرة والفقيرة أو إلى العمال ، كما أنهم أقل « تعليماً » من عناصر إسكرا التى يغلب على تكوينها المثقفون من كبار البورجوازيين ، وهم لا يعرفون كيف يجذبون هذه العناصر إلى النضال ؛ هذه هى عناصر الوضع بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى تسود مفهوم التنظيم لديها فكرة تكوين قطاعات ، بصفة عامة مستقلة ، تتعاون فيما بينها وتجمعها أمانة عامة مشتركة أو غيرها ؛ كان هذا الأسلوب يتيح لأعضاء كل قطاع إدراك معنى النضال فى الوسط المناسب لهم : العمال بين العمال ، والطلبة بين الطلبة ، وجنود الجيش بالجيش ، والأزهريون بالأزهر إلخ .. كما يتيح أيضاً عدم إغراق العمال الضعاف جداً من الناحية السياسية ، والذين لم يحصلوا إلا على القليل جداً من التدريب باستثناء عدد محدود من الكوادر العمالية ، فى أوساط المثقفين بإسكرا الذين لا تعنى « المسئولية » لديهم « أكثر من دراسة نظرية ولباقة فى الحديث » .

على هذا الأساس ، انقسمت الحركة إلى قطاعات ، ويعد هذا الشكل التنظيمى شكلاً انتقالياً إلى شكل تنظيمى أعلى ، وتم تشكيل أمانتين : أمانة عمالية ، وأخرى « غير عمالية » مكلفة بإدارة نضال القطاعات غير العمالية والتنسيق بينها .

بعد شهرين تقريباً من التنظيم الأول ، اتضح أن القطاعات تتطلب إشرافاً مباشراً من المركز ، أى أن اللجنة المركزية عليها أن تتخلص من بعض العناصر لتصبح أكثر إنتاجية ، وقد استبعد منها بالفعل أربعة أعضاء وهم شوقى وعلام وعباس وشديد ، كما تم حل الأمانة غير العمالية التى تبين عجزها الفعلى عن إدارة جميع القطاعات غير العمالية ،

وتكونت أمانة أخرى من شوقى وشكرى وشديد وعادل الذى أقصى من الأمانة العمالية ليحل مكانه حلمى[١٥] ، وهو مثقف مصرى حاصل على لقب جامعى وعضو بإسكرا .

تم أيضاً تشكيل « مكتب دعاية » ثم « لجنة إشراف » مؤلفة أساساً من عناصر من الحركة المصرية ؛ وقد عملت القيادة عندئذ على دعم العناصر العمالية بالوجه البحرى كما استعدت لتطوير هذا العمل فى الوجه القبلى .

٤ ـ المواقف السياسية :

أ ـ اسم الحركة :

كان اختيار الاسم بمثابة معركة صغيرة وهادئة اقترح فيها يونس اسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ، الذى لا يعد جديداً بالنسبة للأعضاء القدامى بالحركة المصرية للتحرر الوطنى ، نظراً للمضمون السياسى الذى تحتويه كل كلمة من كلماته ، واقترح عادل اسم « الحركة العمالية للتحرر الوطنى » الذى رفض بالإجماع ، بعد تقرير الزميل يونس على أساس أنه ذو جوهر « انعزالى » ولا يعد مطابقاً لتكوين الحركة ولا لحقيقة نضالها .

ب ـ السودان :

كان على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، أثناء نظر المسألة المصرية بمجلس الأمن ، تقديم حل فورى ، وعدم الاكتفاء بصيغ عامة مثل : « النضال المشترك ضد الامبريالية » و « حق تقرير المصير للسودانيين » بعد الجلاء ، فقدم يونس تقريراً يقترح فيه « الوصاية المصرية على السودان تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة إلى أن يتمكن السودانيون من ممارسة حق تقرير المصير بعد جلاء الجيوش الانجليزية » بينما كان الهم الوحيد للقادة الإسكريين الذين تبنوا موقفاً سلبياً من المسائل السياسية هو الطريقة التى يتم بها إيفاد عادل إلى الأمم المتحدة لعرض وجهة نظر التقدميين المصريين ؛ وقد انتهت قيادة الحركة إلى الموافقة على اقتراح يونس بعد مناقشة واسعة له .

المرحلة الثانية : من سبتمبر ١٩٤٧ إلى فبراير ١٩٤٨ :

تشكيل قيادة مركزية ، الإعداد لمشروع الخط السياسى المقدم من يونس إنشاء « مدرسة كوادر » عمالية ، بداية ظهور وتبلور اتجاهات للانقسام والانشقاق ، المواقف السياسية ، فشل الإسكريين وانكشافهم فى الصراع المحتدم بين التيارين ، تشكيل قيادة مركزية .

أوضحت تجربة الشهور السابقة عجز اللجنة المركزية عن قيادة الحركة ، حيث أصبحت الحاجة ملحة إلى قيادة حقيقية لا مجرد لجنة للتنسيق بين القطاعات المختلفة ؛

---

(١٥) جلال كشك .

لهذا قررت اللجنة المركزية الدعوة إلى مؤتمر لتشكيل قيادة جديدة حوالى منتصف سبتمبر .

المؤتمر :

ضم المؤتمر واحدا وعشرين عضواً منهم أعضاء اللجنة المركزية السبعة ، وأعضاء الأمانتين ، والمسئولون السياسيون بالقطاعات ، وفيمايلى نقدم هؤلاء الأعضاء وفقاً لانتمائهم الأصلى :

الحركة المصرية : يونس ، بدر ، شوقى ، حميدو ، علام[١٦] ، منتصر ، خليل ، وعارف .

إسكرا : شندى ، عادل ، سليمان ، عباس ، شديد ، حلمى ، أميرة[١٧] ، ومجاهد[١٨] .

الطليعة : نور[١٩] وصلاح .

كانت القرارات الرئيسية للمؤتمر هى :

انتخاب أمانة اللجنة المركزية وتضم : يونس ، بدر ، شندى ، عادل .

انتخاب المكتب السياسى للجنة المركزية : شوقى ، حميدو ، سليمان ، نور ، يونس ، بدر ، عادل .

تكليف الأمانة والمكتب السياسى بتشكيل اللجنة المركزية .

الاتجاه « السليمانى »[٢٠] !

أثناء انعقاد هذا المؤتمر ظهرت أولى النغمات الشاذة أو أول صراع معلن وضع نهاية « لشهر العسل » ، اقترح سليمان فى هذا المؤتمر استبعاد يونس وشندى لأصلهما الأجنبى ، فهما يهوديان مثقفان ثقافة أجنبية وإن كانا يتمتعان بالجنسية المصرية ، ولحجب المعنى الحقيقى لاقتراحه باستبعاد يونس مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطنى وقائدها الرئيسى ، تحدث سليمان عن « تمصير » القيادة مكرراً الشعار الذى تستخدمه الحركة المصرية للتحرر الوطنى لفضح طبيعة إسكرا الحقة ؛ ولكن التمصير لم يكن مشكلة إذ ذاك ، حيث لم يكن بوسع أحد التشكيك فى الطبيعة المصرية للحركة وقيادتها ؛ وقد رفض المؤتمر اقتراح سليمان بالتصويت بعد مناقشة عنيفة له ، وكانت نتيجة التصويت :

---

(١٦) على كامل .

(١٧) إيمى ستون .

(١٨) احمد حمروش .

(١٩) عدلى جرجس .

(٢٠) نسبة إلى « سليمان » ، وهو شهدى عطية الشافعى .

عشرون صوتا مقابل صوت واحد هو صوت سليمان الذى قد يكون اتخذ هذا الموقف لفشله كمسئول سياسى عن المجلة الرسمية للحركة وبسبب النقد الموجه إلى إدارتها .

الأمانة والمكتب السياسى فى العمل :

كان أول عمل للأمانة هو إقصاء سليمان بالإجماع من إدارة المجلة ،لسان حال الحركة الرئيسى فى ذلك الوقت ، وتعيين عباس ، مثقف من أعضاء إسكرا ، بدلاً منه ، وقد اختير عباس أيضاً للمكتب السياسى ، واستبعد « مرسى » الإسكرى من قطاع الأجانب الذى يتولى مسئوليته ليصبح مسئولاً عن مكتب الدعاية ،هذا المكتب الذى أصبح فيما بعد وكرا للمؤامرات الانفصالية من جانب إسكرا ، كما أصبح عارف مسئولاً عن لجنة الاشراف التى تسيطر عليها عناصر الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

كان عادل يعمل « بالدعاية » بطريقة سطحية وغير محددة ، مما أثار الدهشة ثم الشعور بالغضب والثورة ضده ، وكان عدم انتظام صدور نشرة « الكادر » ، اللسان السرى الداخلى للحركة ، أحد الأسباب الرئيسية للشكوى منه ،فاضطرت الأمانة بكاملها إلى أن تتولى مسئولية إصدار هذه النشرة بانتظام ، وقد جعلت منها بحق لسانا لقيادة الحركة ، وكان الأعضاء يشكون أيضاً من الضعف السياسى والصحفى للمجلة الرسمية بالحركة ؛ أما شندى ، وهو المسئول عن قطاع الأجانب ، فقد تولى إدارة « العصبة اليهودية لمكافحة الصهيونية » ، وهى الرابطة التى شكلتها إسكرا بالرغم من معارضة الحركة المصرية العنيفة لها ، وكان تأسيس هذه الرابطة فى هذه المرحلة من الحياة السياسية المصرية ومن تطور المسألة الفلسطينية خطأ خطيراً ، حيث أدى تطبيق الخط السياسى للرابطة إلى أحداث استفزازية فى أوساط الشباب اليهودى ، وقد بلغت هذه الأحداث حد التحدى السافر بين الأعضاء اليهود من ساكنى الأحياء التى يتمركز فيها صغار البورجوازيين (كحى الظاهر مثلاً) وبين قيادة القطاع فقام شندى بحل العصبة « بهدوء » لأن الاعتراف بخطأ تشكيل العصبة يعنى الاعتراف بفشل إسكرا كلها ؛ وقد زاد من الغضب على شندى الذى يتولى مسئولية التنظيم استيلاء البوليس على مخزن سرى للكتب .

بالإضافة إلى هذا ،كانت الأمانة المحلية بالقاهرة عاجزة عن قيادة القطاعات المختلفة ؛ كما أدى الفهم الخاطىء للمركزية إلى عدم استقلال القطاعات التى لم تتح لها فرصة التطور ، وتبين فشل الأمانة العمالية حين ظهر ،نتيجة لتأثير العناصر الإسكرية التى تولت مسئولية القيادة اتجاه لعزل العمال عن الجماهير إذ أن هذه العناصر تعتبر قيادة النضال مسئولية تربوية وفكرية .

زاد الغضب فى القطاعات العمالية : إذ بدأ الإسكريون حملة إثارة داخلية ، مدعين أن الحركة تقف فى طريق وصول النظرية إلى الطبقة العمالية ، وطالبوا بتدفق المثقفين على

بالاشتراكية الفابية ، مما أدى إلى نشوب خلاف أيديولوجى بين مركز الحزب بالقاهرة وشعبة الاسكندرية ، أو ـ بمعنى أدق ـ بين المعتدلين من أبناء البورجوازية المصرية الذين ملكوا زمام قيادة الحزب ، وبين المتطرفين من أعضاء فرع الاسكندرية الذين مالوا إلى الماركسية ، أسفر عن عقد مؤتمر فى الاسكندرية (٣٠ يوليو ١٩٢٢) حضره مندوبون من جميع فروع الحزب ، بينهم وفد من القاهرة ، وتقرر بالاجماع اتخاذ فرع الاسكندرية مركزا لقيادة الحزب والأخذ بالماركسية ، وغير من برنامجه وشعاراته بما يتلاءم مع الاتجاه الجديد ، وأوفد محمود حسنى العرابى لحضور المؤتمر الرابع للكومنترن المنعقد بموسكو لاتخاذ إجراءات انضمام « الحزب الاشتراكى المصرى » إلى الدولية الثالثة (الكومنترن) وعندما عاد محمود حسنى العرابى إلى مصر أبلغ الحزب أن اللجنة المركزية للدولية الثالثة اشترطت لقبول الحزب فرعا لها ثلاثة شروط :

أولها : فصل روزنتال ، **وثانيها** : تغيير اسم الحزب من « اشتراكى » إلى « شيوعى » ، **وثالثها** : إعداد برنامج للفلاحين .

وعقد الحزب مؤتمرا ـ رغم محاولة البوليس إعاقة ذلك ـ ووافق على التعديلات الجديدة بما فى ذلك البرنامج ، وشكلت لجنة مركزية جديدة أصبح فيها محمود حسنى العرابى سكرتيرا عاما للحزب ، وبذلك أعلن قيام أول وآخر حزب شيوعى مصرى علنى فى يناير ١٩٢٣ . وخلال الفترة من يناير ١٩٢٣ إلى مارس ١٩٢٤ ، قام « الحزب الشيوعى المصرى » بتبنى خط « العمل المباشر » فالتحم باتحاد نقابات العمال ونظم سلسلة من الإضرابات والاعتصامات العمالية ، بلغت ذروتها بالاسكندرية ، وأدت إلى تحرك السلطات للقبض على قيادات الحزب وأعضائه وكذلك قيادات اتحاد النقابات ، وعدل قانون العقوبات باضافة المادة (١٥١) التى نصت على « معاقبة من يحرض على كراهة نظام الحكومة أو ينشر الأفكار الثورية المغايرة لمبادىء الدستور الأساسية ، أو يحبذ تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والإرهاب ، بالسجن لمدة لا تتجاوز خمس سنوات » .

وقضت محكمة جنايات الاسكندرية (أكتوبر ١٩٢٤) بمعاقبة كل من محمود حسنى العرابى وأنطون مارون بالسجن ثلاث سنوات ، كما حكمت بنفس العقوبة على الشيخ صفوان أبو الفتح والشحات إبراهيم ، واثنين من الأجانب هما ابرام كاتسى ، وهليل زانبرج ، وبالسجن ستة شهور على باقى المتهمين .

وترتب على ضرب « الحزب الشيوعى المصرى » وتصفيته نتيجتان على درجة كبيرة من الخطورة بالنسبة لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية والحركة العمالية المصرية :

أولاهما : أن النشاط الشيوعى اتجه إلى العمل السرى وأصبح مطاردا من البوليس السياسى مجرّما من وجهة النظر القانونية .

القطاعات العمالية كرد على شعار « ربط التثقيف بالنضال » الذى رفعه الرفيق بدر وهو عامل من أعضاء اللجنة المركزية بالحركة المصرية للتحرر الوطنى .

قررت اللجنة المركزية تخفيض الإعانات الممنوحة للمحترفين إلى ثمانية جنيهات أو اثنى عشر جنيهاً مصرياً ؛ كانت هذه الإعانات تتراوح ، تحت قيادة عادل ، بين ستة عشر وثمانية عشر جنيهاً مصرياً أى ثلاثة أضعاف ما كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تدفعه : أربعة أو ستة جنيهات مصرية ، وأعقب هذا التخفيض انهيار بالقطاعات العمالية الإسكرية الصامدة فقط بفعل النقود (!!!) .

* الاتجاه إلى عزل بعض العناصر من وسطها الطبيعى ، ومن مركز عملها ، أو التقليل من مسئولياتها : علام ، منتصر ، حميدو إلخ ..

* بداية تبلور الصراع بين أسلوبين لإعداد الكوادر العمالية : من ناحية التثقيف والعمل وسط الجماهير .

* توقف شبه كامل يتلوه هجر جزئى للعمل الخارجى بالقطاعات العمالية .

* إن هذه الأحداث كلها لعبت دوراً كبيراً فى التفشى السريع لروح الغضب داخل هذه القطاعات المختلفة .

فى قطاعات القاهرة : بين الطلبة بصفة خاصة :

— ازدياد عدد الأعضاء الجدد والمستويات الرأسية .

— سيطرة « التكتلات » القائمة بين العناصر الإسكرية على هيئات القيادة ، ووجود جو من عدم الاستقرار ، بالإضافة إلى فقد الكثير من الأعضاء بسبب « إعادة التنظيم » .

— سيطرة الإسكريين على هيئات القيادة العاجزة والضعيفة للغاية .

فى الأسكندرية : صراع شرس بين عناصر الحركة المصرية وإسكرا للسيطرة على اللجنة المحلية التى يديرها ، تحت ستار من « الحيدة » ، عناصر قديمة بالطليعة :

* انشقاق الإسكريين بالأسكندرية وانسحابهم بقيادة « عابدين »[21] ولكن عادل يقنعهم بالعودة ويلومهم على « تسرعهم الشديد فى إظهار غضبهم » !!!

* اتحاد العناصر « الإسكرية والطليعية » ضد عناصر الحركة المصرية التى يتم إبعادها عن كل المسئوليات : أبعد الرفيق « فوزى » عن اللجنة المحلية وأوفد إلى القاهرة .

* رد فعل عنيف من عناصر الحركة المصرية التى تطالب بعودة المسئولين إلى مواقعهم ، فتقوم لجنة تحقيق بإعادة الأمور مؤقتا إلى نصابها عن طريق توزيع المسئوليات بين عناصر الحركة المصرية وإسكرا ، ويوفد الرفيق « خليل »[22] من الحركة المصرية إلى اللجنة المحلية بالأسكندرية .

---

(٢١) عبد المنعم ابراهيم .

(٢٢) كمال عبد الحليم .

تغيير الأمانات :

تبنت الأمانة المركزية أسلوب الإشراف المباشر على العمل فى القطاعات المختلفة بواسطة نظام الاتصالات الأفقية فقامت بحل الأمانة المحلية بالقاهرة وتولت مسئولية القيادة مباشرة ، كما تم اختيار الرفيق « شوقى » لأمانة العمال .

وبعد فترة انحلت الأمانة العمالية لتأخذ مكانها « لجنة سياسية عمالية » مؤلفة من :

بدر وحميدو : عاملان من أعضاء الحركة المصرية .

شوقى : طالب فقير من صغار البورجوازيين وعضو بالحركة المصرية أيضاً .

حلمى : مثقف من البورجوازيين الأثرياء وهو عضو بإسكرا ، وكانت هذه اللجنة على اتصال مباشر بالأمانة المركزية .

خط الإعدادِ للكوادر العمالية :

قبل حل الأمانة قدمت عناصر الحركة المصرية مشروعاً لمحاولة القضاء على موجة المعارضة داخل القطاعات العمالية ، ويشمل هذا المشروع إنشاء مدرسة للكوادر على المدى الطويل بهدف الحد من سياسة الإثارة التى ينتهجها الإسكريون باحتجاجهم على « الحواجز » القائمة بين العمال والنظرية .

علينا هنا أن نعترف بأن عناصر الحركة المصرية كانت على خطأ فى هذا الموقف إذ أنها بدلاً من أن تعارض علنا الاتجاهات الإسكرية ؛ وبدلاً من أن تفضحها وتكشف عن جذورها ، قدمت هذا التقرير الذى يعد تنازلاً ساعد على زيادة السخط وعلى نمو الاتجاهات الانقسامية .

فى الوقت ذاته ، كان هناك الاكتتاب الاستثنائى لجمع أربعة آلاف جنيه مصري كمحاولة لحل المشكلة المالية التى تعانى منها الحركة ، وقد تم جمع ثلاثة أرباع هذا المبلغ ودفع الأجانب النسبة الغالبة منها .

اللجنة المركزية الجديدة (نوفمبر) :

قرر المكتب السياسى والأمانة المركزية **بالإجماع** تشكيل لجنة مركزية من **تسعة**[٢٣] **عناصر** من الحركة المصرية وهم : يونس ، شوقى ، بدر ، حميدو ، علام ، مجاهد ، عامر ، أميرة (وهى من عناصر إسكرا ولكنها تساند أفكار ومواقف الحركة المصرية) ؛ **وخمسة من إسكرا** : شندى ، وعادل ، عباس ، سليمان وشديد **وعنصر من « الطليعة »** : نور .

لم يثر هذا الاختيار اعتراضا واحداً إذ كانت هذه العناصر فى رأى الجميع هى بحق العناصر التى تمثل الحركة وتتولى قيادتها .

---

(٢٣) يلاحظ ان هنرى كورييل لم يعدد هنا سوى ثمانية افراد فقط .

وافقت اللجنة المركزية على الاكتتاب وعلى مشروع إنشاء مدرسة للكوادر ، كما وافقت على تقرير عن « وحدة الحركة » يطرح الدفاع عن هذه الوحدة كواجب ويطالب بالنضال الجدى من أجل التأسيس السريع للحزب ، ووافقت أيضا على صيغة « قسم » يلزم جميع الأعضاء بالدفاع عن وحدة الحركة واتباع مبادىء .

صفحة مفقودة من الأصل
(حوالى ٤٥٠ كلمة)

بتأثير من قيادة إسكرية مؤلفة من أبناء الباشوات و« الأجانب » - يطلق هذا الاسم على عناصر من جنسيات أجنبية مختلفة تعيش بعيدة تماما عن الحياة فى مصر ، وعلى اليهود البورجوازيين الأثرياء الذين لا يعرفون العربية حيث أن ثقافتهم أجنبية - الذين لا يشاركون فى نضال الحركة إلا فى نطاق ضيق جداً ، والذين رأوا تأثيرهم الطاغى فى إسكرا يصل إلى الصفر فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؛ كان طبيعيا إذن أن تثور هذه العناصر ضد « المركزية وضد التنظيم » فى تنظيم لا يسوده صراحة التيار الثورى .

كانت « الكتلة الثورية » هى طليعة العناصر الإصلاحية ، والتى يزيد شعورها بالاختناق داخل التنظيم كلما زاد تأثير التيار الثورى بالحركة (انظر التشكيل الجديد للجنة المركزية) ، وقد تبنت هذه الكتلة شعارات مثل « المركزية الدكتاتورية » و« الإرهاب داخل اللجنة المركزية » و« ١٠٠٪ عمل بين العمال الصناعيين » إلى آخر هذه الشعارات التى رفعها فيما بعد المنشقون الآخرون .

مدارس الكوادر العمالية :

فى يناير سنة ١٩٤٨ ، تم تأسيس المدرسة من فصلين ، وكان من المتوقع أن يضم هذان الفصلان أربعة عشر كادرا عماليا ، ولكنهما لم يضما بالفعل إلا ثمانية أو تسعة ؛ وقد أظهر الإسكريون حماسا بالغا لهذه المدرسة ، وجندوا أفضل كوادرهم للتدريس بها والإشراف عليها : عادل ، حلمى ، عباس ، مرسى[٢٤] إلخ ... ولم تعط عناصر الحركة المصرية مثل شوقى ومنير إلا عدداً محدوداً جداً من المحاضرات .

---

(٢٤) مارسيل إسرائيل .

وسرعان ما أصبحت المدرسة مدرسة للانقسام الإسكرى إذ كان لها تأثير كبير على تطور الصراع الداخلى الذى ساعدت على إثارته وازدياده .

مشروع الخط السياسى :

كلف المكتب السياسى والأمانة المركزية الرفيق يونس بإعداد مشروع خط سياسى ؛ قام يونس بإعداد المشروع وقدمه فى اجتماع اللجنة المركزية فى يناير سنة ١٩٤٨ ؛ صدقت اللجنة على المشروع وأمرت بنشره وتوزيعه على جميع الأعضاء لمناقشته على أساس أنه مقدم من اللجنة المركزية جمعاء .

كان المشروع يعرض للوضع الدولى ، ويحدد أهداف النضال بالحركة وهى : التحرر الوطنى ، نظام ديمقراطى شعبى ، والاشتراكية ، ويبرز دور جميع طبقات المجتمع المصرى فى هذا النضال ، ويضع استراتيجية الحركة على أساس تحالف متين بين الطبقة العاملة والفلاحين أولاً ، ثم صغار البورجوازيين الفقراء بالمدن والريف وجميع العناصر الراغبة بصدق فى النضال ضد الامبريالية .

ومن الناحية الداخلية ، أعلن يونس فى مشروعه أن الحلقة الرئيسية فى خط التطوير بالحركة هى « التعميل » بمعنى إعداد كوادر عمالية ، والتحسين من تركيب الحركة الاجتماعية عن طريق الزيادة المستمرة للعناصر العمالية بها ، وتحقيق الارتباط الوثيق بين الحركة ، وبصفة خاصة الأقسام المتقدمة بها ، والطبقة العاملة ، وتوسيع ودعم النضال الخارجى للحركة ، و« التحول » الأيديولوجى إلى « التعميل » ، وتجنيد الحركة ككل لبلوغ هذا الهدف ، كما طالب المشروع أيضا بالنضال من أجل إعداد « نظرية مصرية » أى ملائمة للظروف الخاصة للمجتمع وللنضال فى مصر .

أما من ناحية التنظيم ، فيوصى مشروع الرفيق يونس بالانتقال من مرحلة التنظيم ذى القطاعات ، إلى « تنظيم حزبى ماركسى - لينينى » على أساس مفهوم « الخلية وحدة النضال » ، ويتألف هذا التنظيم من نواة مركزية من الثوريين المحترفين أساسا ، ومن تنظيمات دائرية أساسية ، وتنظيمات حزبية من نوع « الشباب الشيوعى » إلخ ... وتنظيمات ديمقراطية يشرف عليها الحزب ؛ وقد وافقت اللجنة المركزية على التقرير ، وأمرت فى الاجتماع ذاته بالتحقيق فى المؤامرات الانفصالية التى يدبرها « التكتل الثورى » .

بعد فترة قصيرة من هذا الاجتماع ، قام المكتب السياسى والأمانة المركزية بتعيين ثلاثة رفاق جدد باللجنة المركزية وهم سالم[٢٥] ، وتوفيق ، ومنتصر ؛ والثلاثة أعضاء بالحركة المصرية .

---

(٢٥) فؤاد عبد الحليم .

الاتجاهات الانقسامية تنمو بين العناصر الإسكرية التى تحاول التحكم فى قيادة الحركة :

كان موقف كل من شندى وعادل ضعيفاً للغاية بسبب فشلهما المحقق والمستمر فى العمل ، وقد حاول شندى الذى رأى الجميع ضرورة تركه للجنة المركزية ، بمساعدة مرسى المسئول عن مكتب الدعاية ، العودة إلى الفكرة القديمة وهى فكرة « التمصير الكامل للقيادة » ، فبدأ معاً سلسلة من الاتصالات السرية بالعناصر الإسكرية فى قطاع الأجانب ، وقدم شندى اقتراحه « بتمصير القيادة » فى اجتماع اللجنة المركزية فى فبراير ، واستغل هذا الاقتراح كل من منتصر وعلام اللذين طالبا « بإفساح مكان » للعمال فى القيادة بالرغم من أن الرأى العام يرى أنه باستثناء العمال الموجودين بالفعل فى القيادة لايوجد عمال على درجة كافية من الإعداد لتولى المسئولية .

فى اجتماع اللجنة المركزية فى فبراير سنة ١٩٤٨ ، كشف سليمان تماما عن موقفه الانقسامى ودافع عن فكرة « تكوين أقسام » داخل الحركة .

أثارت هذه الأحداث رد فعل عنيفاً من جانب الحركة المصرية ، وقررت اللجنة المركزية فى هذا الاجتماع ، **بموافقة العناصر الإسكرية** (عادل إلخ ..) طرد سليمان وسيف[٢٦] وزوزو[٢٧] من الحركة وإدانة انقسامهم كما قررت أيضا القيام بحملة واسعة لمحاربة الاتجاهات الانقسامية .

تم التصويت على اقتراح شندى ورفض ، وأجريت انتخابات جديدة للأمانة والمكتب السياسى ، وقد أسفرت هذه الانتخابات عن إعطاء ١٠٠٪ من المقاعد لأعضاء الحركة المصرية :

الأمانة : يونس ، بدر ، شوقى ، راشد[٢٨] .

المكتب السياسى : يونس ، بدر ، راشد ، حميدو (الحركة المصرية) ، عادل ، عباس (إسكرا) نور (الطليعة) .

المواقف السياسية :

كان الموقف الرئيسى الذى ينبغى تحديده فى هذه الفترة التى تعد فيها الامبريالية والرجعية لحرب فلسطين هو الموقف من المشكلة الفلسطينية : قرر المكتب السياسى تأييد قرار الأمم المتحدة بالتقسيم فور إعلانه ، وقد حققت المجلة الرسمية للحركة ، التى يوزع منها حوالى ١٢٠٠ نسخة أسبوعيا ، انتشاراً واسعاً لهذا الموقف ، هذا بخلاف المجلات

---

(٢٦) انور عبد الملك .

(٢٧) حسين كاظم .

(٢٨) عبد الخالق محجوب .

غير الرسمية والمنشورات ؛ وجدير بالذكر عدم ظهور خلاف سياسى بين أعضاء القيادة حول هذه المسألة .

المرحلة الثالثة : فبراير إلى مارس سنة ١٩٤٨ :

— تبلور الاتجاهات الانقسامية .
— نشر اللوائح .
— تغيير الأمانة وشلل القيادة .

محاربة انقسام سليمان :

نشرت الأمانة والمكتب السياسى تقارير عن الانقسام ، أخذ فيها عادل موقفاً ضد سليمان الذى كان على خلاف معه منذ مدة ، وعقد أعضاء الحركة المصرية خاصة المؤتمرات فى القطاعات العمالية لإعلان وتفسير الانقسام .

وقد ظهر بوضوح أن قطاع الطلبة المكون من السيدات اللاتى لم يكن لهن تنظيم شبابى مستقل ، تحت استمالته إلى الانقسام ، فطلبت القيادة من كل عضو بالحركة تحديد موقفه ، الأمر الذى أدى إلى طرد عدد من الأعضاء ؛ وقررت اللجنة المركزية إعادة تكوين قطاع طلابى على أساس سليم ، وإقصاء الانقساميين والقضاء على « التجمعات » البورجوازية المتحررة التى تسود هذا القطاع ، كما أجرى تحقيق مع شديد الإسكرى المسئول بالقطاع لتحديد مسئوليته فى امتداد مؤامرات الانقساميين إلى قطاعه دون علمه أولاً ، ثم فى الإجراءات الضعيفة التى اتخذت ضد الانقساميين .

انقسامات جديدة فى طريقها إلى التبلور

دفع تأليف الأمانة من عناصر الحركة المصرية الإسكريين ، الذين لم يكونوا ليخضعوا لهذا الإجراء ، إلى التجمع فى تقسيمات متنوعة بدأت سرية ، ثم انتهت بالإعلان عن نفسها فى آخر مارس .

قسم « نحو منظمة بلشفية »

تأسس هذا القسم ، بالاتفاق سراً مع عادل ، على قاعدة اقتصادية وهى أن يكون العمل كله مركزاً بين العمال فقط على أساس مطالبهم اليومية ؛ وكان قادته جميعاً إسكريين باستثناء يوسف الذى انضم اليهم .

قسم « صوت المعارضة »

ولد وتطور هذا القسم الذى يديره سليم وزوجته وهما إسكريان ، بين المثقفين والأجانب ، وبشكل جزئى بين السيدات ، وكانت القاعدة التى تكون على أساسها هى « ١٠٠٪ عمل بين العمال » ، ومعظم شعاراته منقولة من ترسانة انقسام « سليمان » وكان

أعضاؤه يعتبرون « المركزية » داخل التنظيم نوعاً من الفاشية فأعلن القسم تمرده ضد القيادة المركزية ، وأنشأ مركزاً مستقلاً وأصدر نشرة « صوت المعارضة » .

« العادليون »

كان شعار هذا القسم الذى بدأ بالتطور بين العمال والسيدات بقيادة عادل ومرسى وحلمى وزوجته ليلى هو « المثقفون والعمال » ثم اقترح العادليون شعار « ٨٠٪ عمل بين العمال و٢٠٪ بين الطلبة » كما طالبوا بإعادة تنظيم الحركة على أساس قطاع عمالى كبير ، وقد استغل العادليون مدرسة الكوادر لإشاعة أفكارهم الانقسامية ولإبعاد العمال عن أعضاء الحركة المصرية .

العودة إلى الأساليب الإسكرية

عادت الأساليب الإسكرية القديمة للظهور فى الأقسام التى يسيطر عليها الإسكريون محطمة فى طريقها الإضافة الإيجابية للحركة ، وساد العمل التحزب العائلى والتشرذم وتكونت من جديد « الشراذم » السرية الحمراء ، وتزايدت الاتصالات المخالفة للتنظيم ، كما أصبحت النقود هى وسيلة العمل الرئيسية فى القطاعات العمالية إذ طالب قطاع النقل المشترك (ترام ، أوتوبيس ، الخ) الذى يسيطر عليه الإسكريون تماماً بمبالغ ضخمة نسبياً للإعداد لانتخابات عمال الترام .

لقد شُلَّت الحركة ! وكان طبيعياً أن يؤدى هذا إلى نتائج مؤسفة فتعرض الأمن الداخلى للخطر ، وزادت الاعتقالات ، وبخاصة فى القطاع « الفنى » الطباعة ، التوزيع ، المخازن .. الخ .. بالإضافة إلى اعتداء الانقساميين على المخازن المعروفة لهم لسرقتها .

موقف الأمانة :

كانت الوسيلة المثلى لعلاج الموقف فى رأي الأمانة هى دفع حركة العمل على الصعيد الخارجي والمشاركة بفعالية فى الصراع السياسي الذى ازدادت خطورته فى ذلك الوقت ، فقدمت إلى اللجنة المركزية تقريراً تعرض فيه بالتفصيل وضع الحركة وتركيبها العضوى ، وانتهت إلى أن هناك مع هذا تقدماً بالنسبة لما كان عليه الوضع قبل الوحدة ؛ ومن الناحية التنظيمية اقترحت الأمانة تشكيل « مجموعات من المؤيدين » فى المصانع ومواقع العمل ، للعمل على تفاقم السخط فى الخارج ، وشكلت لجنة محلية جديدة لمدينة القاهرة من عناصر الحركة المصرية خاصة ؛ ثم وجهت بعد هذا اهتمامها إلى القطاعات العمّالية التى قصرت عدد المحترفين بها على العمال الذين أثبتوا ارتباطهم بالعمل أثناء النضال ، كما أوفدت إلى الوجهين القبلى والبحرى بعض المحترفين وكلفتهم بالعمل على زيادة مراكز نشاط الحركة فى أقاليمهم ، وهاجمت بعنف الاتصالات المفسدة للتنظيم ، ومنعت بشدة الاتصال بين الأعضاء القدامى بالحركة المصرية .

كانت الأمانة فى الواقع مخطئة فى هذه الإجراءات التى منعت أعضاء الحركة المصرية من المشاركة بفعالية فى الصراع الداخلي لأنها ، بدلاً من إظهار حقيقة الانقسام والكشف عن جذوره ، أدت إلى كبت السخط وازدياد حدته ، هكذا اضطر أعضاء الحركة المصرية إلى العمل المستقل بعد أن قطع الإسكريون اتصالهم بالمركز وبعد أن وقف قرار الأمانة حائلاً دون الاتصالات غير التنظيمية ، فحاول كل منهم النضال فى وسطه ، لمنع الانهيار التام للحركة ، بالطريقة التى يراها صحيحة .

اللــــوائح

قدمت الأمانة والمكتب السياسي مشروعاً للوائح وعرضته للمناقشة العامـة ، قام الأعضاء بنقد بعض النقاط وتم تغييرها ثم عُرض المشروع على اللجنة المركزية التى وافقت عليه بعد نقاش سريع حول طريقة تحديد اللوائح للأهداف الاشتراكية للحركة ، وهل يجب أن تذكرها بالتفصيل كما يطلب « العادليون » أو تكتفى بإعطاء ملخص لها كما يوصى يونس والأمانة ؟

تغيير الأمانة ـ شلل القيادة

بعد التحقق من مؤازرة الدارسين فى مدرسة الكوادر بدأ عادل سلسلة من المناورات بغرض تغيير الأمـانة متحـدثاً هـذه المرة عن « تحـويل » القيـادة إلى « التعميل » لا « التمصير »

اكتشاف « خط القوى الوطنية الديمقراطية » :

كان المسئول عن التنظيم باللجنة المركزية يزعم أن « الحلقة » الرئيسية فى فهم الأزمة هى « سوء التنظيم » !! فأوصى بإعادة تنظيم الحركة على أساس مكان « السكن » ، وهاجم مشروع خط اللجنة المركزية المسمى « خط يونس » داعياً إياه « خط القوى الوطنية الديمقراطية » ، ولكن سرعان ما هاجم عادل اقتراح شندى وسماه أيضا « اتجاهاً وطنياً ديمقراطياً » ، فسحب شندى اقتراحه المقدم من خلال مشروع خط مضاد ، وعندما لم ير حوله إلا قلة من المؤيدين انضم إلى عادل واشترك معه فى الهجوم على مشروع يونس الذى وصفاه بمشروع « القوى الوطنية الديمقراطية » ؛ وتبلور النقاش حول نقطة رئيسية ؛ هل ينبغى العمل على إعداد كوادر عمالية كما يطلب عادل أو على « تعميل » الحركة بناء على توصية يونس فى مشروعه ؟

لقد انتهى النقاش باقتراح بالدعوة إلى مؤتمر يعقد بعد شهر ونصف ، وبدأ الاتجاه « العادلى » حملة إثارة واسعة حول ما أسماه « خط القوى الوطنية الديمقراطية » ووجه إلى مشروع يونس نقداً يتلخص فى ثلاث نقاط :

أ ـ إنكار الدور القيادى للطبقة العمالية ،

ب ـ الخلط بين الحزب والجبهة الشعبية ،

جـ - المبالغة فى تقدير الدور الثورى للبورجوازية الصغيرة ومساواته بدور الطبقة العمالية .

وكان يؤيد نقده بالحديث عن نظام القطاعات السائد فى الحركة الديمقراطية ، وعن العدد الكبير الذى تضمه من صغار البورجوازيين والطلبة والأجانب إلخ .. ويزعم أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تمثل جبهة شعبية « ذاب » فيها التنظيم الرئيسى ، هكذا كان عادل والإسكريون يبررون انقسامهم وقيامهم بإفساد الحركة وشلها عمداً .

ظهور معسكرين بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى

اتضحت المواقف أثناء المناقشات التى دارت في اللجنة المركزية خلال شهر مارس إذ هاجمت « أميرة » ، وهى أصلا إسكرية ، عادل ومؤيديه بعنف ؛ وكشفت عن مناوراتهم وأخذت موقفاً علنياً ضدهم بمساندتها للتيار الثورى الذى يقوده الرفيق يونس ، وهو الموقف الذى أخذه قبلها الرفيق مجاهد ، أما منتصر وعلام وهما من العمال الذين مروا بمدرسة « عادل » للكوادر فقد ساندا عادل ، وتبنى الرفيق حميدو وهو عامل من أعضاء الحركة المصرية موقفاً تهادنياً انتهى به إلى الانضمام إلى عادل فى بداية انشقاقه ، ثم إلى تركه والاعتراف علناً بخطئه والعودة إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى معسكر الاعتقال .

لقد ظهر واضحاً أن جميع الانقسامات تنتمى إلى اتجاه واحد بالرغم من تنوع شعاراتها إذ أنها تعود بطريقة أو بأخرى إلى إسكرا القديمة فتجمع الإسكريون القدامى حول ميول شخصية ، وقد تشابهت الشعارات هى الأخرى : إن الشعارين اللذين رفعهما سليمان ، وهما شعارا « المركزية الفاشية » و« ١٠٠٪ عمل بين العمال » هما ذاتهما الشعاران اللذان رفعهما عادل فى « صوت المعارضة » .. بعد أن خفض النسبة إلى « ٨٠٪ عمل .. » .

كانت الانقسامات تتكون إذن تبعاً لميول شخصية ، أو أحقاد أو مشاجرات بين القادة أو تبعاً للوسط الذى تظهر فيه : طلاب ، مثقفون ، أجانب إلخ .. إنها الأساليب الإسكرية تتكيف وفقاً للظروف .

دور شعار « التعميل » :

هذا الشعار الذى قدمه الرفيق يونس بمساندة جميع الأعضاء القدامى بالحركة المصرية هل قام بدور فى الصراع ؟ الجواب : نعم ، بلا جدال ؛ لقد ساعد هذا الشعار على اندلاع التيار الإصلاحى الانتهازى بالحركة ، إذ شعر الإسكريون أن تطبيق مشروع الرفيق يونس سيفقدهم نفوذهم داخل الحركة ، فكانوا من جانبهم يقولون : « لا فرق هنالك بين الشيوعيين مثقفين كانوا أو عمالاً »، ويضيفون إن مهمة المثقفين هى تعليم العمال ، ولا تقتصر على نقل النظرية إليهم فحسب .

هكذا قام الإسكريون بإثارة السخط بين أعضاء الحركة من العمال ، وحرضوهم على أعضاء الحركة المصرية الذين اتُهموا بأنهم من المثقفين !!! وهكذا تحول شعار « تعميل الحركة » إلى هيجان عمالى يطالب بتعميل القيادة ويساعد على إفساد نظام الحركة بين العمال .

تعديل تشكيل القيادة :

فى أحد اجتماعات اللجنة المركزية وكان الرفيقان راشد وسالم غائبين ، استغل عادل ومؤيدوه الجدل المثار حول « تعميل القيادة » واقترحوا تغييرها وإدخال العناصر الموالية لهم فى الأمانة والمكتب السياسي من أجل « إعداد سليم » للمؤتمر ؛ فتشكلت القيادة من يونس ، بدر ، شوقى ، عادل وحميدو ، وتألف المكتب السياسي من توفيق ، خليل ، يونس ، راشد ، حميدو ، عادل وعباس .

وطلب عادل أن يتولى حميدو العامل المسئولية السياسية بالأمانة ، هادفا من وراء هذا إلى استغلاله فى أغراضه الشخصية ، ولكن هذا الاقتراح رُفِضَ ولم يحدث اتفاق على توزيع المسئوليات ، ولم يرغب أعضاء الحركة المصرية فى استغلال الأغلبية التى فى حوزتهم حتى لا يعجلوا بالانشقاق فأصاب الشلل القيادة .

بعد فترة قصيرة من هذا الاجتماع اختير باللجنة المركزية الرفيقان حمودة المسئول عن الوجه البحرى بالحركة المصرية وعابدين[٢٩] المسئول عن الأسكندرية بإسكرا .

المرحلة الرابعة مارس - يوليو سنة ١٩٤٨

الإعداد للمؤتمر ، أغلبية وأقلية : ٩ ضد ٨ ؛ الإعداد لانشقاق عادل ، إشراف العادليين على مجلة « نضال العمال » ، والعناصر الثورية على « الرباط » ؛ إعلان الأحكام العرفية : اعتقالات عديدة بين كوادر الحركة ؛ انشقاق عادل وطرد الانقساميين « بصوت المعارضة » « نحو منظمة بلشفية » من الحركة .

إعادة تنظيم الحركة

شُلَّت الأمانة تماما ، وتحول المكتب السياسى إلى ناد تدور فيه مناقشات لا نهاية لها حول الأزمة وحلها ؛ وقد أظهرت هذه المناقشات انهيار القطاع العمالى بشبرا الخيمة حيث لم يعد به أكثر من أربعة أعضاء لا سبعين كما يزعم عادل فى تقاريره .

انهار أيضاً قسم « النقل المشترك » وضاع المركز النقابى وسط مناقشات هادى وخضر من الحركة المصرية من ناحية ، وحلمى وكامل من إسكرا من ناحية أخرى ، أما قسم « النسيج بالقاهرة » فكان يعقد المؤتمر تلو المؤتمر ويصفى كل نشاط له كما ضعف التنظيم بالمحلة الكبرى على أثر الإضراب الكبير وموجه الخوف والاعتقالات

---

(٢٩) عبد المنعم إبراهيم .

وثانيتهما : أن البورجوازية المصرية حرصت على السيطرة على نقابات العمال لتنأى بها عن الاتجاهات الاشتراكية ، مما أدى إلى إضعاف الحركة العمالية المصرية وانقسامها وتبديد طاقاتها .

وأصدرت وزارة أحمد زيور باشا قرارا بقانون (فى ٢٥ مايو ١٩٢٦) يطلق يدها فى تعقب الشيوعيين ، نص على « معاقبة كل من يزاول نشاطا من شأنه الإضرار بأمن البلاد الداخلى أو الخارجى أو بالنظام الاجتماعى بالسجن » واتخذت عدة اجراءات (وقائية) منها منع البواخر السوفيتية من دخول الموانى المصرية ، واعتقال بعض الروس الموجودين فى مصر وترحيلهم خارج البلاد ، وحظر استيراد الصحف والمجلات الاشتراكية والكتب الاشتراكية أو بيعها للجمهور .

وفى ضوء الحظر القانونى ، ومطاردة السلطات للنشاط الشيوعى لم تحقق المحاولات المتكررة لإقامة تنظيمات شيوعية النجاح ، وكانت جميعا محاولات أجنبية تقوم على عناصر يونانية وإيطالية مع قليل من كوادر الحزب الشيوعى المصرى القديم وبعض المثقفين المصريين . وظل النشاط الشيوعى فى مصر هزيلا فرديا عاجزا عن إقامة تنظيم حزبى حتى أواخر الثلاثينيات حين أعلنت الحرب العالمية الثانية ، ودخلت الحركة الشيوعية المصرية فى سنوات الحرب وما بعدها فى طور جديد ، لعبت فيه عناصر من اليهود الأجانب الدور الأكبر فى بعث الحركة من مرقدها ، وكان من أبرز هؤلاء : هنرى كورييل ، وهلل شوارتز ، ومارسيل إسرائيل .

هنرى كورييل :

فى أقصى شمال الزمالك ، على مقربة من نادى الجزيرة الرياضى ، كان ثمة قصر صغير تحيط به حديقة باسقة ، يضم سبع عشرة غرفة (غير غرف الخدم) ، يملكه مليونير يهودى يدعى دانييل نسيم كورييل ، كان يمتلك مصرفا صغيرا بشارع الشواربى ، ولد صاحبنا هنرى كورييل عام ١٩١٤ والعالم عندئذ على شفا الحرب ، حيث قامت الحرب الأولى بعد مولد هنرى بقليل .

ورغم أن هنرى كورييل لا يذكر لنا ـ فى سيرته الذاتية ـ معلومات كافية عن أصل أسرته ، إلا أن جيل بيرو يعتصر فى كتابه « هنرى كورييل ، رجل من طراز فريد » ذاكرة راؤول (الأخ الأكبر لهنرى) عن أصول الأسرة فيقول إنها ترجع إلى قرية فى مقاطعة فالادوليد بأسبانيا تدعى « كورييل » ، وأن الأسرة بلغت درجة كبيرة من الثراء ، حتى كان عهد محاكم التفتيش فى أسبانيا ، فتشتت الجمع ، إذ اعتنق بعض أفراد الأسرة المسيحية وظلوا فى أسبانيا ، بينما هاجر البعض الآخر إلى البرتغال ، وبعضهم الآخر هاجر إلى هولندا ، بينما انتقل الجانب الأكبر إلى توسكانة بإيطاليا حيث كان حكامها متسامحين مع اليهود .

التى أعقبته ، وهرب العديد من الرفاق إلى القاهرة حيث يستطيعون المشاركة فى المناقشة العامة ، وإن كان حضور البعض لقبض « أجورهم » !!!

أما الطلبة فقد شُلُّوا تماما ، بسبب الانقسامات التى تسودهم ، والامتحانات التى تقترب ، بينما كان المثقفون والأجانب يُسَوِّدُون مئات الصفحات التى تنشرها « صوت المعارضة » بدعوى « حرية النقد » .

كان جميع الأعضاء بالحركة يشعرون أن القيادة فقدت سيطرتها الكاملة على التنظيم ، وهو شعور مطابق لواقع الأشياء .

اجتماع اللجنة المركزية فى أبريل

طلب العادليون اجتماعا خاصا للجنة المركزية فى أبريل لمناقشة السؤال الذى تطرحه ضرورة الدعوة السريعة للمؤتمر ، وقد ضم الاجتماع سبعة عشر عضوا وهم :

- يونس ، شوقى ، بدر ، خليل ، راشد ، أميرة ، سالم ، حمودة ، توفيق : حركة مصرية / ٩ .
- عادل ، شندى ، عباس ، منتصر ، علام ، حميدو ، عابدين ، نور : إسكرا / ٨ .

تخلف من تيار الحركة المصرية الرفيق مجاهد بسبب ظرف طارىء كما غاب من الجهة الأخرى (أى من تيار إسكرا) شندى بسبب إيقافه والتحقيق الجارى معه عن الانقسام بقطاع الطلبة .

كان السؤال المحورى الذى طرح فى الاجتماع هو : « ممن سيتكون المؤتمر » ؟ اقترح علام من التيار الإسكرى العادلى أن يتكون المؤتمر من عمال فقط سواء كانوا مجرد نقابيين أو كانوا أعضاء أو غير أعضاء بالحركة ، وقال إنهم بصفتهم عمالا يملكون حق المشاركة فى المؤتمر وإن ثقته بهم على كل حال أكبر من ثقته فى أعضاء الحركة من غير العمال - من البديهى أنه يقصد أعضاء الحركة المصرية ؛ أيده عادل بطريقة أقل تطرفا وكان يعتمد على الأعضاء الذين مروا « بمدرسة الكوادر العمالية » ؛ اقترح يونس أن يتكون المؤتمر من الرفاق المسئولين بالحركة فى مختلف المناطق أو مراكز النشاط مع إعطاء الأقسام العمالية تمثيلا أكبر .

انقسمت اللجنة المركزية فى هذا الاجتماع إلى شقين متباينين : التيار الثورى وله تسعة أصوات ، والتيار الإصلاحى وله ثمانية أصوات ، فدار الحديث عندئذ عن البلشفيين والمنشفيين بالمعنيين الثورى والإصلاحى لا للتعبير عن الأغلبية فحسب .

الإعداد للمؤتمر

أثناء النقاش ، نجحت اللجنة المركزية فى اختيار اثنين وسبعين عضوا من المعروفين بقدرتهم على المشاركة فى المؤتمر ، وكان معظم هؤلاء ينتمون إلى الحركة المصرية (أى التيار الثورى) ، فرفض العادليون التصديق على هذه النتيجة وحاولوا تغييرها ولكن الأغلبية رفضت وطالبت باحترام القرارات .

كان لخبر الإعداد للمؤتمر ردود فعل متنوعة فى قطاعات الحركة المختلفة ، وبينما أثار العادليون هيجانا واسعا بين مؤيديهم للمطالبة بإشراك أعضاء جدد فى المؤتمر الذى طالبوا بدعوته للانعقاد ، كان التيار الثورى مدركا لخطورة الوضع فى البلد ، فاعترض بعنف على انعقاد المؤتمر لاستحالة الإعداد له ماديا ، وبسبب الاستعدادات التى تقوم بها الرجعية عشية الحرب : اعتقالات أول مايو ، وحالة الفساد وانعدام الأمن السائدة فى الحركة ؛ وقد رأت لجنة الإشراف التى حضرت الاجتماع المشترك أن من الظلم دعوة الأعضاء الاثنين والسبعين ، وهو رقم لم يتحقق فى مصر من قبل ، الذين يشكلون أفضل كوادر الحركة الشيوعية المصرية ، لعقد مؤتمر فى ظل هذه الظروف ؛ لم ينته الاجتماع إلى قرار محدد ولكنه أجل موعد الدعوة للمؤتمر .

« خط عادل السياسى »

فى هذه الفترة ذاتها قدم عادل تقريرا إلى اللجنة المركزية ، وقد دعى هذا التقرير « بخط عادل السياسى » ، وفيه ينتقد عادل الخط السياسى للرفيق يونس ويصفه بأنه « خط للقوى الوطنية الديمقراطية » .

أحالت اللجنة المركزية التقرير إلى المكتب السياسى الذى أرسله للطباعة تمهيدا لتوزيعه على أعضاء الحركة ، وإذ تأخر التقرير بالمطبعة عدة أيام أسرع العادليون إلى طبعه بطريقتهم خارجين مرة أخرى على قواعد التنظيم وقاموا بتوزيعه على الأعضاء بأنفسهم .

ومع هذا ، لم يكن هناك تأثير عملى لهذا الخط الذى ضاع بين المناقشات العامة ولم يسمع عنه أحد منذ ذلك الحين .

الإعداد للانشقاق « العادلى »

قام العادليون بإفساد الحركة الديمقراطية تماما باتصالاتهم ، وأثاروا الشعور بالغضب العام بمساعدة الانقسامات الأخرى كما أثاروا جميع الخلافات داخل الحركة مما أدى إلى شل القيادة بالكامل ؛ ثم بعد ذلك وصلوا إلى مرحلة الإعداد العملى للانشقاق الذى حدث بعد شهرين .

العادليون يشرفون على « نضال العمال »

أغلق البوليس المجلة الرسمية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى أبريل سنة ١٩٤٨ ، وتولى العادليون الإشراف على المجلة السرية للحركة « نضال العمال » بمساعدة مؤيديهم من « المدرسة العمالية للكوادر » ؛ وقاموا أيضاً ، بمساعدة حميدو الذى اكتسبوا صداقته بالإشراف على القطاع العمالى بشبرا الخيمة وطردوا منه الزميل أمين ؛ أما قطاع عمال الحكومة والسكك الحديدية إلخ ... فلم يكن للعادليين به إلا القليل من المؤيدين ، كما فشلوا أيضاً فى المكتب النقابى حيث لم يستطيعوا اجتذاب إلا القليل جداً من أعضائه ، وذلك بفضل كامل أحد المسئولين بالمكتب .

وبالنسبة للسيدات ، نجح العادليون فى اجتذاب اللاتى لم ينضممن منهن إلى الانقسامات الأخرى ؛ ونجح « جمجـوم »[٣٠] فى اجتذاب بعض العنـاصر من القطاع الجديد « الشباب » الذى ظلت الأغلبية به وفية للتيار الثورى ؛ وقد ظل كل قطاع « الظاهر » من الأجانب وفيا للحركة بينما انضم الآخرون إلى الانقسامات المختلفة ، أو هجروا الحركة تماما .

أما تنظيمات الوجهين القبلى والبحرى فقد ظلت وفية للحركة باستثناء الأسكندرية التى توزع تنظيمها بين الانقسامات المختلفة والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؛ وقد ظل النوبيون والسودانيون بمصر أوفياء للتيار الثورى الذى ساندته بعمق الحركة السودانية للتحرر الوطنى وظلت للنهاية حليفا مخلصا له .

لقد كان مكتب الدعاية المكون من مثقفى إسكرا هو المحرك للانشقاق بقيادة مرسى[٣١] .

إعلان الأحكام العرفية

أعلنت الأحكام العرفية فى البلاد فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وبدأت **الحرب الظالمة** ضد دولة إسرائيل .

قبض البوليس فى هذا اليوم على المئات من الديمقراطيين والنقابيين واليهود إلخ .. وزج بهم فى معسكرات الاعتقال التى ضمت أكثر من مائة من أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

أثر الأحداث على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

إن شلل الحركة وعجزها عن المقاومة وعن قيادة النضال ضد الحرب الإجرامية التى شنتها الامبريالية والرجعية ، وعدم قدرتها على تطبيق الخط السياسى الصحيح ، وذلك بتحويل الحرب الامبريالية الظالمة إلى حرب عادلة ضد الامبريالية والرجعية ، إن كل هذا قد أظهر لأية درجة تصبح المؤامرات السياسية أسلحة ثمينة فى أيدى أعداء الشعب : زادت الاعتقالات وضمت السجون أو معسكرات الاعتقال عددا من أفضل كوادر القادة بالحركة بينما استمر المنشقون فى مخالفة قواعد الأمن بدعوى « تنوير » كل الأعضاء بالحركة ؛ وبينما كانت الكوادر الثورية للحركة تطالب كل الأعضاء بالالتفاف حول اللجنة المركزية وبمضاعفة جهودهم للنضال استمر الانقساميون وعلى رأسهم عادل ومرسى فى المطالبة بالدعوة للمؤتمر ، ورفضوا العمل قائلين : « الاتفاق على الخط السياسى أولا ثم العمل » ، أو « فلنناقش أولا ثم نعمل » ؛ هكذا كانوا يردون على نداء النضال بنداء النقاش .

---

(٣٠) إبراهيم المناسترلى .

(٣١) مارسيل إسرائيل .

كان واضحا أن الاستمرار فى مهادنة المنشقين يعنى خيانة الحركة ومعاونة الرجعية والامبريالية ؛ وأصبح من الضرورى جمع كل العناصر الثورية الصادقة والراغبة فى النضال لاستئناف العمل بأى ثمن .

اجتماع اللجنة المركزية فى يوليو

اجتمعت اللجنة المركزية التى فقدت عددا من أعضائها بالاعتقال فى شهر يوليو ؛ وقد طرح الثوريون المشكلة بوضوح فى هذا الاجتماع . حتى تتمكن الحركة من الاستمرار ومن القيام بالمهام العديدة والثقيلة للغاية التى تواجهها ينبغى الكف فورا عن أى عمل انشقاقى .

رفض عادل والمنشقون الآخرون ، واقترحوا فى المقابل الدعوة لانعقاد « مؤتمر من أجل تأسيس حزب » !!! وإن الانشقاق قد حدث بصورة نهائية فى هذا الاجتماع حيث استقل العادليون بتنظيمهم الذى أطلقوا عليه اسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ـ عمال ثوريون » ؛ وشكل شندى هو الآخر تنظيما مستقلا أسماه « نحو حزب شيوعى » ، وانضم انقسام « نحو منظمة بلشفية » إلى « صوت المعارضة » .

لقد انشقت إسكرا القديمة وانقسمت إلى سلسلة من التنظيمات الصغيرة التى تناضل بشراسة الواحدة ضد الأخرى وتتكتل فيما بينها ضد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؛ أما الحركة الديمقراطية فقد نادت بالتفاف جميع المناضلين الصادقين واستأنفت النضال على الفور واثقة من اجتماع جميع الشيوعيين واتحادهم فى بوتقة العمل .

Proclamation de la Loi Martiale :

Le 15 Mai 1948, la Loi Martiale était proclamée dans le pays; la guerre injuste contre l'Etat d'Israël commençait.

La police arrêta ce jour-là des centaines de démocrates, syndicalistes, juifs, etc., et les jeta dans des camps de concentration. Plus d'une centaine de membres du MDLN se trouvaient parmi les personnes arrêtées.

Contrecoup de ces événements sur le MDLN :

La paralysie du Mouvement, son incapacité à réagir, à conduire la lutte contre la guerre criminelle déchaînée par l'impérialisme et la réaction, à mettre en pratique sa ligne politique juste de transformer la guerre injuste, impérialiste, en une guerre juste contre l'impérialisme et la réaction, tout cela montrait à quel degré les menées fractionnistes et scissionnistes étaient des armes précieuses entre les mains des ennemis du peuple égyptien. Alors que les cadres révolutionnaires (M.E.) du Mouvement demandaient à tous les membres de se regrouper autour du C.C. et de multiplier leurs efforts dans la lutte, les fractionnistes, et à leur tête Adel et Moursi, continuaient à demander la convocation d'un Congrès et se refusaient à toute action en disant : "D'abord se mettre d'accord sur la ligne politique puis travailler". Ils disaient encore : "Discutons d'abord puis nous travaillerons". A l'appel à la lutte, ils répondaient par un appel à la discussion. Les scissionnistes continuaient à violer toutes les règles de sécurité sous prétexte "d'éclairer" tous les membres du Mouvement. Les arrestations se multipliaient et quelques-uns des meilleurs cadres dirigeants du Mouvement étaient en prison ou dans les camps de concentration.

Il était clair que continuer à temporiser avec les scissionnistes c'était trahir le Mouvement, c'était faire le jeu de la réaction et de l'impérialisme. Il fallait à tout prix regrouper tous les éléments sincèrement révolutionnaires, désireux de lutter, et reprendre au plus tôt l'action.

وصف هنري كورييل لحرب فلسطين ١٩٤٨ بالحرب الامبريالية الظالمة ضد دولة إسرائيل
وانعكاس هذا الموقف على الانشقاقات داخل التنظيم

وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطني مارس ١٩٥١ - أبريل ١٩٥٨

عن التوسع (الانتشار)
تقرير من هنرى كورييل
ميلان بتاريخ ٥١/٣/٣١

قلنا فى تقرير سابق إن المشكلة الرئيسية المطروحة أمامنا هى مكافحة الانتهازية بشكليها الرئيسيين وهما : الطائفية ، والتطرف اليسارى ، اللذان يشتركان فى المضمون : التردد وتراجع النضال ، بل والخيانة الإجبارية لقضية الطبقة العمالية (البروليتاريا) ، فالطائفية تعبر عن عدم الثقة فى الطبقة العمالية وحلفائها - أى الشعب بأكمله - وقدرته على قيادة النضال من أجل التحرير ؛ هكذا يُفْسَح المجال للبورجوازية الخائنة ومعسكر أعداء الشعب ، ويُتْرَك الشعب لجلاديه ، ويساند التطرف اليسارى هذا الاتجاه بكل ما يمتلكه من وسائل للدعاية النظرية الأيديولوچية ، متجاهلاً الدور المباشر الذى يجب على الطبقة العمالية أن تلعبه فى هذه الفترة ، وهو بهذا التجاهل يترك قوى التحرر الوطنى بدون قيادتها الطبيعية ، كما يترك المجال مفتوحاً أمام البورجوازية الخائنة وكتلة أعداء الشعب ؛ هكذا يلحق التطرف اليسارى بالطائفية فى نهاية الأمر .

قلنا أيضاً فى تقريرنا إن هناك تيارين داخل الحركة التقدمية : تيار « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » الذى يمثل نواة الحزب وطليعة التيار الثورى ، والتيار الانتهازى المكون من بقية التنظيمات التقدمية ، وهو منبع قوى التردد والطائفية والتطرف اليسارى .

كانت سياسة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى العام السابق سياسة ثورية قائمة على وجهة النظر المذكورة عاليه ؛ والمضمون الرئيسى لهذه السياسة هو النضال ضد المعسكر الرأسمالى فى المجالات المختلفة لنشاط الشعب المصرى عموماً من أجل التحرر ، والسلام ، والديمقراطية ، ومن أجل تحقيق المطالب المادية للجماهير الكادحة والطبقة العمالية بصفة خاصة ؛ هذا عن العمل الخارجى .

أما فى الداخل فكان المضمون الرئيسى لسياستنا هو الكشف عن الانتهازية وإبراز السخط الشعبى ، ونزع سلاح الانتهازيين فى خداع ضحاياهم وهو الخلافات النظرية

والسياسية ، والصراع الأيديولوچى إلخ ، وفضح موقفهم المتهرب من النضال القائم على بعض النظريات الانتهازية التى يتيح تطبيقها الهروب ؛ وبفضل هذه السياسة الحكيمة نجحت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى إضعاف المعسكر الانتهازى داخل الحركة التقدمية ، وذلك بمواجهته بالنضال والكشف عن تردد زعماء هذا المعسكر إزاءه ، ويمكننا ذكر هذا المثل لموقف هذه التنظيمات المتردد وتقاعسها عن النضال :

(أ) **الموقف من تنظيم العمال** : انقسمت الحركات الأخرى فى اتجاهين ، الاتجاه الأول هو اتجاه الأغلبية التى لم تتخذ موقفاً بخلاف ضم بعض العناصر العمالية التى لا قيمة لها (على أساس طائفى) ، وإلقاء بعض المحاضرات - غير المفيدة عمليا - عليها ؛ أما الاتجاه الثانى فهو ممثل فى تنظيم « نحو حزب شيوعى » وهو يهدف إلى تأسيس تنظيم أحمر منعزل عن الجماهير ، وهذه سياسة قد ثبت فشلها ؛ وفى الواقع فإن اتجاهنا وأسلوبنا فى تنظيم العمال هو الذى ينتصر عادة .

(ب) الموقف من قانون المشتبه فيهم (معروف) .

(جـ) الموقف من حركة السلام ولجنة السلام (معروف) .

(د) الموقف من المجلة .

(هـ) الموقف من المغرب : ظهر تياران داخل الحركات الأخرى ، واكتفى الحزب بالتساؤل وطرح المشكلة على الصعيد الدولى دون إعطاء توجيه عملى للجماهير أما الاتجاه الثانى فقد ربط هذه المشكلة بمشكلة فلسطين واعترض عمليا على أية مساندة للقضية المغربية .

هذه بعض الأمثلة للمواقف المترددة والمعارضة الواضحة للنضال فى معظم الحالات ، وقد أدى كشفنا عن المواقف الانتهازية للتنظيمات الأخرى ، بالإضافة إلى تزايد قوة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الواضح فى الأعداد الكبيرة من المنشورات التى توزعها فى كل المناسبات ، إلى إضعاف التنظيمات الأخرى والنيل من مكانتها ، ويمكننا ذكر الوقائع التالية لإثبات ماتقدم :

١ - إن تنظيم « نحو حزب شيوعى » يطلب الوحدة معنا ، وبعض عناصره القيادية فى طريقها إلى طلب الوحدة غير المشروطة ، لكننا لن نقبل إلا بعد الاعتراف بالأخطاء والجرائم السابقة ، وإقرار تحليلنا للأزمة السابقة .

٢ - يساند شهدى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ويعترف بأن قادتها كانوا على حق .

٣ - طلب أحد قادة التنظيم الشيوعى المصرى الاتصال بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

٤ - يؤيد الغزالى وبعض عناصر « النجم الأحمر » الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى

بقوة ، ونحن نعتقد أنهم قد ينضمون إلينا بقليل من الجهد .

٥ ـ طلب حمدى وزوجته الانضمام إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بشرط إصدار نشرة (شرط غير مفهوم) .

٦ ـ هناك بعض العناصر الهامة الأخرى فى الطريق للانضمام إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

هذه بعض الأمثلة الدالَّة على نفوذ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وضعف المعسكر الآخر ؛ وبالنسبة للتطور المادى يمكنكم الاطمئنان ، وسنرسل لكم قريباً تقريراً مفصلاً عن نشاطنا ، ويكفى اليوم أن نخبركم إن لنا نقاط ارتكاز ، بخلاف الميس Elmaez وكليو Cleo ، فى هذه المناطق : خمس مدن وثلاث عشرة قرية بالشمال بها حوالى خمسمائة من طالبى العضوية والمؤيدين ، وثمانى مدن بالجنوب ؛ ولا شىء يحول دون جمع الآلاف من الأعضاء فى وقت قصير إذا تم تعميق سياسة التنظيم القائمة على الثقة بالنفس وبالمعسكر الديمقراطى .

عن التوسع (الانتشار) : رغم ماسبق فإننا نواجه بعض التردد فى هذه المشكلة ، ويعود هذا التردد إلى الاتجاهات الانتهازية الرافضة لسيطرة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى داخل الحركة الثورية ، وهى تخشى هذه السيطرة لأنها تعنى دمارها بصفتها عدوة للشعب ؛ وقد ظهرت هذه الانحرافات فى الاتجاه إلى عرض أو بالأحرى « حصر » التوسع فى مشاريع « محددة » لإعداد كوادر قادرة على قيادة هذا التوسع ورفع مستوى الدعاية إلخ وغير ذلك من الاتجاهات ... لكن هذا الاتجاه قد تم كشفه ، ونعود اليوم لتأكيد ثقتنا فى دورنا القائد الذى يجب علينا التمسك به بلا تردد .

كيف ننتشر ؟

١ ـ يجب محاربة التردد فى الانتشار وكشف جذوره ، وهو ماقمنا به ولا نزال نقوم به .

٢ ـ ينبغى تحقيق الانتشار فوراً ، لذا يلزم التالى :

(أ) الاهتمام بالخلايا وعملها ، واعتبارها مصدر قوة للتنظيم والتحقق من أنها تمثل بالفعل مجالاً للعمل ، وتصفية التنظيمات غير القائمة على إعداد مجال للعمل إلا إذا اقتضت المصلحة العامة الحفاظ عليها .

(ب) تبسيط عمل الخلايا والتحقق من قيامها بمهمتها فى العمل الخارجى بصفة خاصة .

(جـ) تبسيط أساليب العمل حتى تصبح قادرة على خدمة العمل الخارجى والتكيف معه .

(د) تبسيط أساليب العمل على كل المستويات بحيث تدعم التنظيمات الأساسية وتوسعها .

ويحدد هنرى كورييل عام ١٨٥٠ كتاريخ لهجرة العائلة من إيطاليا إلى مصر ، وهو تاريخ أقرب إلى الدقة من التاريخ الذى يرجحه بيرو ، والذى يجعل هجرة الأسرة إلى مصر زمن الحملة الفرنسية ، لأن ظروف مصر فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت تسمح عندئذ بتدفق المستثمرين الأجانب - وخاصة المرابين - إليها ، فقد تمت تصفية الطابع الاستقلالى للاقتصاد المصرى الذى تحقق على يد محمد على ، عندما أجبرت مصر على فتح أسواقها أمام البضائع الأجنبية دون قيود ، وعندما ألغى دور الدولة فى إدارة الاقتصاد . ولما كانت الدولة هى الممول الأساسى للإنتاج الاقتصادى وخاصة الزراعة ، فإن غياب دور الدولة أوجد فراغا هرع المستثمرون الأجانب لملئه فى ظروف سياسية وقانونية مواتية ، فهناك الامتيازات الأجنبية والقضاء القنصلى - ثم القضاء المختلط فيما بعد - تضع الاستثمارات الأجنبية تحت مظلة الحماية القانونية .

وهكذا تدفق المستثمرون الأجانب على مصر ، وخاصة من بلاد جنوب أوروبا : اليونان ، وإيطاليا ، وفرنسا وغيرها ، كانت مصر منجماً غنياً لتحقيق الثراء السريع من وراء استغلال الفلاحين المصريين الذين يحتاجون إلى القروض لتمويل زراعة القطن ، وجاء أولئك المغامرون الأجانب للاشتغال بالربا وتجارة القطن معاً . ولا نظن أن ثمة ظروفاً **أنسب من ذلك لهجرة نسيم كورييل - جد هنرى - إلى مصر ، ولذلك نرجح أن تكون الهجرة قد تمت فى خمسينيات القرن التاسع عشر .**

عائلة كورييل - إذن - كانت تنتمى إلى البورجوازية الأجنبية الكبيرة عند بداية الحرب العالمية الأولى ، تمتلك مصرفاً ، وضيعة فى المنصورية - فيما بين الفيوم وبنى سويف - تبلغ مساحتها نحو المائتى فدان ، بها « سراى » سيستخدمه هنرى - فيما بعد - لممارسة نشاطه السياسى السرى .

والبورجوازية الأجنبية - التى كانت تعيش على امتصاص دماء الاقتصاد المصرى - كانت تنأى بنفسها عن مخالطة المصريين اللهم إلا البورجوازية المصرية الكبيرة التى تربطها بها مصالح مادية مشتركة ، تحتفظ بجنسيتها الأجنبية ، وتحتقر كل ما هو مصرى ، تعلم أبناءها فى المدارس الأجنبية التى انتشرت فى مصر - عندئذ - وفى جامعات أوروبا - وخاصة فرنسا - وتتخذ من اللغة الفرنسية أداة للتخاطب فيما بينها ، ولا تعنى باللغة العربية إلا فى أضيق الحدود التى يقتضيها التعامل مع الخدم .

وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن الجد نسيم كورييل ، فإن هنرى يمدنا ببعض المعلومات عن والده دانييل الذى فقد بصره منذ طفولته ، وكان شغوفاً بالموسيقى ، يجيد العزف على البيانو ، ويهوى المسكوكات ، ويحتفظ بمجموعة نادرة منها ، يهوى الأدب الفرنسى **ويطالب زوجته بأن تقرأ له يومياً ، ولكننا لا نعرف شيئاً عن نشاطه المصرفى فيما عدا تخصصه فى الرهونات وإقراض الأموال للفلاحين ، وفيما عدا إشارة وردت فى سيرة**

(هـ) تأكيد مبدأ الإدارة الذاتية للتنظيمات المختلفة لاسيما الخلايا ، والتحقق من عمل التنظيمات الداخلية بفعالية بناء على توجيهات التنظيمات العليا .

لتحقيق هذا ينبغى العمل فوراً على :

١ ـ إصدار مجلة « الكفاح » بصفة منتظمة لربط القاعدة ، فى التنظيمات الخارجية العديدة ، بالمركز ؛ وقد بدأنا باستخدام آلة تصوير لإصدارها .

٢ ـ إصدار مجلة نظرية : الوعى .

٣ ـ إعداد تقارير دورية فى « الكادر » .

٤ ـ الاستمرار فى توزيع المنشورات بانتظام : فى شهر مارس وزعنا خمسة منشورات بلغ مجموعها حوالى ٩٠٠٠٠ منشور .

٥ ـ دعم الخدمة الفنية وبخاصة المطبعة .

الوضع داخل الحركة الديمقراطية
للتحرر الوطنى
ديسمبر سنة ١٩٥١

مقدمة :

إننا نرى من المفيد إرسال رأينا فى **الوضع داخل حركتنا** ، وهو رأى قائم على ما نعرفه عن أنشطتها ومواقفها ، وما يصلنا منها من رسائل ، وأخيراً على المناقشات مع الزملاء الزائرين .

ونحن نرغب ، قبل كل شىء ، فى تجديد ثقتنا غير المحدودة بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى ظل الظروف الداخلية التى تعترضها ؛ وليعرف الزملاء أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى ، رغم البعد ، ما يعطى لحياتنا معنى ، وهى الشىء الذى تتجه إليه أفكارنا وأنشطتنا ؛ وبالإضافة إلى هذا نحن مع التيار الثورى ، ممثلاً فى القيادة وعلى رأسها الزميل بدر ، فى الصراع الداخلى ضد العناصر المترددة والانهزامية التى تمثل أيديولوچيات الطبقات الاجتماعية غير العمالية (البروليتارية) .

وإذا كنا نريد أن تكون الحركة قادرة على القيام بمهامها ، فمن المهم إعطاء رأينا الصريح فى ضرورة الإصلاح الحاسم دون أن نتأثر باستخدام الانتهازيين لبعض الانتقادات ضد الحركة لأن مقاومة هؤلاء تقوم قبل كل شىء على إجادة عملنا الخاص الذى يسلبهم تبريراتهم ، ويكشفهم ويفقدهم تأثيرهم .

هناك اعتبار آخر ينبغى مراعاته : لقد جنحنا دائماً ، فى مواجهة ما يستهدفنا من جانب المترددين والمستسلمين من هجمات شديدة ووشايات ، إلى التركيز على الجوانب الإيجابية للحركة ، وفى مواجهة أولئك الذين يؤكدون « فشل » الحركة و « فشل » الشيوعيين المصريين ، دافعنا عن إنجازات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى أصبحت عنصراً حاسماً من عناصر الحياة الوطنية فى مصر ، وفى مواجهة المتشائمين كان تفاؤلنا يقوم على تقدير إيجابى للنضال فى الماضى ؛ وكنا على حق .

لكن الخطير هو أن يؤدى هذا الموقف إلى « تبرير » ضعفنا بدلاً من الاعتراف به والتغلب

عليه ، وإلى التظاهر والمكابرة ؛ بما يفقدنا أجمل ما يتحلى به المناضل العمالى من صفات وهو التواضع ؛ إن رفض رؤية العيوب يقود إلى الرد على النقد ودفعه بصفات جارحة ، وإلى تعريض وحدة الحركة للخطر (أو تحقيق الحماية لها بطرد جميع المعارضين حتى نظل « فيما بيننا ») والتنازل عن الطريقة الجادة الوحيدة للتقدم ، وهى الاستفادة من الأخطاء .

لقد وضع الحزب الشيوعى بالاتحاد السوفييتى سلاحاً قوياً فى متناول الطبقة العمالية الدولية ، هذا السلاح هو النقد والنقد الذاتى الذى ركز على أهميته الحاسمة المؤتمر التاسع عشر ؛ وعلينا احترام تعاليم المؤتمر التاسع عشر إذا كنا نريد الاعتراف ، فعلاً لا قولاً فقط ، بأهميته التاريخية (لنا عودة إلى هذه النقطة فى تقرير خاص) .

نقـــاط الضعــــف

وحتى يكون التقرير كاملاً ، ينبغى أن يشتمل على تحليل للجوانب الإيجابية والسلبية معاً لمواجهة الحملة التى يقوم بها الانتهازيون ضد الحركة ، لكن ظروفنا لا تسمح بذلك ، لذا سنكتفى بالحديث عن نقاط الضعف دون ذكر التوسع فى نشاط الحركة وتزايد تأثيرها ، وذلك للتركيز بصفة خاصة على أهمية علاج ضعفنا حتى يمكن للحركة أن تقوم بالدور المنوط بها فى الحياة الوطنية لأن التقدم تبعاً لقوانين الجدلية (الديالكتيك) ، يتحقق بالتغلب على نقاط الضعف وليس بتنمية الجوانب القوية فى العمل فقط .

إن هذه النقاط ، فى رأينا ، خطيرة :

أ - **الضعف الأيديولوجى وضعف الصراع الأيديولوجى** : لن نتوسع هنا فى هذه النقطة الأساسية فى رأينا حيث أن هناك تقريراً معداً عنها .

ب - **الاتجاه التصفوى** : وهو الاتجاه إلى إنقاص قدر العمل داخل الحزب بالمقارنة بالعمل الخارجى أى الاتجاه إلى إتمام العمل خارج الحزب لا من « خلاله » ، وعدم الربط بين العمل الخارجى والداخلى ، مما يؤدى ، والحال هكذا ، إلى اعتبار العمل الداخلى « سخرة » إضافية ينبغى هجرها فى سبيل مهام العمل الخارجى « الهامة » ، وإلى الإقلال من دور الخلية وإنشاء « مكاتب » تقوم بالفعل بأكبر جزء من العمل (الخارجى) خارج التدرج التنظيمى للحزب ، وإلى ضم الأعضاء دون الاهتمام بتلقينهم حداً أدنى من المبادىء الماركسية ، وإلى عدم الاهتمام الدائم بالإعداد الكامل للكوادر ، وإلى دفع الزملاء إلى اللجنة المركزية على أساس العمل الخارجى فقط دون وضع تكوينهم الماركسى فى الاعتبار ، وإلى الإقلال من دور اللسان غير الرسمى للحركة ، وهو دور غير موجود فعلاً بالمقارنة بدور الصحافة الديمقراطية الرسمية .. وهذه علامة مثيرة للقلق سنعود إليها .

لقد كانت الحركة على حق عندما ركزت جهدها الرئيسى فى سنة ١٩٥٠ على تحقيق « الاتصال بالجماهير » بعد فترة الانقسام الداخلى والإرهاب والأحكام العرفية ومعسكرات الاعتقال ، ذلك لأنها كانت منعزلة وكان الضمان لتطورها هو تنمية العمل

الخارجى بها ، لكن الوضع يختلف الآن حيث يكمن ضمان تطور الحركة ، شاملاً العمل الخارجى ، فى دعم العمل بالداخل ، وبهذه الطريقة وحدها يمكننا التقدم .

جـ ـ الاتجاه العملى : هكذا يدعى الاتجاه إلى تخصيص أكثر قوانا (أو فى مفهومنا قوانا شبه الكاملة) للقيام بمهـام عملية لا تحصى : قضاء اليوم فى لقاءات مستمرة بدون التقاط الأنفاس ، وأداء مهام يمكن للغير القيام بها ، والاهتمام بتفاصيل عمل الرفاق والرغبة فى تنظيمه و « عدم وجود الوقت » للدراسة والكتابة ووضع خطوط العمل إلخ .. إن كل هذا يؤدى إلى سوء توزيع العمل .. « لأن أشخاصاً بعينهم هم الذين يعملون » كما يؤدى إلى فوضى تنظيمية وبصفة خاصة إلى عدم قيام القيادة بدورها واختفاء الاجتهاد ، وإلى العمل دون وجود خط عام واضح ، وبلا خطوط خاصة واضحة الصلة بالخط العام .

وتكون النتيجة هى ضياع الوقت فى علاج عدم كفاية التفاصيل بدلاً من اكتشاف وتلبية احتياجات الحركة فى مجموعها ، وإلى سيطرة النشاط علينا « فنتبعه » بدلاً من أن نتحكم فيه ونقوده ، وهكذا يؤدى عجزنا عن التحليل المستفيض للـوضع إلى « الانقيـاد » للأحداث .

د ـ الارتجال فى العمل بين الجماهير : ضعف وضيق أفق التنظيمات الديمقراطية والعجز عن تنظيمها جدياً على الصعيد الوطنى ، وفى الوقت ذاته الاتجاه إلى العمل « من أعلى » أى تكوين التنظيمات على الصعيد الوطنى دون الارتباط بالمراكز المحلية ، والعجز عن تحديد واضح للمطالب الملموسة للجماهير وبالتالى عدم القدرة على تجنيد الجماهير للدفاع عن مطالبها ؛ وأيضاً ضعف البرامج الموضوعة للمطالب ، وضعف الصلة بين المطالب الفورية والأهداف العامة ، هذا الضعف الذى يؤدى أحياناً إلى اتجاه « سياسى » متطرف ، وأحياناً أخرى إلى اتجاه « اقتصادى » عقيم ؛ وأخيراً عدم تقدير وضعف الارتباط بالتنظيمات الديمقراطية الدولية .

نحن نرى أن الاتجاهات الثلاثة الأخيرة غير صحيحة : الاتجاه التصفوى ، والاتجاه العملى ، والارتجال السائد فى العمل بين الجماهير ؛ وهى تعود بصفة رئيسية إلى الضعف الأيديولوجى وتترتب عليه .

أهميـــة القضيـــة

ما القضية ؟

إن القضية ، وهذا أمر ينبغى إدراكه ، هى النصر أو الهزيمة حيث يتوقف **كل شىء** ، فى الظروف الموضوعية الثورية التى تعيشها مصر ، على الحزب وقدرته على أداء دوره .. إن الثورة لا تصنع نفسها ، بل نحن الذين نقوم أو لا نقوم بها .

ماذا تقول تجربة الأحزاب الأخرى ؟ إن ماوتسى تونج ، فى حديثه عن تاريخ الحزب الشيوعى بالصين يبين كيف أن فشل الثورة فى مراحلها الأولى يرجع إلى نقاط الضعف الموجودة بالحزب .

الاقتراحـــــات

بالنظر إلى الوضع القائم بالحركة ، وبعد أن أثبت العامان اللذان قضيناهما بالمنفى أننا لا نطمع فى إدارة الحركة من « الخارج » ، وأننا كأعضاء مخلصين نرغب فى المساعدة بطريقة مباشرة أكثر من ذى قبل ، وفى التعاون مع زملاء أوفياء ومخلصين مثل : ليلى ، صلاح ، عصام ، داود ، رشيد ، أميرة وغيرهم ؛ لهذا نقترح القيام بالمهام التالية ، أو بالقدر الذى تحدده القيادة منها ، بالتوازى مع المهام الأخرى الجارية :

١ ـ دعم الصراع الأيديولوجى :

أ ـ تقرير عن الصراع الأيديولوجى .

ب ـ تقرير عن تاريخ الحركة .

جـ ـ المساهمة فى « الوعى » ، لسان حال الحركة النظرى الذى يجب أن يعود للظهور .

د ـ طبع كتب نظرية .

٢ ـ دعم العمل بالداخل :

أ ـ إعداد مشروع للوائح مع مذكرة تفسيرية .

ب ـ محاضرات عن أسس التنظيم .

جـ ـ محاضرات سياسية مع مراعاة نوعية الأعضاء المرشحين لها : عمال ، فلاحون ، سيدات ..

٣ ـ تحسين المفاهيم ومقاومة النظرة العملية :

أ ـ إعداد مشروع برنامج مع مذكرة تفسيرية .

ب ـ إعداد عناصر الخط السياسى العام .

٤ ـ مكافحة الارتجال فى العمل بين الجماهير :

أ ـ تشكيل لجان متخصصة فى العمل الديمقراطى .

ب ـ إلقاء محاضرات عن العمل بين الطبقات المختلفة .

وينبغى رفض الاختيار الزائف بين « الدراسة والعمل » لأن الموقف الصحيح هو الربط المنسق بينهما ، هذا الربط الذى سيؤدى إلى دعم أحدهما بالآخر بدلاً من إضعاف أحدهما .

ونحن نرفض أيضاً التفرقة المزعومة بين « العمل الداخلى والخارجى » لأن الموقف الصحيح الوحيد هو تطبيق خط واحد يحقق ارتباطاً منسقاً بينهما ، ومن شأن هذا الارتباط أن يدعم أحدهما بالآخر بدلاً من أن يضعف أحدهما .

عاشت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ضماناً أسمى لتحرر مصر ، وتحرر الطبقة العمالية المصرية .

لجنة مجموعة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بالخارج

مارس سنة ١٩٥٣

من أجل نضال منطقى لتحقيق الوحدة بين الشيوعيين المصريين

إن النضال من أجل الوحدة مهمة مستمرة لجميع الأحزاب الشيوعية على أكثر من صعيد ؛ فهناك النضال من أجل الوحدة على الصعيد الوطنى ، والنضال من أجل وحدة الطبقة العمالية ، والنضال من أجل وحدة الحزب ، فضلا عن النضال على الصعيد الخاص الذى تنفرد به مصر ، وهو النضال من أجل وحدة الشيوعيين المصريين .

لماذا يعد هذا الصعيد خاصا بمصر ؟ إن الجميع يعرفون أن الأحزاب الشيوعية هى طليعة الطبقة العمالية فى كل البلاد ؛ وينتج عن هذا أن لكل بلد حزبا شيوعيا واحدا لأن الطبقة العمالية لا يمكن أن يكون لها أكثر من طليعة أو « شكل أسمى من أشكال التنظيم العمالى » (ستالين) ولكن الوضع يختلف فى مصر حيث تطالب عدة تنظيمات ، لا تنظيم واحد ، بهذا اللقب المجيد : طليعة الطبقة العمالية المصرية ؛ وهو وضع ينبغى العمل على تصفيته ؛ لذا يهدف هذا التقرير إلى تنبيه الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى لهذا الوضع ، والكشف عن جذوره وأهميته ، وبيان أهمية اتباع سياسة واضحة فى هذه المشكلة ، ومحاولة تحديد الخطوط العريضة لهذه السياسة .

هل هى مشكلة جديدة ؟ كلا ، إنها مشكلة تطرح نفسها منذ ميلاد الحركة الشيوعية المصرية إلى جانب مشاكل الصراع الأيديولوجى التى لم نحاول مواجهتها بجدية ، لقد كدست الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التجارب الفنية فى مشكلة النضال من أجل وحدة التنظيمات الشيوعية المختلفة ، ومع هذا ينبغى الاعتراف بأننا توقفنا ، بخلاف المراحل السابقة ، عن تحليل وتحديد هذه المشكلة التى لم يعد لنا سياسة واضحة خاصة بها ، وهذا يعنى فى الواقع اتباع سياسة « تلقائية » أى سياسة .. « انتهازية » . يلزم تغييرها بسياسة واعية قائمة على تحليل الظروف الملموسة وعلى التجربة الغنية للحركة فى هذا المجال .

ما أسباب الوضع الحالى ؟

هذه هى بعض الأسباب دون تحديدها جميعا :

أ ـ أولاً « نظرتنا العملية » للأمور : كنا مثقلين بمهام كثيرة ، ولم نرغب فى إضافة مهام جديدة تضيع من وقتنا ؛

ب ـ بالإضافة إلى هذا ، دفعنا إدراكنا بأننا نمثل التيار الثورى « بحق » إلى اتخاذ موقف متعال (لا يمت « للثورية » بصلة) من التنظيمات « الانتهازية » الأخرى ؛

جـ ـ كان تنظيمنا أقوى التنظيمات مما جعلنا نعتبر المشكلة تافهة وبلا أهمية ؛

د ـ الرغبة فى تجنب قسوة الصراع الأيديولوجى الطويل والملازم للنضال من أجل

الوحدة ، وتلافى النقد الموجه للأخطاء العديدة التى ارتكبناها ولم نرغب فى الاعتراف بها أمام « الانتهازيين » لاعتقادنا بأن هذا سيزيد من قوتهم ؛

هـ - الرغبة فى تجاهل ضرورة مواجهة وتحليل وحل مشكلة النضال من أجل الوحدة فى المرحلة الحالية ؛

و - الميول الطائفية حيث كنا نرغب فى البقاء « فيما بيننا أى بين ثوريين » .. إلخ .

الوضع الحالى :

يتميز الوضع الحالى بالخطوط التالية : غياب سياسة محددة بخصوص هذه المشكلة ، ولا داعى للإفاضة فى هذه الحقيقة التى تفرض نفسها على الجميع ؛لقد كانت لنا « آراء » عديدة عن الوحدة ، ولم نَتبَنَّ كما ينبغى ، سياسة عميقة ودائمة : البعض يريد الوحدة ، والبعض الآخر لا يريدها ، ولكل من هؤلاء وأولئك أسبابه المختلفة لرفض الوحدة أو السعى لها ، وكانت هناك أيضا خلافات على أسس هذه الوحدة .

اعتدنا هذا الوضع واستسلمنا له كخاصية حتمية من خصائص النضال السياسى فى مصر ، وقد أضعف هذا الاعتياد من إحساسنا بجوانبه السلبية فلم ندرك ضرره ، واستمر الوضع كما هو دون أن نفعل شيئا لعلاجه .

ويمكن تلخيص موقف الحركة من النضال من أجل الوحدة فى :

- عدم تقدير أهمية المشكلة .
- الاعتقاد بأنها ستحل « من تلقاء نفسها » ؛ ومن هنا كانت ضرورة التصحيح الحاسم .

خطورة الانقسام داخل الحركة الشيوعية المصرية :

ينبغى علينا العمل بقوة وبلا كلل على عدم الإقلال من أهمية هذه المشكلة ، وعلى إبراز نقاط الضعف العديدة والخطيرة الناتجة عنها وهى :

أ - تشتيت الجهود : رغم أن نضال الشيوعيين هو نضال موحد بقيادة موحدة ، فإن النضال فى مصر حاليا مشتت ومتعدد القيادات ؛

ب - تبديد الجهود : إن تعدد التنظيمات فى مصر يؤدى إلى بعثرة غير عاقلة للجهود فى الصراع بين الشيوعيين أنفسهم إذ يتوهم عدد كبير منهم أنهم يقاتلون فى سبيل الشيوعية بينما هم يصارعون بعضهم البعض ؛

جـ - إضعاف تأثير الحركة الشيوعية من الداخل حيث يقوم كل تنظيم بدور الاحتياطى بالنسبة للساخطين : هناك شعور عام ، يسود الجميع أويكاد ، بأن السخط داخل التنظيم يعنى،بالنسبة للتنظيمات الأخرى ، الثورية الحقيقية ؛

د - إضعاف نفوذ الشيوعيين المصريين بين المؤيدين الذين أوهن من عزيمتهم انقسام الشيوعيين وعجزهم عن الفصل بين التنظيمات ، « وهو أمر صعب بدليل أن الأحزاب الشيوعية الأخرى لم تقم به حتى الآن » ؛

هـ - إضعاف سطوتنا ونفوذنا بين حلفائنا : إن الطبقة العمالية « البروليتاريا » تجتذب الطبقات الأخرى بقدر قوتها وقوة طليعتها ، أما الانقسام فهو يتيح لأعداء الوحدة مع الشيوعيين ، فى الطبقات المختلفة ، التذرع بتعدد التنظيمات لرفض وحدة العمل ؛ فى سنة ١٩٥٠ مثلا رفض تيار الإخوان المسلمين الرجعى النضال مع الشيوعيين أو التنظيم الوحيد الذى اقترح هذا وهو : الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، بحجة تعدد التنظيمات الشيوعية ؛

و - سهولة التدخل البوليسى والحديث عن بعض المشاكل الداخلية للحزب أمام الأعداء ؛

ز - وأخيرا هى السبب الرئيسى الذى يحول دون اعتراف الحركة العمالية الدولية بالحركة الشيوعية المصرية ، وهو اعتراف سيكون لها بمثابة دعامة معنوية لا تقدر بثمن .

هذه بعض مساوىء انقسام الشيوعيين المصريين ، وهى مساوىء ستختفى بالقضاء على الانقسام لأن الحركة الشيوعية المصرية لن تقوى باتحاد كل المناضلين المتفرقين حاليا فحسب ، بل إن الوحدة ستنشىء وضعا مختلفا من ناحية الكيف فقد أثبتت التجربة، فى العالم كله ، أن الوحدة لا تؤدى فقط إلى زيادة أعضاء الحركات العمالية والسياسية والنقابية ، ولكنها أيضا تقدم لها دعما ضخما كما يؤدى الانشقاق إلى هجر عدد كبير من العمال لنشاطهم ؛ لذا تساند الرجعية والامبريالية دائما وفى كل مكان التنظيمات الانشقاقية حتى لو كانت بلا أهمية ، ولهذا ينبغى ألا يدفعنا « ضعف » التنظيمات الأخرى إلى إهمال القوى الجديدة التى يجلبها الاتحاد .

هكذا يعد انقسام الحركة الشيوعية ظاهرة ضارة ينبغى مكافحتها ، وبوسعنا كثوريين منطقيين النضال ضده والقضاء عليه بدراسة المشكلة بعمق من نواحيها المختلفة ؛ ولنحاول وضع الخطوط الأولى لهذا العمل .

تعدد التنظيمات الشيوعية فى مصر :

إن جذور هذا التعدد تعيدنا مرة أخرى إلى ظروف ميلاد الحركة الشيوعية فى مصر : لقد ولدت الحركة الشيوعية المصرية حقا فى سنة ١٩٤٣ حيث « جاء تراشق المدافع فى ستالينجراد بالماركسية إلى مصر كما حملها إلى الصين تراشق المدافع فى ثورة أكتوبر » ؛ وكانت الظروف الموضوعية لهذا الميلاد ظروفا ثورية للغاية إذ أدى تضافر قهر الامبريالية والإقطاع مع فساد وإهمال وكسل الطبقة الحاكمة من جهة ، ومن جهة أخرى ظروف الاستغلال الرهيبة التى يعيشها الشعب المصرى إلى اجتذاب الشيوعية لعدد متزايد من العناصر المنتمية إلى جميع الطبقات الاجتماعية والباحثة عن حل لمشاكل مصر الضخمة حتى تجعل منها بلداً مستقلا ، حراً ، تقدميا وسعيدا ؛ ولكن هذه العناصر لم تجد إطار معداً لاستقبالها حيث قام الوفد فى سنة ١٩٢٤ بتصفية أول حزب شيوعى تأسس فى مصر

عقب انتصار الثورة السوفيتية ، ومنذ ذلك الحين و « القسم المخصوص » التابع لجهاز المخابرات الانجليزى[1] يسحق فى المهد كل المحاولات لإنشاء تنظيمات شيوعية .

لقد كان على المناضلين الشيوعيين الأوائل مواجهة صعوبات كبيرة منها قوة الامبريالية التى حولت مصر إلى قاعدة حربية ، والبورجوازية التى كانت على استعداد دائم للخيانة أو التورط فى سبيل الاحتفاظ بامتيازاتها الهائلة ، وإدارات الاستخبارات العديدة التى تعمل جميعا فى ظل الأحكام العرفية وهى : البوليس السياسي ، القسم المخصوص ، المخابرات البريطانية ، إدارة الاستعلامات الانجليزية C.Q.G، البوليس السياسي المصرى ، إلخ ؛ وفى الوقت ذاته لم يكن لدى هؤلاء الشيوعيين سابق خبرة بالتنظيم وبالعمل السرى ، كما لم يكن لديهم كتاب نظرى واحد باللغة العربية بينما كان عليهم استيعاب الأسس النظرية للماركسية ؛ بالإضافة إلى كل هذا لم يتوافر لهم الإعداد السياسي لعدم مشاركتهم من قبل فى الحياة السياسية ، مثلهم فى ذلك مثل الطبقات الاجتماعية التى ينتمون إليها ؛ إن المناضلين الشيوعيين الأوائل بدأوا فعلا من الصفر ! .

ليس غريبا إذن أن تتجمع العناصر ، التى اتجهت إلى الشيوعية منذ سنة ١٩٤٣ والتى استطاعت التفوق عدداً على البوليس السياسي بأنواعه المختلفة لمدة محدودة ، فى تنظيمات متنوعة على أساس الوسط الاجتماعى الذى ينتمى إليه وعلى أساس تجارب ومفاهيم العمل لديها ؛ ومنذ البداية وهذه التنظيمات ، التى يزعم كل منها أنه « الأصل » تتصارع فيما بينها ، ولم تكن الدولية الشيوعية المجيدة ، التى علقنا عليها الأمل ، موجودة لتفصل بينها إذ أنها انحلت فى سنة ١٩٤٣ على وجه التحديد ، وقد سهل حلها عمل الشيوعيين المصريين بطريقة يصعب تصورها فى الوقت الحاضر وإن حرمتهم فى الوقت ذاته من وجود سلطة عليا .

تعود إذن ظاهرة تعدد التنظيمات الشيوعية التى تنفرد بها مصر إلى ثلاثة عناصر :

* اجتذاب الشيوعية لعدد من العناصر مختلفة النشأة ومختلفة التجارب ،
* عدم وجود إطار معد لاستقبالها ،
* غياب السلطة العليا القادرة على الفصل بينها .

ما أوجه الخلاف الجوهرية بين التنظيمات الشيوعية فى مصر ؟

إن التمييز بين التنظيمات الشيوعية مسألة أساسية ينبغى البت فيها حتى يمكن اتخاذ موقف منطقى من مشكلة الوحدة : من الواضح أن الخلاف بينها ليس خلافا نظريا لأنها جميعا تنتمى إلى الماركسية ـ اللينينية ـ الستالينية المتشددة ، وهو أيضاً ليس خلافا سياسيا برغم وجود فروق سياسية ، فقد أثبتت التجربة أن هذه الفروق تختفى بعد،وقت

---

(١) القسم المخصوص،كان احد اقسام إدارة الأمن العام بوزارة الداخلية المصرية ، انشىء عام ١٩١٠ لمواجهة النشاط السياسى المعارض ، وتلقى رجاله تدريبهم على ايدى ضباط من الانجليز .

طال أو قصر ، عندما ينتهى المفهوم الصحيح بالانتصار كما هو الحال فى الموقف من السودان على سبيل المثال ، والطبيعة الطبقية للديمقراطية ؛ وهى على كل الأحوال فروق سببها الجهل وليس الانحراف .

إن المسائل التنظيمية لم تكن هى الأخرى موضوع الخلاف لأن جميع الأشكال التنظيمية متقاربة ولا تختلف جوهريا ، حيث لا وجود مثلا بشكل صريح على الأقل ـ « لماركسية رسمية » ، أما اختلاف البرامج فيعود إلى التكوين الأيديولوجى للمناضلين الذين يعدونها حيث أن المطالب الأساسية لجميع التنظيمات تتفق إجمالا .

لذا نعتبر أن الاختلاف الأساسى والجوهرى بين التنظيمات الشيوعية المصرية يكمن فى خطة كل منها وموقفه من العمل ؛ أما أعداؤنا الذين يثيرون ضجة كبيرة حول الخلافات النظرية ، والسياسية ، والتنظيمية أو حول اختلاف البرامج ، فهم إنما يفعلون ذلك بغرض إخفاء الاختلاف الحقيقى ؛ لماذا ؟ لأنهم يريدون تكديس الصعوبات الكبيرة أمام الوحدة ، ولأنهم لا يستطيعون طرح المشكلة بصراحة دون أن يكشفوا أنفسهم .

لمحة قصيرة عن سياسة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى من أجل الوحدة :

على خلاف ما يجرى الآن كان لنا دائما موقف سياسي من هذه المشكلة ، وقد تبين لنا خطأ هذا الموقف الذى نذكر فى إيجاز خطوطه العريضة :

فى الفترة من سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٥ :

وهى الفترة التى اصطلحنا على تسميتها فترة « التكوين الأولى » للحركة الشيوعية المصرية حيث لاعمل سياسي للجماهير ، فالتنظيمات محدودة والاتصالات تحدث عن طريق الصدفة ، والشيوعيون لا يشعرون بحاجة عميقة للتعاون وبالتالى الاتحاد ، كما أن الفرصة لا تتاح لهم لتحقيق ذلك .

لم تؤد إذن محاولات الوحدة إلى نتيجة ملموسة ، ويمكننا ، دون سرد تفاصيل النضال من أجل الوحدة المذكورة فى تقرير كُتِبَ فى سنة ١٩٤٩ تعريف السياسة المتبعة آنذاك كالتالى :

« يمكن حل مشكلة الوحدة بالعمل الصحيح والفعال ، وتقدمنا وحده كفيل باجتذاب المناضلين الصادقين إلى صفوفنا بعد تصفية التنظيمات الأخرى » التى تتبنى معظمها مفاهيم مشابهة .

لقد كنا على خطأ فى هذه التوقعات ، وسنتحدث قليلا عن هذا الخطأ لأن مفاهيم الحركة حاليا قريبة من تلك المفاهيم ، وأسباب هذا الخطأ عديدة فهو يعود إلى :

* أننا لم نحدد حتى هذه اللحظة الجذور الطبقية التى تجعل التنظيمات المختلفة قادرة على التطور رغم ضعفها الشديد الظاهر ؛
* أننا لم نفهم الخلاف الحقيقى بين التنظيمات ولم نمتلك ، بالتالى ، وسائل قيادة الصراع المذهبى على أسس متينة ؛

هنرى الذاتية إلى تأثره بأزمة ١٩٢٩ الاقتصادية ولكن يبدو أن أثرها على نشاطه المالى لم يكن كبيراً .

أما زفيرا بيهار ـ أم هنرى ـ فكانت تنحدر من أسرة يهودية كانت تعيش فى استانبول ، وتشتغل بتجارة السجاد التى حقق الوالد منها ثروة كبيرة بددها الأبناء بعد وفاته . وقد أدخلتها أسرتها مدرسة دير نوتردام دوسيون حيث اعتنقت الكاثوليكية ، ويذكر هنرى أنها عمدته وأخاه راؤول سرا ، وأنها كانت شديدة التدين توزع اهتمامها بين الكنيسة والكنيس .

الأسرة ـ إذن ـ يهودية ثرية تختلط فيها الدماء الشرقية والأوروبية ، ذات ثقافة فرنسية ، تحمل الجنسية الإيطالية ، منعزلة عن المجتمع المصرى ، مرتبطة بالجاليات الأجنبية ، فيحدثنا بيرو عن الحفلات الراقصة التى كان يقيمها دانييل كورييل بحديقة قصره بالزمالك أيام الحرب العالمية الثانية ، ويدعو إليها صفوة الأجانب وكبار الضباط الإنجليز وبالطبع البورجوازية اليهودية . حتى علاقة الأسرة باليهود المصريين كانت مقصورة على المعونات المالية للأعمال الخيرية التى توجه إلى فقراء الطائفة . واعتادت الأسرة أن تقضى الصيف فى فرنسا ، حيث كانت هناك اثنتان من شقيقات دانييل تزوجتا من فرنسيين ، وحيث كان للأسرة على ما يبدو مسكن دائم هناك .

لذلك كان من الطبيعى أن يربى الأبناء تربية فرنسية ، فتلقى الولدان راؤول وهنرى تعليمهما الابتدائى والثانوى فى مدارس الجزويت (اليسوعيين) فى الفجالة ، وكان تأثر هنرى بأساتذته فى الفجالة كبيراً ، وبعد أن حصلا على شهادة البكالوريا الفرنسية ، أوفد راؤول إلى فرنسا لدراسة القانون . ولكنه غير بعد ذلك ميدان دراسته ليتخصص فى الآثار الشرقية ، أما هنرى ، فقد فضل أبوه ـ على ما يبدو ـ أن يعده لإدارة المصرف الذى تمتلكه الأسرة فوجهه إلى دراسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة . مما أصاب هنرى بالإحباط فقد كان يتطلع إلى فرنسا حيث درج أقاربه على التوجه إليها طلباً للعلم ، فعلى حد قوله : « كان من الصعب على يهودى إيطالى تخرج فى مدرسة فرنسية أن يجد نقطة ارتباط حقيقية فى بلد مسلم ، وكانت فرنسا هى الوطن الوحيد الذى أشعر بالارتباط به ..»

ولعل هذا الشعور بالإحباط كان وراء حياة المجون التى عاشها هنرى كورييل فى الثلاثينيات ، فيحدثنا بيرو عن تردده على مواخير القاهرة ، ودعوته لأصدقائه لمشاركته صحبة المواخير « بحجة أن العاهرات يمثلن بالنسبة للبورجوازيين أقصر الطرق لتحقيق الوعى السياسى »!! كما يذكر أن هنرى فتن بغانية رومانية كانت تعمل راقصة بكازينو الكيت كات ، وظل ينفق عليها طيلة عامين . هذا فضلاً عن كوكبة الفتيات اليهوديات اللاتى أحطن به فى المناسبات الاجتماعية المختلفة للبورجوازية اليهودية ، وكانت « روزيت العجم » واحدة من أولئك الفتيات . ولكنها تفوقت عليهن باستحواذها على قلب هنرى ، فأصبحت زوجته منذ فبراير ١٩٤٣ .

* أننا لم نقدر عمل الانقساميين حق قدرة ، وهم الذين نجحوا فى إقامة حواجز من الافتراءات بين المناضلين بالحركة ؛

* أننا لم ندرك أن التنظيمات الأخرى تستفيد من عملنا بطريقة غير مباشرة حيث تزداد قوة مع كل مجال جديد ندخله لأنها تجد به عناصر تفضل النضال تحت لواء الشيوعية فى تنظيمات أقل ثورية ؛

* أننا لم نفهم أن التنظيمات الأخرى تقوم بالنسبة للمناضلين بدور البديل خاصة فى مواجهة الصعوبات بالداخل أو فى فترات القمع الحكومى ؛

* أننا لم نع أن الصراع الداخلى بالتنظيم هو الذى يغذى التنظيمات الأخرى بصفة دائمة ، أو أنه الأساس الذى تقوم عليه التنظيمات الأخرى ؛

هذه هى الأسباب التى أدت إلى هذا الوضع فى نهاية عام ١٩٤٥ ، وهو وضع لا يفضل سابقه من ناحية الوحدة حيث تعددت التنظيمات الشيوعية وزاد عدد أعضائها وإن ظلت الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، فى كل مجالات النشاط الثورى ، فى الطليعة .

فى الفترة من سنة ١٩٤٥ إلى يونيو سنة ١٩٤٧ :

تغير الوضع كثيرا إذ اتسعت التنظيمات ، وضاعفت من الصلات والاحتكاك فيما بينها ، وازدادت الحاجة للتعاون حين أدرك الشيوعيون فائدة الاتحاد ، وقد وضعت الأنشطة الخارجية التى طورتها جميع التنظيمات قواعد متينة للعمل المشترك حيث يتبع الشيوعيون ، بدرجات متفاوتة ، الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى انغمست بعمق فى النضال السياسي كما اتخذت موقفا واضحا وجريئا وهو « الوحدة غير المشروطة » ؛ إلى هنا والتعاون كامل وأمين .

اعترض على « الوحدة غير المشروطة » بالإضافة إلى غير الراغبين فيها ، أولئك الذين يراوغون بوضع شروط غريبة لها : تطالب إسكرا مثلا بمهلة قدرها ثلاثة أشهر لا يعتقل خلالها أحد أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى ! ولكن النشاط المشترك فى بعض المجالات يزيل الأفكار المسبقة ، ويعمق المواقف من خلال المناقشات المثمرة ؛ وقد أظهرت هذه المناقشات خلافا مع إسكرا ، وهو الخلاف على المبدأ الأساسى للتنظيم : هل هو المركزية أو « ديمقراطية » مزعومة ؟ جعلنا من تصفية هذا الخلاف شرطا مسبقا للوحدة وقدنا صراعا أيديولوجيا عميقا انتهى بانتصارنا الذى أدى إلى الوحدة مع إسكرا رغم تحفظات قادتها وسوء نيتهم ، لقد كانت الوحدة انتصارا كبيراً لنا لم تتح لنا قلة خبرتنا الإفادة الكاملة منه .

الفترة من يونيو سنة ١٩٤٧ إلى يونيو سنة ١٩٤٨ :

كانت الوحدة مع إسكرا انتصارا كبيرا أدى إلى الوحدة مع تنظيمات أخرى ، وجعل قوة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تفوق كثيراً قوة التنظيمات الأخرى مجتمعة ، وقد

استغرقتنا حتى هذه اللحظة المشاكل الداخلية التى طرحتها الوحدة ، والتقدم الضخم الذى أحرزناه بعدها ، فأدى ذلك الوضع إلى قبول شعار عادل[2] الانتهازى : « لقد تحول النضال من أجل الوحدة إلى صراع داخلى » ، وأصبح النضال ضد التقسيم يتم على الصعيد الداخلى فقط ، أما التنظيمات الأخرى التى تجمعت بدورها فى « جبهة معارضة » فقد أهملنا الصراع معها من أجل الوحدة .

إن تمام الوحدة « لا يدخل فى نطاق هذا التقرير ، ولكن هناك كلمة ينبغى أن تقال عن الانقسام الهام الذى حدث فى الفترة من فبراير إلى أغسطس سنة ١٩٤٨ : فى هذه الفترة ولد العديد من التنظيمات ، وهذا أمر لم نتوقعه ، ولكن ينبغى إدراك السبب الذى أدى إلى هذه الانشقاقات الكبيرة حتى نفيد من التجربة ؛ إننا لم نقلل من قدر القادة الانقساميين على صعيد الصراع الداخلى ، كما يزعم البعض ، بل كان خطأنا هو عدم الربط بين الانقسام وهجوم الرجعية إذ استغل الانقساميون لصالحهم المشاعر الانهزامية الناتجة عن الهجوم الرجعى ، هذه المشاعر التى اتخذوها ذريعة ضد الإدارة الثورية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

إن الرجعية بدأت هجومها مع التصويت على القرار بتقسيم فلسطين والإعداد للحرب « ديسمبر سنة ١٩٤٧ » ؛ وليس من قبيل الصدفة أن انشقاق سليمان[3] حدث فى فبراير سنة ١٩٤٨ ، وأن الهجوم الشامل بدأ مع الأحكام العرفية فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ؛ ثم توالت بعد ذلك الانشقاقات ابتداء من شهر يونيو : انشقاق « عمالى ثورى » ، « صوت المعارضة » ، « نحو حزب شيوعى مصرى » ولا يعنى هذا أننا على خطأ فى موقفنا وفى ندائنا بالاستمرار فى العمل ، ولكن هذا الموقف التلقائى لم يتح لنا كشف مضمون الانشقاق الانهزامى المستتر وراء الخطب الرنانة عن « انحراف القوى الوطنية الديمقراطية » ، هكذا وجدنا أنفسنا أمام خيارين : النقاش على الصعيد الذى اختاره الانتهازيون ، أو التذرع بأهمية استئناف العمل لرفض النقاش مبدئيا .

الفترة من يونيو سنة ١٩٤٨ إلى يونيو سنة ١٩٥٠ :

فى البداية ، ساد الاضطراب الشامل إذ اسْتُدْرِجْنا فى المعتقلات إلى مناقشات طويلة وعقيمة على صعيد « السياسة العليا » وهو الخط الذى سار عليه أعداؤنا الانتهازيون ؛ وفى الخارج كانت سياسة سالم هى « الوحدة بأى ثمن » ولو كان التنازل عن تمثيل تيارنا بالقيادة وإدانة خط « القوى الوطنية الديمقراطية » المزعوم .

إن هذا الموقف الضعيف اليائس الذي يبرىء الانقسام ـ هكذا رآه من بالخارج ، الأمر

---

(٢) عبد المعبود الجبيلى .
(٣) شهدى عطية الشافعى .

الذى أساء إلينا كثيرا - ما كان ليفضى إلا إلى آثار مفجعة منها استمرار الاضطراب ؛ ولكن الوضع سرعان ما تغير حين بدأ جديا التحليل العميق للتيارين الموجودين داخل الحركة الشيوعية المصرية ، وقد أكد هذا التحليل ثقة الحركة بنفسها إذ ساعد الكشف عن المضمون الانتهازى والجذور الطبقية للتنظيمات الأخرى على تحديد الخلاف الأساسى بينهما ، وهو خلاف عملى وخلاف تكتيكى .

إن تعريف الخلاف يؤكد أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى على حق فى رفضها لمقترحات الوحدة من خلال « المؤتمرات ، واللوائح ، والبرامج » كما يتيح وضع سياسة مذهبية قائمة على « وحدة العمل » ، وهى السياسة التى عملنا بها ولم نكتف بإعلانها ، وأشير هنا إلى مثلين لذلك : اقتراح العمل المشترك من أجل السلام فور إغلاق المعتقلات فى فبراير سنة ١٩٥٠ ، واقتراح بالتعاون فى إصدار أول مجلة رسمية فى هذه الفترة ؛ لم يلق هذان الاقتراحان القبول بين قادة التنظيمات الأخرى فكان الرفض الذى أضعف من شأنهم وزاد فى الوقت ذاته من ثقة ووحدة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

الوضع القائم

لا يمكننا الحديث بدقة عما حدث فى الفترة من يونيو سنة ١٩٥٠ حتى وقتنا هذا ، ولكن الدلائل تشير إلى عدم وجود قاعدة واضحة يسير عليها حزبنا فى مشكلة الوحدة .

أ - موقف جمال : دافع جمال ، أثناء تنقلاته بالخارج ، عن أفكار مشابهة لمواقف سنة ١٩٤٣ البدائية ؛ لقد كان يريد الإقناع ، ليس بالتحليل السياسي ، بأن مشكلة الوحدة قد حُلَّت عمليا لأن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى التنظيم الشيوعى الوحيد ، أما التنظيمات الأخرى فهى تنظيمات تافهة أو بوليسية ؛ ولكن هذا الموقف المخالف للواقع أساء إلينا وأضعف إلى حد ما من نفوذنا .

ب - المنشورات : قرأنا منشورات مؤسفة للغاية تتحدث عن « الحزب الشيوعى المصرى » « كتنظيم بوليسى فى خدمة الامبريالية » مع أنه لم يفعل سوى تبنى موقف كثير من الأحزاب الشقيقة فى أحداث يوليو ؛ هل حققت هذه المنشورات نتيجة إيجابية ؟ من البديهى أنها خدمت أساسا قضية المنقسمين بتكرار الاتهامات التى سبق أن رُمينا بها فى ظروف مشابهة واتباع أسلوب السباب ، الذى يعبر فى الواقع عن غياب الحجج ، بدلاً من النقاش على صعيد الجدل السياسي .

جـ - رفاق غير دائمين : اضطر الرفاق غير الدائمين ، ومعظمهم كوادر قيادية ، إلى الاعتراف بجهلهم خط الحركة فى هذه المشكلة الهامة عندما سألناهم عنه ، مما يثبت أن هذا الخط غير محدد ؛ ولكنهم على العكس من هذا ، أظهروا اتفاقا وحماسا لسياسة إيجابية من أجل تحقيق الوحدة مع مناضلى التنظيمات الأخرى ؛ وقد أعدَّ هذا التقرير بناء على اقتراحهم .

لصالح من يستمر الانقسام داخل الحركة الشيوعية المصرية ؟

لا يزال تحليلنا لتعدد التنظيمات الشيوعية تحليلا « سياسيا » ، وإليكم تلخيصا للعرض المذكور عاليه ، وهو عرض يعكس مواقفنا التقليدية ولا ينبئنا بجديد :

* إن اختلاف البيئة والتجارب يؤدى إلى تشكيل تنظيمات شيوعية متعددة ؛
* يفضى هذا التعدد إلى صراع شرس يقوده الانتهازيون ضد التيار الثورى الذى تمثله الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

لقد أبرز المؤتمر التاسع عشر أهمية الوعى ، وهذه صفة تنقصنا بدرجة غريبة ! فيم يظهر هذا النقص ؟ فى حصرنا أسباب الانقسام فى الأسباب الذاتية فقط ، وذلك لأننا كنا نظن أن الامبريالية لا تهتم بالحركة الشيوعية المصرية إلا من « الخارج » ؛ ولأننا اعتقدنا هذا لم نتبين شيئا .

ومع هذا ، هل كنا بحاجة إلى فكر ثاقب لندرك أن الانقسام هو سلاح الامبريالية المفضل ؟ وأنها بعد أن حققت « انتصارات » فى العديد من الأحزاب ، لا يمكن أن تتخذ موقفا سلبيا من تطور الحركة الشيوعية المصرية ، العدو الرئيسى لها فى الشرق الأوسط كله ؟ إنها نجحت فى إدخال رجالها فى أحزاب أخرى ، وهى مهمة لن تصعب عليها فى مصر بالطبع .

لقد كان عنف الهجمات التى تعرضنا لها والتى تتجاوز حدود سوء النية والغيظ من ناحية الأعداء كفيلا بتنبيهنا إلى أن هذه الهجمات صادرة من أفراد يعون الدور الذى يقومون به ، والهدف منه وهو إثارة الفرقة وإن حاولوا خداع أتباعهم .

ما الذى يمكن استنتاجه من حقيقة دور الامبريالية فى استمرار الانقسام ؟

سنقوم بإعداد تقرير مستقل عن الوعى والدور الذى يمكن القيام به لكشف عملاء الامبريالية فى صفوفنا أو داخل الحركة الشيوعية المصرية ؛ ولكن يبقى ، فيما يتعلق بالوحدة ، أن موقف اللامبالاة والتبعية ليس موقفا انتهازيا فحسب بل هو موقف يحقق للامبريالية هدفها .

إن النضال لن يكون سهلا لأن عملاء الامبريالية سيبذلون وسعهم لإفشال جهودنا ، لكن النصر الذى سنحرزه هو انتصار على الامبريالية ممثلة فى هؤلاء العملاء المقنعين لا أولئك الذين يسبوننا علنا .

ما هدف التنظيمات الشيوعية المصرية من النضال من أجل الوحدة ؟

إن النضال من أجل الوحدة يهدف إلى تجميع المناضلين الصادقين « لا أحد ينكر وجود مناضلين صادقين فى كل التنظيمات ممن ينتمون إلى الماركسية - اللينينية - الستالينية » فى حزب واحد وتحت قيادة واحدة ؛ ولنقل ، على الفور ، إن هذا التجمع لن يصفى كل التنظيمات الشيوعية من تلقاء نفسه ، بل إن الشيوعيين سينشئون تنظيمات أخرى ، ولكن

فى الإمكان اجتذاب المناضلين الصادقين باتباع سياسة صحيحة للوحدة بدلاً من بث الفرقة بين ذوى الاستعداد الطيب ، وهو ما يؤدى إليه تعدد التنظيمات .

هكذا نفيد من النشاط الذى تقوم به هذه التنظيمات لاجتذاب الأعضاء حتى تتمكن من النمو ، ولكن هذا الوضع لن يدوم طويلاً ، فسرعان ما ستتعرف علينا الطبقة العمالية « البروليتاريا » بفضل سياستنا الواضحة من أجل الوحدة والنجاح المبدئى الذى ستحققه بعض العناصر الحاسمة .

هذه محاولة لتحليل المشكلة وإبراز أهميتها ، ولننتقل الآن إلى النضال الثانى والأسلوب العملى لقيادته .

علام يرتكز النضال من أجل الوحدة ؟

إن الصراع الأيديولوجى والعملى هو ركيزة هذا النضال :

١ ـ **الصراع الأيديولوجى** : إنه يرتكز على الدفاع المستمر عن التحليل المعطى فى الجزء الأول وفيما يلى أفكاره الرئيسية :

أهمية الوحدة : هذا موضوع تدفعنا الاعتبارات السياسية إلى العودة إليه بلا كلل حيث أن شرح هذه المشكلة وإبراز أهميتها سيزيد من قوة موقفنا .

هناك مناضلون قليلون يعارضون الوحدة ، ولكننا نستطيع إثارة الحماس لهذا النضال ودعم الوحدة المذهبية للحركة أثناء المعركة التى سندخلها كما أننا سندعم موقف المطالبين بالوحدة والقانعين بتأييدها فى التنظيمات الأخرى .

هكذا نوجه لطمة إلى الأفكار المسبقة الشائعة ضدنا ، ونثير تعاطف المناضلين الصادقين الذين سيتحالفون معنا فى النضال ؛ وإذا كان موقف معظم القيادات الأخرى من هذه المشكلة سلبيا منذ البداية فإن الفرصة متاحة لكشفهم أمام المناضلين الصادقين .

٢ ـ **جذور المشكلة** : كنا التيار الوحيد الذى ناضل من أجل الوحدة منذ ميلاد الحركة الشيوعية المصرية بحق فى سنة ١٩٤٣ ، لذا نُعَدُّ وحدنا القادرين على تحليل المشكلة تاريخيا ، وهذا التحليل التاريخى مهم لحلها وأيضا لفهم ميلاد التيار .

مساحة بيضاء بالأصل
تقدر بنحو ٣٠٠ كلمة

إن وحدة العمل شعار للتنفيذ ، والقدرة على وضع خطنا موضع التنفيذ هى جوهر

نشاطنا على صعيد النضال من أجل الوحدة ؛ أما الخطر فهو يكمن فى الاكتفاء بالنداء بضرورة الوحدة لأن هذا النداء يردده كثير من الانقساميين حتى لا يكشفوا أنفسهم فى مراحل معينة ولكن العمل المشترك كفيل بإظهار تفانى المناضلين وأمانتهم وكفاءتهم ، وهو سيبرز أيضا أهمية تجمع القوى وضرورة الوحدة وخطر اتباع سياسة للوحدة دون رغبة صادقة فى تحقيقها .

إن قبول التنظيمات الأخرى وقبول رفاقنا لسياسة الدعوة للوحدة لا يعبر بالضرورة عن رغبة حقيقية فى الوحدة ، لذا ينبغى علينا تنمية هذه الرغبة من خلال العمل .

النضال العملى من أجل الوحدة : وهو يتم على مرحلتين :

أولاهما : هى مرحلة الاقتراحات .

والثانية : مرحلة العمل المشترك ذاته .

أولا : اقتراحات العمل المشترك :

يجب التركيز على هذه الاقتراحات بطريقة ملموسة :

١ ـ **ينبغى تقديم الاقتراحات على جميع المستويات** : على مستوى القيادة بالطبع وأيضا على صعيد الدعاية حيث يجب التنسيق الكامل مع عدم إغفال العمل البسيط مثل تبادل الكتب والنشرات ، توحيد برنامج الطبع إلخ .. إن صحافتنا الرسمية مثال للعمل المشترك .. ويلاحظ أن انغماس المناضلين فى العمل الفعلى مرتبط بصعيد العمل ، فكلما كان الصعيد بسيطا كلما زاد اقتناعهم بأهمية التعاون الوثيق وضرورة الوحدة الكاملة .

بالنسبة للعمل الديمقراطى على مستوى الجماهير نقترح العمل المشترك فى جميع المجالات : حركة السلام ، نقابات العمال ، الطلبة ، المرأة إلخ ؛ لذا ينبغى تقديم الاقتراحات فى كل مكان ، فى المصانع والنقابات والجامعات .. بشرط ألا يكون هناك « تطرف وطنى » ولا مناطق « محرمة »، ولا « احتكارات » ، ولنأخذ مثلا مجال الاتصال بالتنظيمات الديمقراطية الدولية ؛ إن الحصول على « مقاعد » ليس هدفنا فنحن نفتخر بإشراك المناضلين فى عمل كفيل بتحقيق فائدة كبرى للطبقة العمالية المصرية ، وهذه التنظيمات تعرف أننا الوحيدون الذين نتصل بهم ، وسيضاعف من تقديرها لنا اجتذاب المناضلين من التنظيمات الأخرى على أساس العمل ، كما أنها ستدين بشدة أية محاولة من جانب هذه التنظيمات لمحاربتنا .

هكذا يتضح ـ فعلا لا قولا ـ استعدادنا لبذل التضحيات فى سبيل الوحدة ، ولا داعى للخوف من ازدياد قوة التنظيمات الانتهازية ومن إعطائها وسائل أخرى للإساءة إلينا لأن هذا النضال كغيره ينطوى على مجازفات والجرأة فى العمل مطلوبة ، وهى إحدى خصائص الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

٢ ـ **ينبغى تحديد أطول مهلة ممكنة لتنفيذ الاقتراحات** بحيث نترك للآخرين حرية

اختصارها ونحن ، على كل حال ، لن نرفض العمل بحجة قصر الوقت المحدد له .

٣ - ينبغى عرض هذه الاقتراحات بحيث تبرز إمكان وأهمية العمل المشترك : وتَعَارُض رفضه ، رغم الأفكار المسبقة الشائعة عنا - مع مصالح الطبقة العمالية والشعب .

٤ - وأخيراً ينبغى أن يعرف بهذه الاقتراحات جميع الشيوعيين والمعنيين بالأمر : العمال بالمصنع والنقابة ، وفى بعض الأحيان الشعب كله والطبقة العمالية بأكملها ، لأن علينا كطليعة عمالية إثارة اهتمام هذه الطبقة بمشاكل طليعتها حتى تحس بها كمشاكل تمسها مباشرة ، ولأننا نعتمد أساسا على الضغط العمالى والشعبى لتحقيق الوحدة ، وَتُعَدُّ هذه فرصة جديدة لنا لإثبات أن الحزب لا يحل مشاكله من « الداخل » فقط .

ثانيا : العمل المشترك والسلوك :

إن أشكال العمل المشترك والسلطات التى ينبغى العمل على تأسيسها لا يدخلان فى نطاق هذا التقرير لأن حلول هذه المشاكل موجودة فى المبادىء العامة والتجربة معا ؛ فلننتقل إذن إلى السلوك أثناء العمل المشترك ونكتفى بالقول إن الاعتبارات السابقة ، رغم أهميتها ، ليست سوى مقدمات للعمل المشترك الذى يُعَدُّ الانتصار رهينا به ، علينا إذن الحصول على ثقة المناضلين الصادقين من خلال مواقف وسلوك يتفقان ، بقدر الإمكان، مع الشيوعية ، وينبغى قبل كل شيء، التركيز على خط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى العمل بأمانة .

إن المؤامرات والمناورات غريبة علينا ، واحترام الالتزامات جزء من أمانة العمل المشترك ، لذا لن نرد بالمثل على الوسائل غير الأمينة المستخدمة ضدنا لكننا سنعمل على كشف المذنبين أمام الجميع .

أسس الوحدة :

إن الغرض من هذا التقرير ليس حل مشكلة الوحدة بين الشيوعيين المصريين بقدر ما هو طرح المشكلة وإبراز أهميتها ؛ ورغم أن أسس الوحدة بعيدة عن موضوعنا فإننى أتحدث عنها بغرض التركيز على خطورة وضع شروط غير مقبولة فى طريقها ، وأعنى بصفة خاصة الشرط الذى يطالب بحل التنظيمات الأخرى وانضمام أعضائها إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؛ ما الدافع لهذا الطلب ؟ يقول الزملاء الذين يؤيدونه إنهم يقصدون المحافظة على طهارة التنظيم وتاريخه المجيد ، لكن هذا الشرط رغم ظاهره البرىء يضعف من شأن تنظيمنا لأنه يدل فى الواقع على « خوفنا من الوحدة »، وخوفنا من عدم محافظة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى على أثمن ما تملك وهو وحدتها ، كما يعنى عدم الثقة فى التيار الثورى بالحركة وفى قدرته على قيادة جميع المناضلين الثوريين ؛ ولنذكر هنا الدروس المستفادة من تجربة الوحدة مع إسكرا : عند إنشائنا للحركة الديمقراطية

للتحرر الوطنى بالاتحاد مع إسكرا ، لم نطلب منها أن تحل نفسها لأن هذا الطلب من جانبنا يعنى رفض الوحدة ؛ فهل « استوعبنا » التنظيم الجديد ؟ هل تنكرنا للماضى المجيد للحركة المصرية للتحرر الوطنى ؟ إن العكس هو الصحيح إذ شعرنا جميعا أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى أضافت إلينا عناصر ثورية جديدة هى امتداد للحركة المصرية للتحرر الوطنى ؛ لقد كنا ندرك كل هذا قبل الوحدة ، لهذا لم « نخشاها » بينما كانت قيادة إسكرا هى التى تخافها دائمة الضجر ، كما روى لنا رشيد ، من اقتراحات الحركة المصرية الجريئة .

إننا نرى أن الموقف الثورى الحقيقى الذي ينبغى للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى أن تتخذه يرتكز على قيادة النضال من أجل الوحدة إلى نهايته أى حتى النصر ؛ لهذا تُعَدُّ الشروط المستحيلة للوحدة مرفوضة إذ أن هذه المطالب التى من شأنها أن تعرقل الوحدة أو تؤخرها تحقق أهداف الانقساميين وتؤدى إلى استمرار الانقسام فى الحركة الشيوعية المصرية .

المهادنة :

قبل أن أنتهى ، أود أن أذكر الخطر المسمى « بالمهادنة » وهى لا تشكل خطرا رئيسيا ولكن ستالين علمنا أن الخطر الرئيسي هو الخطر الذى لا نقاومه أو الذى نكف عن مقاومته ، ومن المؤكد أن اتجاها للمهادنة سيظهر أثناء النضال من أجل الوحدة .

إن « المهادنين » هم أولئك الذين يتذرعون بالوحدة للاتحاد مع الانتهازيين الحقيقيين على غير أسس ، وَتُعَدُّ محاولة سالم لقيادة الحركة الديمقراطية للتحـرر الوطنى فى « نحشم » (نحو حزب شيوعى مصرى) للمهادنة لقد كان اتحادا بلا مبادىء نجح خليل فى معارضته كما قمنا بإدانته بشدة من المعتقل .

إن كثيرا من الزملاء ، يظنون خطأ أن الوحدة مع إسكرا هى وحدة بلا أساس ، ولكن لم يكن هناك فى الواقع خلاف أساسى بين التنظيمين ، لأن خلافنا على الخطة لم يظهر إلا فيما بعد ، أما الخلاف على المبدأ فقد طلبنا تسويته على أساس الاعتراف بالمبدأ الصحيح ؛ أما الشاكون فهم أولئك الذين يخافون الصراع الداخلى والذين أرادوا أن يوفر عليهم الاتفاق المسبق مشقة الصراع ؛ ولكن هذا حلم مناقض للروح الثورية التى تتغلب على الصعوبات أينما تجدها ولا تهرب من مواجهتها بالدعوات الصالحات .

خاتمة

أيها الرفاق إن النضال من أجل وحدة التنظيمات الشيوعية ، ومن أجل تجميع الشيوعيين الصادقين ليس بالمهمة السهلة ؛ إنه على العكس ، مهمة قاسية ومنفرة لكن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تزن المهام بأهمية مضمونها الثورى لا بما تثيره من بهجة أو كدر ، وبقدر صعوبتها تزيد حميتنا .

أمام التنظيمات الأخرى ، أمام كل المناضلين الصادقين ، أمام الطبقة العمالية بأسرها ، ينبغى أن نفوز بلقب « حماة الوحدة » المجيدة .

أيها الرفاق ، إن وضع وقيادة سياسة للوحدة هو ، قبل النظر إلى نتائج النضال نفسه ، إضعاف للانقسام كما أنه لطمة شديدة موجهة إلى عملاء الامبريالية والرجعية الذين يريدون إبعاد المناضلين الأمناء عن النضال الثورى وهو دعم لوحدة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بالداخل ودعم للحركة فى نفوس مناضليها الصادقين ، وفى تقدير الطبقة العمالية والحركة العمالية والديمقراطية الدولية ، وهذا نصر كبير .

لذا نقترح :

أ - أن تحدد اللجنة المركزية خطا لمواجهة مشكلة وحدة التنظيمات الشيوعية .

ب - تكليف المكتب السياسى بتطبيق هذا الخط باعتباره مهمة أساسية له .

تحيا وحدة الشيوعيين المصريين الصادقين !

تحيا الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى نصيرة للوحدة !

إلى اللجنة المركزية بالحركة الديمقراطية
للتحرر الوطنى
خطاب بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٥٣ حول مشاكل الحركة الداخلية

الرفاق الأعزاء :

فى البداية كتبت لكم مطولاً عن مواضيع عديدة ، وبعد تفكير سأكتفى فى هذا الخطاب بتناول موجز وسريع لموضوع واحد يبدو لى حاسماً فى هذا الوقت .

ستتشهد ليلى إلى أية درجة تنقصنا المعلومات عن الوضع داخل الحركة ، لذا أرجو أن تستخلصوا « جوهر » هذا التقرير دون أن تعلقوا أهمية على الأخطاء الحتمية الموجودة به .

أيها الرفاق ، لقد تلقيت خطابا من الرفيق حميدو ، وهو يطلب منى ، بصفة عاجلة ، إرسال رأيى إلى اللجنة المركزية حول المسألتين موضوع النزاع : الجبهة الوطنية ، والمجلة الجديدة ؛ ولا أخفى عليكم القلق الشديد الذى سببه لى هذا الخطاب وكذا بعض الدلائل الأخرى ؛ إن اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى لم تستشر يونس طوال غياب دام عامين ونصفا تطلب رأيه فى نقطة هامة هى الجبهة الوطنية ؛ وأيضاً فى نقطة ثانوية نسبياً هى إصدار مجلة شهرية متخصصة بصفة رسمية !

لهذه الواقعة مدلول محدد وواضح ، خاصة أن المطلوب ليس تقريرا يمكن تقديمه عن تجربة الحركة والتجربة الدولية فى هذه المسائل ، بل إن المطلوب هو رأى : هل يصح هذا أو لا يصح ؟ إن هذا الطلب يعنى شيئاً واحداً هو أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تمر بأزمة خطيرة مرجعها ليس الهجوم الامبريالى والرجعى ، لكنه الانشقاق الداخلى ووجود معسكرين على الأقل بالحركة ، وهو يعنى أن أحد أشكال الصراع هو الخلاف فى مسألتين بالتحديد ، وهذا أمر لا يحتاج إدراكه إلى مقدرة خاصة فى كشف الغيب .

ليس الموضوع إذن مجرد إبداء رأى فى محاولة لدراسة مسألة ما بعمق ، ولا تكمن المشكلة فى الموقف من هذه المسائل بل إنها كامنة فى الصراع بين المعسكرين ؛ وفى هذا الجو من الصراع الداخلى الذى أعرفه جيداً للأسف ، لن يقنع رأيى أحداً ! إنه سيؤدى فقط إلى زيادة الصراع لأن أحد المعسكرين سيستخدمه كسلاح ضد الآخر .

لهذا لا يمكننى الرد على اللجنة المركزية كما طلب حميدو ، لكننى أعد بتقرير عن أحد أهدافنا الأساسية وهو تجميع القوى الوطنية والديمقراطية فى مصر ، وبتقرير آخر لا يقل أهمية عن سابقه عن عمل المثقفين بما أن هذه المسائل مطروحة .

وأنا كعضو مخلص ووفى بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ ميلادها باسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى سنة ١٩٤٣ أود فى هذا الخطاب ، أن أقول رأيى فى مشكلة الانشقاق بالحركة ، وإننى آسف لأن أحدا لم يعطنى عناصرها ولم يستشرنى فيها

ومهما كان الأمر ، فقد أصبح على هنرى أن ينزل إلى ميدان العمل بمصرف والده وهو فى العشرين من عمره ، ولم يكن يهوى هذا النوع من العمل ، فكان يؤديه فى حدود ضيقة ، ويصرف وقته فى القراءة أحياناً ، وصحبة الفتيات أحياناً أخرى ، ويبدو أن إسرافه فى السهر ونزق الشباب أدى إلى إصابته بمرض صدرى فأرسله أبوه إلى فرنسا للاستشفاء (عام ١٩٣٧) حيث التقى بأخيه راؤول ، ومكث هناك مدة عام واحد ، عندما بدأت نذر الحرب تتجمع فى الأفق ، فاستدعاه والده إلى القاهرة ، فعاد إليها فى سبتمبر ١٩٣٨ بصحبة أخيه راؤول .

كان لقاء الأخوين نقطة تحول فى توجهات واهتمامات بل ومستقبل هنرى كورييل ، فقد تأثر راؤول بالاتجاهات الاشتراكية فى باريس ، وأصبح عضواً فى اتحاد الطلاب الاشتراكيين ، وقرأ حول الماركسية كثيراً ، واتصل بالشيوعيين الفرنسيين ، وتأثر هنرى بالاهتمامات الجديدة لأخيه راؤول ، فبدأ يتعرف على الفكر الاشتراكى عن طريقه .

وعندما عاد الأخوان إلى مصر ، وجدا البورجوازية اليهودية فى حالة هلع شديد ، فالنازية تهدر أمواجها فى أوروبا ، ومصر غير بعيدة عن متناول الفاشية حيث يوجد الايطاليون على أبواب مصر الغربية .. فى ليبيا ، وعلى أبواب مصر الجنوبية فى أثيوبيا ، بل فكر بعض رجال الأعمال اليهود فى تصفية أعمالهم فى مصر والهجرة إلى جنوب أفريقيا أو غيرها ، بعيداً عن الخطر المرتقب .

لا وقت - إذن - للعبث والمجون ونزق الشباب ، فالخطر ماثل للعيان ، ولكن أبناء البورجوازية الكبيرة لهم أسلوبهم المترف فى النضال ضد الفاشية ، فقد قررت مجموعة من الشباب إصدار مجلة فرنسية بالقاهرة للدعوة لمقاومة الفاشية ، ضمت راؤول كورييل وريمون أجيون (قريب راؤول) ، والفنان جورج حنين وزميليه رمسيس يونان وكامل التلمسانى (وهم من ذوى الثقافة الفرنسية) . وأطلقوا على المجلة اسم « دون كيشوت » ، واشترك فى تحرير المجلة هنرى كورييل وبعض شباب البورجوازية اليهودية . وأقامت المجموعة حفلاً راقصاً صاخباً احتفالاً بصدور المجلة ، ولجمع التبرعات من المدعوين والمدعوات .

شباب مترف تتراوح أعمارهم بين التاسعة عشرة (ريمون أجيون) ، والخامسة والعشرين (راؤول كورييل) ، لا تتفتق أذهانهم عن سبيل لمقاومة الفاشية إلا من خلال مجلة تصدر بالفرنسية فى بلد عربى !! لذلك لم تعمر المجلة أكثر من ستة شهور .

ويهمنا هنا المقال اليتيم الذى كتبه هنرى كورييل بالمجلة تعقيباً على خبرين وردا بجريدتين قاهريتين فرنسيتين .

أحدهما : يطالب بوضع الشركات التى يدفع أصحابها أجوراً كبيرة لعمالهم تحت الوصاية القضائية .

رغم أننى اكتسبت خبرة معينة فى هذا الموضوع ، كما أننى واثق من إمكان مشاركتى فى حلها لو كنت موجوداً ، على كل حال سأبذل قصارى جهدى من هنا ، ولا أود لهذا السبب الخلط بين هذه المشكلة ومسألتى الجبهة والمجلة ؛ ومن جهة أخرى فإن هذه المشاكل لا يمكن حلها إلا فى إطار عودة الوحدة ، إذا كان الهدف هو التوصل إلى حلول ملموسة لا حلول عامة أو أيديولوجية ؛ ولا أود أن يظن بعض الزملاء أننى خائف من التورط فأنا لم أخف يوما من « اتخاذ موقف » ، وإن كنت أعتقد أن الوقت لم يحن بعد ، لحسن الحظ ، « لتحديد المواقف » ، وإن من الواجب المحاولة للارتفاع بالنقاش إلى مستواه الحقيقى ، لا الاستمرار فيه على المستوى الذى ينعكس فيه مؤقتا ؛ إن أحد العناصر التى تيسر لى إتمام هذه المهمة هو أننى لم أشارك فى الصراع الداخلى القائم ، مما أتاح لى الاحتفاظ بموضوعيتى كاملة .

أين هى الخطورة ؟ بداهة ليست فى اختلاف الآراء : إن القيادة قيادتنا وجميع القيادات الحقيقية ـ تستمد قوتها من الفروق الناتجة عن نشأة وتجارب أعضائها ؛ هذه الفروق الطبيعية بل والضرورية هى مصدر كبير للقوة لأنها تتيح للقيادة قدراً عظيماً من الخبرة ؛ قد يذكر بعض الزملاء مرور قائد أحد الأحزاب الشقيقة بمصر فى سنة ١٩٤٦ وإعجابه الخاص بتكوين قيادة الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى تمثل جميع الطبقات الاجتماعية والوطنية ، وعدم رضاه عن إدارة إسكرا ، هذه « الشلة » الحقيقية التى تعكس أوساطاً وتجارب متماثلة .

لكن تنوع التجربة قد يصبح مصدر ضعف إذا تحول إلى خصومة ، ويقول ستالين مشيراً إلى هذه النقطة فى عمله الأخير « المشاكل الاقتصادية فى الاشتراكية » وهو على الأرجح أكثر أعماله نبوغاً : « لا يمكن لهذه التناقضات (المقصود هنا التناقضات بين القوى الإنتاجية ونسب الإنتاج فى النظام الاشتراكى) أن تتحول إلى خصومة إذا طبقت الهيئات الحاكمة سياسة صحيحة .. » ؛ وتنتج عن هذا التحول دورة شيطانية ذات طابع شخصى داخل القيادة التى تنقسم إلى « أغلبية » و« أقلية » ؛ ثم تنتقل هذه الدورة إلى الحركة كلها ، وعندئذ تفقد المعسكرات موضوعيتها فتنظر إلى كل المشاكل من خلال الصراع الداخلى ويعتبر كل من المعسكرين المبادرة الصادرة من المعسكر الآخر ضارة به لأنه لا يرى إلا جوانبها السلبية ؛ هكذا يغيب النقد الذاتى ويظن الذين وقعوا فى الخطأ أن الاعتراف به يزيد من قوة المعسكر الآخر أى المعسكر « الانتهازى » لأن كلا من المعسكرين « انتهازى » فى رأى الآخر ؛ ونكتشف فجأة ، فى ظل هذا الوضع ، أن الزملاء الذين يساندوننا يتمتعون بكل الفضائل رغم أننا قبل ذلك لم نجدهم ثوريين إلى هذه الدرجة ، أما الآخرون فتظهر لنا فجأة عيوبهم أخطر مما كانت تبدو ؛ وهكذا يتم اختيار المسئولين على أساس انتمائهم لهذا المعسكر أو ذاك لا على أساس الكفاءة ، ويبلغ الأمر

منتهاه حين نتمنى أو نفرح لفشل مبادرة لأن المعارضين هم الذين اتخذوها ونتوقف بالتدريج عن جميع الأنشطة حين ندرك أن انفصالاً تنظيمياً سيتيح لنا عملاً أفضل .

أين نحن ؟ إننى أجهل ذلك تماما ، ولكن إذا كانت الأزمة لاتزال فى بدايتها فإنها ستنتهى ، لو تفاقمت ، بتحقيق أكبر نصر للامبريالية والرجعية فى الشرق الأوسط وهو انشقاق الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الذى تتوقف عليه انتصارات أخرى .

لا أقول إن الصراع الداخلى الضارى ليس ضرورياً وأن « مقاومة الانتهازية » ليست مهمة أساسية ، ولا أعنى أن وجهات النظر تتساوى من الناحية الثورية ولكننى أعتقد أنها فى جوهرها قائمة على تحليلات جزئية أى غير كاملة ، وأن الحقيقة ، فى هذه المرحلة ، ليست فى صف هؤلاء ولا هؤلاء ، لكنها تكمن فى وحدة عليا تتحقق بالتوفيق بين الجوانب الإيجابية فى كل من وجهتى النظر .

فى سنة ١٩٤٧ ، كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تصدر جريدة « الكفاح » السرية وإسكرا جريدة « الجماهير » الرسمية ؛ لقد كانت الحركة المصرية ، إلى حد ما ، أكثر ثورية ولكن هل يمكن إنكار أن الحل لم يكن فى إدانة أى من الاثنين وإنما فى إصدارهما معاً ؟ إذا ألقى هذا السؤال : هل ينبغى تكوين مجالس بالمصانع أو نقابات ؟ قد يكون الرد أن مجلس المصنع « أكثر ثورية » من النقابة ، لكن من ينكر أن السبيل الحقيقى هو تجميع القوى العمالية فى كل الأشكال الممكنة سواء مجلس مصنع أو نقابة لأنهما شكلان متكاملان لا متضادان .

إن هذه الأمثلة قد لا تكون ممتازة ، لكننى بعيد جداً عن المشاكل اليومية ، ولا أستطيع إعطاء أمثلة أفضل ، وأعتقد ، على كل حال ، أن بإمكانكم تطبيقها على العديد من المشاكل حيث أن الوحدة العليا هى الحلقة الحاسمة فى جميع المشاكل ، وفى خطابه بالمؤتمر السابع للدولية الشيوعية الذى يضع خطة (تكتيك) الجبهة المعادية للفاشية ، يركز ديمتروف Dimitroff على أن « القوة الحاسمة فى إنشاء الجبهة هى الوحدة البلشفية للحزب».

ماذا ينبغى عمله للاهتداء إلى هذه الوحدة التى « يجب علينا صيانتها كأعز ما نملك » ؟ (ستالين فى « عهد لينين ») سأقتصر على عموميات :

(أ) إن الإدراك الواضح لمشكلة الوحدة ، وأهميتها الحيوية باعتبارها المشكلة الحقيقية ، ضرورى لحل المشاكل الناتجة عنها .

(ب) ينبغى أن يقودنا هذا الإدراك إلى العودة بالخصومة إلى مستوى الخلاف .

(جـ) حل هذه الخلافات بالعمل على تطوير خط يجمع الجوانب الإيجابية فى كل من الموقفين لا بالاختيار بينهما .

(د) هناك نقطة عملية واحدة خاصة بتكوين القيادة التى لا يمكن إعادتها إلى حالها على أساس من الاجماع أثناء الصراع الداخلى رغم ضعفها الناتج عن الاعتقالات فى فترات

القمع ؛ وفى انتظار ذلك اليوم أقترح أن يكون للرفاق المعتقلين والمنفيين من أعضاء القيادة صوت استشارى فى المسائل السياسية (ويوم تصلون إلى هذا ستختفى جميع الخصومات) .

أيها الرفاق ها هى رسالتى : « إن الاتحاد واجب ينبغى معرفة السبيل إليه » ، ومهمة الشيوعيين المصريين ، طليعة الطبقة العمالية ، وكذا مهمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، هى توحيد هذه الطبقة وتجميع الأمة كلها حولها .

هل من الممكن أن يقوموا بها إذا لم يتحد بدر وحميدو مثلاً أو إذا لم يعرفا كيف يتحدان ؟ وإذا انفصلا ألن ينتج عن هذا أن تكون المهمة الأولى هى تجميع هؤلاء المناضلين ؟

إنَّ من أكبر مفاخرنا نحن الأعضاء المنفيين بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى المجيدة هى وجود عمال طليعيين بارزين بالقيادة مثل بدر وحميدو اللذين لا نكف عن رواية انتصاراتهما ؛ هل سيضعاننا أمام الاختيار الأليم بينهما ؟

تحيا الوحدة الثورية لقيادة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى !

يحيا القادة العمال بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى !

يحيا الاتحاد الثورى بين بدر وحميدو !

قرار مجموعة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى
بروما عقب إنشاء الحزب الشيوعى المصرى
الموحد P.C.E.U
إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد
يونيو سنة ١٩٥٥

الزملاء الأعزاء :

اطلعنا على خطاب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد إلى اللجنة المركزية للحركة السودانية للتحرر الوطنى M.S.L.N وهو الخطاب الذى تخبرها فيه بتأليف الحزب من سبعة تنظيمات شيوعية متحدة .

ونحن إذ نحيى هذه الخطوة للأمام التى قام بها الشيوعيون المصريون على طريق توحيد الصفوف ، نؤكد صلابة انتمائنا إلى الحزب الشيوعى المصرى الموحد ، ونؤيد اللجنة المركزية تماماً فى موقفها الذى يؤكد أن اتحاد الشيوعيين المصريين لا يعد أمراً مفروغاً منه ، وأن النضال من أجل الوحدة لن يتوقف مع التنظيمات المصرية خارج الحزب ، كما نطالبها بقيادة نضال مواز لدعم وحدة الحزب الداخلية على الصعيد الأيديولوجى والتنظيمى معاً ، وذلك على أساس مبادىء الماركسية - اللينينية .

إن مجموعتنا من جانبها ، قد طبقت شروط الوحدة رغم عدم إقرارها لبعض هذه الشروط (سنرسل لكم تقريراً بهذا الشأن) ، وهى تتعهد ، مدفوعة برغبة حقيقية فى الوحدة ، بالاتصال بأعضاء التنظيمات المنضمة للحزب من الشيوعيين المصريين بالخارج حتى تصبح الوحدة واقعاً حياً ، ونحن نطلب مساعدة اللجنة المركزية فى هذا الأمر ، وذلك بالاتصال بهؤلاء الأعضاء وتوصيتهم بتطبيق قرار الوحدة .

كما تطلب مجموعتنا من اللجنة المركزية إبلاغها بالأسس التى يقوم عليها الحزب حتى تدور حولها مناقشة واسعة ، وحتى يتم الانضمام للحزب على أساس معطيات أيديولوجية وسياسية ملموسة ومحددة ، وحتى نكون مسلحين سياسياً وأيديولوجيا للنضال المستمر وفقاً للخط الذى وضعته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد .

إن مجموعتنا تتعهد بالاستمرار فى النضال بصلابة تحت لواء الحزب الشيوعى المصرى الموحد من أجل استقلال مصر ، وانتصار الحريات ، والسلام العالمى ، وتحسين الظروف المعيشية لشعبنا وإقامة الاشتراكية فى بلدنا .

يحيا الحزب الشيوعى المصرى الموحد .

وإلى الأمام من أجل وحدة شاملة ، ومن أجل إنشاء حزب شيوعى مصرى حقيقى .

مجموعة الحزب الشيوعى المصرى الموحد بروما .

الخط العام لعمل المجموعة القديمة للحزب الشيوعى المصرى بالخارج (١٩٥٧)

إن هذه المذكرة لا تهدف إلى سرد النشاط الضخم لهذه المجموعة التى تكونت منذ سبع سنوات مضت ، فبوسع الزملاء الموجودين حالياً بمصر من أعضائها إعطاؤكم فكرة عنه .

لقد تكونت المجموعة من الزملاء الذين ناضلوا داخل الحركة الشيوعية المصرية والذين يقيمون الآن بالخارج ، سواء كان ذلك بإرادتهم أو رغماً عنهم ، وسواء كانوا مستعدين أو غير مستعدين للعودة إلى مصر ؛ بالنسبة لأولئك الذين لا ينوون العودة . فإن الحجة التى نحملهم بها على النضال فى صفوفنا هى أن العمل الثورى الفعال الذى يمكنهم حقاً القيام به هو العمل الموجه إلى مصر من خلال المجموعة .

إن المجموعة مؤلفة أساساً من رفاق لا يستطيعون حالياً العودة إلى مصر فقد عاد كل من أمكنه العودة ، وكانت عودة البعض تتم فى ظروف خطرة .

إن تكوين المجموعة هذا ، وهو أحد الأسس التى يقوم عليها النقد الموجه إلينا ، مدعاة فخر لها ولمجموع الحزب فهو يبرز أن من تتاح له العودة يعود ليشارك فى النضال المباشر بمصر ، وهو يثبت أيضاً أن « الرفاق الأجانب واليهود » على العكس من بعض الافتراءات ، مخلصون للحركة الشيوعية المصرية ولمصر .

إن محور عملنا هو تقديم العون لمصر وللحركة الشيوعية المصرية ؟ وفيما يلى عرض ملخص جداً ، وقد يكون غير كاف ، لهذا العمل الموجه أساساً :

أولاً : إلى مصر :

١ - عون مباشر للحزب :

أ - المشاركة فى الحياة السياسية للحزب : تبادل الرسائل ، الدراسات السياسية ، وغير ذلك من المساهمات .

ب - المشاركة فى الدعاية للحزب : وذلك بمحاولة نقل بعض جوانب تجربة الحركة العمالية (البروليتارية) الدولية ، وإعداد المحاضرات والدراسات عن المشاكل المختلفة ، والوثائق ، وترجمة الكتب والمقالات ، وإرسال بعض المواد التى تهم الحزب عن الحركة الدولية ؛ وقد قدمنا فى هذا المجال اقتراحاً بإعداد مدرسة للكوادر التى يرسلها الحزب .

جـ - على الصعيد التنظيمى : عون مالى : اشتراك ، اكتتاب ، هبات إلخ .. ومن ناحية أخرى الدراسة والعمل الذى يكفل وصول هذا العون بجميع أشكاله .

٢ - المشاركة فى النشاط الديمقراطى بمصر :

أ - إرسال معلومات عن مختلف الحركات الديمقراطية الدولية : مجلات ، مقالات ، وثائق عن الإعداد للمؤتمرات ، إلى الهيئات أو المتخصصين فى المشاكل الديمقراطية بمصر .

ب - المساهمة فى الإعداد لمشاركة مصر فى المؤتمرات الدولية : وذلك بإبلاغها بتاريخ

انعقاد المؤتمرات ، وخطها السياسى وبرنامجها ، مع نقل شكل العمل فى مختلف البلاد ، إذا تطلب الأمر ، كمثال للديمقراطيين المصريين ، والمساهمة المالية لمساعدة المبعوثين المصريين فى الوصول إلى المؤتمر ، وتقديم مصر ببعض المؤتمرات فى حالة عدم وجود مبعوثين مصريين .

جـ ـ حملة للتضامن مع المعتقلين الشيوعيين :

ثانياً : إلى الخارج :

١ ـ إرسال المعلومات إلى الحركة العمالية والأحزاب الشقيقة والحركة الديمقراطية عن الوضع فى مصروذلك لتحقيق الاتصال بينها وبين الحركة الديمقراطية المصرية والحركة الشيوعية المصرية ، ومساعدتها فى عملها المؤيد لهما ، وهذا عن طريق نشرة « أخبار مصرية » القائمة على المواد التى تصلنا من مصر نفسها ، وكذلك إعداد الدراسات والمذكرات عن مختلف المشاكل المصرية وإعداد المقالات المخصصة للصحافة الديمقراطية العالمية .

٢ ـ حملة سياسية لمساندة الحركة الوطنية المصرية والحركة الديمقراطية المصرية على حد سواء فى المشاكل الملموسة تبعاً لاحتياجات مصر السياسية والظروف السياسية الدولية : الحملة التى قمنا بها بمناسبة تأميم قناة السويس والعدوان الامبريالى على مصر ، وقد ظهرت هذه الحملة فى شكل مذكرات ومنشورات ومقالات ، وجمع توقيعات للشخصيات العالمية على عرائض مؤيدة للقضية الوطنية أو الديمقراطية حسب المشكلة المثارة .

قيادة مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد

١٢ يناير سنة ١٩٥٨

خطاب إلى المكتب السياسي

زملاؤنا الأعزاء ، تحية الزمالة وبعد - لقد علمنا بدهشة شديدة أنكم تناقشون إمكانية حل مجموعة الحزب فى الخارج . وإن موضوع دهشتنا ليس المناقشة فى حد ذاتها بل أن تستمر المناقشة بدون طلب رأينا بالرغم من أن هذه المسألة تخصنا وتهمنا مباشرة - إن طريقة المعاملة هذه لاشك معيبة ، وقد نبذتها الحركة العمالية منذ زمن بعيد ومن الواجب على حزبنا أن يحاول هو أيضا عدم الالتجاء إليها . وبجانب ذلك أنكم تناقشون مسألة تعرفونها معرفة ناقصة إلى حد كبير وكثرت حولها الشائعات والأخبار الخاطئة والكاذبة . وعليه فإن كل موقف قد تتخذونه لا يمكن أن يكون مؤسسا على معرفة الأحوال الموضوعية الحقيقية .

هل يجب على الأشخاص الذين سبق أن كافحوا فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية والذين يوجدون حاليا فى الخارج . هل يجب عليهم أن يستمروا فى الكفاح المصرى داخل مجموعة تابعة للحزب الشيوعى المصرى ، أو يجب عليهم أن يحاولوا الاندماج فى أحزاب البلاد التى يعيشون فيها ؟ هذه هى فى نهاية الأمر المسألة الموضوعة للبحث . فهل يوجد حل لمثل هذه المشكلة ؟

لم يكن يوجد قبل الحرب العالمية الثانية بشكل عام إلا حل واحد وفى ذلك الوقت كانت تطبق بكل دقة قاعدة الإقليمية ، ومعناها أنه كان على كل شيوعى مهما كانت بلاده الأصلية أن يضع نشاطه تحت قيادة الحزب الشيوعى فى بلد إقامته ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ابتعدت الأحزاب كلية عن هذه القاعدة القديمة ولم تعد تتبع قاعدة واحدة جامدة فى كل الظروف ، فإنها بشكل عام تتصرف الآن تبعا للظروف الموضوعية . :

إن هذه الظروف الموضوعية تتضمن ظروف بلاد الإقامة الفعلية كما أنها تتضمن أيضا ظروف البلاد الأصلية ومن ذلك مثلا فى فرنسا ينضم بعض الشيوعيين الذين من أصل أجنبى إلى الحزب الشيوعى الفرنسى - ومنهم الإيطاليون - بينما لا يستطيع شيوعيون آخرون الانضمام إلى الحزب الفرنسى ، كالأمريكيين . وبجانب ذلك يفرق عادة بين العمال والمهاجرين الذين يقيمون فى فرنسا للعمل فيها والذين يسهل عليهم الاندماج ، وبين المهاجرين السياسيين الذين لهم عادة مركز خاص . هذا فيما يختص ببلاد الإقامة الفعلية .

أما فيما يختص بظروف أحزاب البلاد الأصلية فإنه يوضع السؤال الآتى - هل هذه الأحزاب فى حاجة إلى نشاط خارجى ؟ وإذا كان الرد بالإيجاب ينظم المكافحون بشكل يضمن الاتصال بينهم وبين حزب بلادهم الأصلية ومثل ذلك الشيوعيون الأسبانيون - ومن الممكن أيضا تبعا للظروف الوصول إلى حل عكسى تماما .

وأخيرا قد تكون الظروف الموضوعية هى ظروف المكافحين أنفسهم . قد يستطيع بعضهم الاندماج بسرعة وبشكل كامل فى البلاد التى يقيمون فيها ، بينما يظل البعض الآخر مرتبطا ببلاده الأصلية وبجانب ذلك قد توجد إمكانات للكفاح فى بلاد الإقامة كما قد توجد ظروف خاصة بأحوال الأجانب والذين لا جنسية لهم فى بلاد يشتد فيها الإرهاب البوليسى بحيث تنعدم بالنسبة لهم إمكانات الكفاح فى صفوف حزب قانونى الخ .. ومعنى ذلك كله أنه فى هذه الحالة أيضا لا توجد قاعدة واحدة جامدة واجبة التطبيق فى جميع الأحوال بل إن كل قرار يتخذ يجب أن يكون مبنيا على تحليل دقيق للظروف الموضوعية .

لقد تكونت مجموعة الشيوعيين المصريين فى الخارج على أساس أن وجود مثل هذه المجموعة يسمح بمساعدة الكفاح الذى يقوم به الشيوعيون داخل مصر نفسها وبجانب ذلك فإن إيجاد مثل هذه المجموعة يسمح باستعمال نشاط هؤلاء الزملاء الذين سبق لهم أن كافحوا فى مصر بشكل فعال أكثر مما إذا كانوا قد كافحوا فى صفوف أحزاب بلاد إقامتهم وكان الحزب الشيوعى الفرنسى قد أيد بدون تحفظ هذا الموقف وكان قد أيد قبل أن ينفصل عنه عدد من أعضائه - حتى الفرنسيين منهم الذين سبق لهم أن كافحوا فى مصر وكانوا منتمين إليه - وسمح لهم بالنشاط داخل ماكان فى ذلك الوقت « مجموعة حدتو فى الخارج » ثم أصبحت تابعة للحزب الشيوعى الموحد ثم للحزب الشيوعى المصرى المتحد .

وقد وضعت خطة عمل هذه المجموعة بشكل مفصل منذ سنة ١٩٥١ وتم ذلك بالاشتراك مع الزملاء عزيز وسعيد وملخص هذه الخطة هو « مساعدة مصر » . وإننا بعد كفاح استمر بدون توقف منذ ١٩٤٩ لعدد منا ومنذ سنة ١٩٥٠ و ١٩٥١ . لأغلبية مجموعتنا ، مقتنعون تمام الاقتناع أن هذه المساعدة كانت قيمة ولكن حتى إذا لم تكن هذه المساعدة إلا مساعدة بسيطة جداً ، فإننا لا نستطيع أن نفهم لماذا قد يتخذ قرار بحرمان الحزب منها ، أى حرمان - إلى درجة بسيطة للغاية - الطبقة العاملة ومصر منها ، وعلى كلٍ فإنه من الواجب ألا يتخذ قرار ، مهما كان اتجاه هذا القرار ، إلا على أساس دراسة موضوعية لنشاط المجموعة ولإمكاناتها الكفاحية .

وإننا لا يمكن أن نقبل بأى شكل من الأشكال الاتهام الذى يبدو أنه موجه إلينا بأننا نحاول « قيادة » الحزب من الخارج ولا يمكن أن يوجه مثل هذا الاتهام إلا أشخاص ينعدم فيهم الشعور بالمسئولية وإنكم لتعلمون أحسن من أى شخص آخر ، أننا حتى لو كنا نرغب فى ذلك ، وهذا غير صحيح قطعا ، فإنه لا يوجد لدينا أدنى إمكانية للقيام فعلا بمثل هذه القيادة . إنكم تعلمون أحسن من أى شخص آخر ، أن المكتب السياسي واللجنة المركزية وسائر هيئات الحزب القيادية تجتمع وتتخذ قراراتها بدون أن تعبر مجموعة الحزب فى الخارج عن رأيها فى المسائل المعروضة للبحث .

وعليه فإننا لا نرى كيف يمكن قبول مثل هذا الاتهام بل ولا نفهم أن يقدم مثل هذا الاتهام بدون تأييده بحجج معقولة وبوقائع ثابتة .

إن مجموعتنا التى تكونت فى سنة ١٩٥٠ كمجموعة حدتو فى الخارج كانت تتمتع فى بداية تكوينها بثقة المنظمة التى كانت تنتمى إليها ، ولذلك كانت مجموعتنا فى ذلك الوقت فى مركز يسمح لها باتخاذ مواقف سياسية ، وكانت تعلم أن هذه المواقف سوف تصدق عليها قيادة حدتو ، وكان مسئول المجموعة عضوا فى قيادة حدتو ، ولكن عندما تطورت هذه الحال وتغيرت غطت مجموعتنا بحكمة كبيرة ومتزايدة ، ومن ذلك مثلا أن النشرة التى كنا نقوم بتحريرها فى سنة ١٩٥١ باسم الحزب قد توقفنا عن إصدارها فى سنة ١٩٥٤ ولم نقم بإصدار نشرة فى ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ (أى منذ تكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد) إلا لتوزيع ترجمة مطبوعات الحزب وطبقا للمعلومات التى كانت قد وصلتنا بذلك المعنى .

وعلينا أن نذكر بوجه خاص مواقفنا الخاصة بالكفاح من أجل سلام عادل بين إسرائيل والدول العربية . ويبدو أن هذه المواقف موضع اتهام موجه إلينا أيضا . وأننا مقتنعون بأن مواقفنا متفقة تماما ، ليس فقط مع مواقف الحزب الشيوعى الإسرائيلى الشجاع ، ولكن أيضا مع مواقف كل الحركة العمالية الدولية وبوجه خاص مع مواقف الاتحاد السوفييتى . وبجانب ذلك فإن جميع الزملاء ، المصريين والسودانيين ، الذين مروا من عندنا والذين استطعنا أن نناقش هذه المسألة معهم ، قد أكدوا لنا أن هذه المواقف سليمة ، وإننا نعلم تمام العلم أن هذه المواقف ستصبح ، إن عاجلا أو آجلا ، مواقف الحزب كله فى مصر . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد لكم أننا لم نقدم أبداً هذه المواقف باسم الحزب وإننا لنتحدى أى شخص بأن يثبت عكس ذلك وإننا قد احتفظنا عندنا بمجموعة كاملة لكل نشراتنا وعندنا كذلك سجلات كاملة (أرشيف) عن كل نشاطنا ومن السهل الرجوع إليها والتحقيق فى هذا الموضوع وفى غيره . ونحن أثرنا ذلك الموضوع بشكل خاص لأننا نعلم أنه يكون أساس الهجوم العنيف الذى يشن ضدنا .

وإنكم تستطيعون أن تكونوا على ثقة بأننا لم نعمل أبداً ولن نعمل إلا تطبيقا لخطة الحزب وتبعا للتوجيهات التى تعطى رسميا لنا ، والحقيقة أننا حتى الآن لم تصلنا تعليمات أو توجيهات إلا نادرا جداً وأننا قد أثبتنا فى كل الظروف تمسكنا بالنظام وبالمبادىء التنظيمية فى كل علاقاتنا بالحزب . إننا قمنا بتطبيق قرارات الحزب حتى عندما كنا مقتنعين بخطئها (ومثال ذلك القرار الخاص بإيقاف يونس) . وأننا تبعنا وطبقنا خطة الحزب السياسية حتى عندما كنا مقتنعين بخطئها ، ومثال ذلك معاداة النظام الحاضر على طول الخط فى مرحلة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ وذلك حتى لا يحق لأحد أن يشك فى أمانتنا كأعضاء فى الحزب .

ولقد حدث فى مناسبات معينة أن قدمنا للحزب رأينا فى مسائل معينة ولكن لم يكن ذلك إلا مزاولة منا لحق يتمتع به كل عضو فى الحزب بل إنه واجب يقع على عاتق كل عضو فى الحزب بالاشتراك اشتراكا فعليا فى حياة الحزب .

* * *

وإننا لا نرى أدنى سبب يبرر اتخاذ قرار عاجل فى مسألة حل مجموعة الحزب فى الخارج ولذلك إننا نطلب منكم أيها الزملاء بكل قوة ، تأجيل اتخاذ قرار فى هذا الموضوع حتى تستطيعوا الحكم على أساس تحليل أكثر دقة للظروف الموضوعية وللعمل الذى قامت به المجموعة وللإمكانات الحقيقية الموجودة لمساعدة حزب نعتبر أنه حزبنا مهما كانت بساطة هذه المساعدة .

إن الاستعجال الذى لا يوجد ما يبرره فى اتخاذ قراركم قد يبدو أنه محاولة لتصفية نشاط بعض المكافحين الموجودين حاليا فى الخارج ،لتصفية معارضة سياسية بسبب عداء شخصى لهم ، وقد يبدو أيضا أنه هجوم موجه ضد المنظمة الأصلية لهؤلاء المكافحين ومن الواضح أن مثل هذا الهجوم معارض لروح شروط الوحدة .

ومن البديهى أننا لا نستطيع اعتبار الاستعجال فى اتخاذ مثل هذا القرار ، أنه خضوع للنزعة العنصرية التى ظهرت أخيرا فى حزبنا ، وذلك بالرغم من كثرة ما قيل وما سوف يقال بهذا المعنى ، إذ أننا واثقون بأن هذه النزعة العنصرية الغريبة عن الماركسية اللينينية وعن تقاليد حزبنا لن تجد أدنى صدى لها داخل الهيئة القيادية لحزبنا .

وأملنا أيها الزملاء الأعزاء ، أنكم ستضعون هذه الرسالة موضع اعتباركم . وختاما ، إننا نعبر لكم عن إخلاصنا التام للحزب وللطبقة العاملة المصرية ولمصر ولكم تحياتنا الأخوية الصادقة .

اللجنة القيادية
لمجموعة الحزب فى روما

وثانيهما : يطالب بإقامة اتحاد لرجال الصناعة وحرمان العمال من حقهم فى التنظيم النقابى ، فكتب هنرى كورييل تعقيباً على ذلك :

« إن ما تحتاجه مصر حتى تتقدم صناعتها بشكل أسرع هو اليد العاملة المتخصصة ، وليس رءوس الأموال أو المواد الأولية أو المبادرات الفردية ، فإذا ظل العمل بالنسبة للعمال جحيماً ، فسوف يظل العمال على حالهم ، أعطوهم أجراً مجزياً يحسن من وضعهم ، **وأتيحوا لهم أوقات فراغ تهيىء لهم سبل الراحة وتتيح لهم فرصة الثقافة ، امنحوهم المسكن الصحى الذى يعيشون فيه بمنأى عن الحشرات والأوبئة ، عندئذ سيكون لدى الصناعات المصرية أيد حاذقة وقوية ، تنمى فى آن واحد مردود الصناعة وأسواقها »** .

وهكذا يبدو هنرى كورييل فى ذلك المقال بورجوازياً رحيماً إصلاحياً ، يدعو إلى رعاية البقرة الحلوب (العمال) حتى تدر للصناعة المزيد من الأرباح ، ولا يشير من قريب أو بعيد إلى تشريعات العمل أو حق التنظيم النقابى ، وهى مطالب ناضل العمال فى سبيلها ، ونظموا حركة إضراب شهيرة عن الطعام عام ١٩٣٨ ، ولكن يبدو أن هنرى (الذى لا يعرف العربية) كان لا يدرى شيئاً عن مطالب الطبقة العاملة المصرية عندئذ .

وسرعان ما نفر هنرى من « دون كيشوت » وانصرف عنها ، وشغلته اهتمامات أخرى كالنزعة إلى العودة للطبيعة ، فأصبح نباتياً ، ينهك جسده بالسير لمسافات طويلة فى الصحراء بالسروال القصير ، ويمارس السباحة والتنس ، بالإضافة إلى سهرات الكيت كات حيث صديقته المفضلة الراقصة ليديا الرومانية .

غير أن النوازع الإنسانية عند هنرى كورييل دفعته للاهتمام برعاية الفلاحين صحياً فى ضيعة والده بالمنصورية ، فكان يتردد عليها بصحبة صديقته روزيت (زوجته فيما بعد) ، حاملاً قطرة العيون وبعض الأدوية ، ولكن ما كان يعانيه الفلاحون من وضع **اجتماعى متدهور لم تكن تفيد معه الأدوية أو قطرة العيون . كانت هذه هى المرة الأولى التى** يدخل فيها هنرى بيوت الفلاحين ، فصدمه بؤسهم وقرر الانخراط فى العمل السياسى لخدمة الطبقة الكادحة البائسة (على حد قول روزيت فى حديثها إلى جيل بيرو) ، ومن ثم حسم الأمر باختياره للشيوعية .

ويقول جيل بيرو إن الدوافع الإنسانية والتأثر بسوء أحوال العمال والفلاحين كانت وراء اهتداء ذلك الجيل من أبناء البورجوازية اليهودية إلى الشيوعية ، فمارسيل إسرائيل ـ الذى كان والده يملك محلجاً للقطن ـ راعه منظر الأطفال الفلاحين الذين يساقون سوق الأنعام للعمل ست عشرة ساعة يومياً فى جو يتنافى مع أبسط قواعد الصحة العامة ، ويوسف حزان (الذى كان مهندساً زراعياً) هاله أيضاً سوء أحوال عمال التراحيل ، والطريقة اللا إنسانية التى يعاملون بها ، وكذلك الحال بالنسبة لريمون أجيون وديدار روسانو وغيرهم ، هزهم جميعاً بؤس الطبقة العاملة المصرية دون أن يعرفوا شيئاً عن واقع

Lettre au BP   12. Janr 58

١٢ يناير سنة ١٩٥٨

خطاب الى المكتب السياسي

زملائنا الأعزاء ، تحية الزمالة وبعد — لقد علمنا بدهشة شديدة انكم تناقشون امكانية حل مجموعة الحزب في الخارج . وان موضوع دهشتنا ليس المناقشة في حد ذاتها بل ان تستمر المناقشة بدون طلب رأينا بالرغم من ان هذه المسألة تخصنا وتهمنا مباشرة — ان طريقة المعاملة هذه لا شك معيبة وقد نبذتها الحركة العمالية منذ زمن بعيد ومن الواجب على حزبنا ان يحاول هو ايضا عدم الالتجاء اليها . وبجانب ذلك انكم تناقشون مسألة تعرفونها معرفة ناقصة الى حد كبير وكثرت حولها الاشاعات والاخبار الخاطئة والكاذبة . وعليه فان كل موقف قد تتخذونه لا يمكن ان يكون مؤسسا على معرفة الاحوال الموضوعية الحقيقية .

هل يجب على الاشخاص الذين سبق ان كافحوا في صفوف الحركة الشيوعية المصرية والذين يوجدون حاليا في الخارج ، هل يجب عليهم ان يستمروا في الكفاح المصري داخل مجموعة تابعة للحزب الشيوعي المصري أو يجب عليهم ان يحاولوا الاندماج في احزاب البلاد التي يعيشون فيها ؟ هذه هي في نهاية الامر المسألة الموضوعة للبحث . فهل يوجد حل لمثل هذه المشكلة ؟

لم يكن يوجد قبل الحرب العالمية الثانية بشكل عام الا حل واحد وفي ذلك الوقت كانت تطبق بكل دقة قاعدة الاقليمية ، ومعناها انه كان على كل شيوعي مهما كانت بلاده الاصلية ان يضع نشاطه تحت قيادة الحزب الشيوعي في بلد اقامته ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ////// ابتعدت الاحزاب كلية عن هذه القاعدة القديمة ولم تعد تتبع قاعدة واحدة جامدة في كل الظروف فانها بشكل عام تتصرف الان تبعا للظروف الموضوعية .

ان هذه الظروف الموضوعية تتضمن ظروف بلاد الاقامة الفعلية كما انها تتضمن ايضا ظروف البلاد الاصلية ومن ذلك مثلا في فرنسا ينضم بعض الشيوعيين الذين من أصل أجنبي الى الحزب الشيوعي الفرنسي — ومنهم الايطاليين — بينما لا يستطيع شيوعيون آخرون الانضمام الى الحزب الفرنسي ، كالأمريكيين . وبجانب ذلك يفرق عادة بين العمال والمهاجرين الذين يأتون الى فرنسا للعمل فيها والذين يسهل عليهم الاندماج ، وبين المهاجرين السياسيين الذين لهم عادة مركز خاص . هذا فيما يختص ببلاد الاقامة الفعلية .

أما فيما يختص بظروف أحزاب البلاد الاصلية فانه يوضع السؤال الآتي : — هل هذه الاحزاب في حاجة الى نشاط خارجي ، واذا كان ////// الرد بالايجاب ينتظم المكافحون بشكل يضمن الاتصال بينهم وبين حزب بلادهم الاصلية ومثل ذلك الشيوعيون الاسبانيون — ومن الممكن ايضا تبعا للظروف الوصول الى حل عكسي تماما .

وأخيرا قد تكون الظروف الموضوعية هي ظروف المكافحين أنفسهم : قد يستطيع بعضهم الاندماج بسرعة وبشكل كامل في البلاد التي يقيمون فيها بينما يظل البعض الآخر مرتبطا ببلاده الاصلية وبجانب ذلك قد توجد امكانيات للكفاح في بلاد الاقامة كما قد توجد ظروف خاصة بأحوال الاجانب والذين لا جنسية لهم في بلاد يشتد فيها الارهاب البوليسي بحيث تنعدم بالنسبة لهم امكانيات الكفاح في صفوف حزب قانوني الخ ... ومعنى ذلك كله انه في هذه الحالة ايضا لا توجد قاعدة واحدة جامدة واجبة التطبيق في جميع الاحوال بل ان كل قرار يتخذ يجب ان يكون مبنيا على تحليل دقيق للظروف الموضوعية .

لقد تكونت مجموعة الشيوعيين المصريين في الخارج على أساس ان وجود مثل هذه المجموعة يسمح بمساعدة الكفاح الذي يقوم به الشيوعيون داخل مصر نفسها وبجانب ذلك فان ايجاد مثل هذه المجموعة يسمح باستعمال نشاط هؤلاء الزملاء الذين سبق لهم ان كافحوا في مصر بشكل فعال أكثر مما اذا كانوا قد كافحوا في صفوف احزاب بلاد اقامتهم وكان الحزب الشيوعي الفرنسي قد أيد بدون تحفظ هذا الموقف وكان قد أيد وقبل ان ينفصل عنه عدد من أعضائه — حتى الفرنسيين منهم الذين سبق لهم ان كافحوا في مصر وكانوا منتمين اليه — وسمح لهم بالنشاط داخل ما كان في ذلك الوقت "مجموعة حدتو في الخارج" ثم أصبحت تابعة للحزب الشيوعي الموحد ثم للحزب الشيوعي المصري المتحد .

وقد وضعت خطة عمل هذه المجموعة بشكل مفصل منذ سنة ١٩٥١ وتم ذلك بالاشتراك مع الزملاء عزيز وسعيد وملخص هذه الخطة هو "مساعدة مصر" . واننا بعد كفاح ////// استمر بدون توقف منذ ١٩٤٩ لعدد ما ومنذ سنة ١٩٥٠ و ١٩٥١ لأغلبية مجموعتنا ، مقتنعون تمام الاقتناع ان هذه المساعدة كانت قيمة ولكن حتى اذا لم تكن هذه المساعدة الا مساعدة بسيطة جدا فاننا لا نستطيع ان نفهم لماذا قد يتخذ قرار بحرمان الحزب عنها ، اي حرمان الى درجة بسيطة للغاية الطبقة العاملة ومصر منها . وعلى كل فانه من الواجب الا يتخذ قرار ، مهما كان اتجاه هذا القرار ، الا على أساس دراسة موضوعية لنشاط ////// المجموعة ولامكانياتها الكفاحية .

واننا لا يمكن أن نقبل باي شكل من الاشكال الاتهام الذي يبدو انه موجه الينا بأننا نحاول "قيادة" الحزب من الخارج ولا يمكن ان يوجه مثل هذا الاتهام الا اشخاص ينعدم فيهم الشعور بالمسئولية وانكم لتعلمون أحسن من اي شخص آخر ، اننا حتى لو كنا نرغب في ذلك ، وهذا غير صحيح قطعا ، فانه لا يوجد لدينا ادنى امكانية للقيام فعلا بمثل هذه القيادة . انكم تعلمون احسن من اي شخص آخر ، ان المكتب السياسي واللجنة المركزية وسائر هيئات الحزب القيادية تجتمع وتتخذ قراراتها بدون ان تعبر مجموعة الحزب في الخارج عن رأيها في المسائل المعروضة للبحث .

- ٢ -

وعليه فاننا لا نرى كيف يمكن قبول مثل هذا الاتهام بل ولا نفهم ان يقدم مثل هذا الاتهام بدون تأييده بحجج معقولة وبوقائع ثابتة .

ان مجموعتنا التي تكونت في سنة ١٩٥٠ كمجموعة حدتو في الخارج كانت تتمتع في بداية تكوينها بثقة القيادة التي كانت تنتمي اليها ولذلك كانت مجموعتنا في ذلك الوقت في مركز يسمح لها باتخاذ مواقف سياسية وكانت تعلم ان هذه المواقف سوف تحدى تلمها قيادة حدتو وكان /// مسئول المجموعة عضوا في قيادة حدتو ولكن عندما تطورت هذه الحال وتغيرت عطت مسموعت بحكمة كبيرة ومتزايدة ومن ذلك مثلا ان النشرة التي كنا نقوم بتحريرها منذ سنة ١٩٥١ باسم الحزب قد توقفنا عن اصدارها في سنة ١٩٥٤ ولم نقم باصدار نشرة في ١٩٥٦ - ١٩٥٧ (اي منذ تكوين الحزب الشيوعي المصري الموحد) الا لتوزيع ترجمة مطبوعات الحزب وطبقا للمعلومات التي انت قد وصلتنا بذلك المعنى .

وعلينا ان نذكر بوجه خاص مواقفنا الخاصة بالكفاح من أجل سلام عادل بين اسرائيل والدول العربية . ويبدو أن هذه المواقف موضع اتهام موجه الينا ايضا . واننا مقتنعون بان مواقفنا متفقة تماما ليس فقط مع مواقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الشجاع ولكن ايضا مع مواقف كل الحركة العمالية الدولية وبوجه خاص مع مواقف الاتحاد السوفيتي . وبجانب ذلك فان جميع الزملاء ، المصريين والسودانيين ، الذين مروا من عندنا والذين استطعنا ان نناقش هذه المسألة معهم ، قد أكدوا لنا ان هذه المواقف سليمة واننا نعلم تمام العلم أن هذه المواقف ستصبح ، ان عاجلا او آجلا ، مواقف الحزب كله في مصر . ومع ذلك فاننا نستطيع ان نؤكد لكم اننا لم نقدم ابدا هذه المواقف باسم الحزب واننا لنتحدى اى شخص بان يثبت عكس ذلك واننا لقد احتفظنا عندنا بمجموعة كاملة لكل نشراتنا وعندنا كذلك سجلات كاملة (ارشيف) عن كل نشاطنا ومن السهل الرجوع اليها والتحقيق في هذا الموضوع وفي غيره . ونحن اثرنا ذلك الموضوع بشكل خاص لأننا نعلم انه يكون أساس الهجوم المشنون الذى يشن ضدنا .

وانكم تستطيعون ان تكونوا على ثقة باننا لم نعمل ابدا ولن نعمل الا تطبيقا لخطة الحزب وتبعا للتوجيهات التي تعطى رسميا لنا والحقيقة أننا حتى الآن لم تصلنا تعليمات او توجيهات الا /// نادرا جدا واننا قد أثبتنا في كل الظروف تمسكنا بالنظام وبالمبادئ التنظيمية في كل علاقاتنا بالحزب . اننا قمنا بتطبيق قرارات الحزب حتى عندما كنا مقتنعين بخطئها (ومثال ذلك القرار الخاص بمهاجمة بيرونس) . واننا تبعنا وطبقنا خطة الحزب السياسية حتى عندما كنا مقتنعين بخطئها ومثال ذلك معاداة النظام الحاضر على اول الخط في مرحلة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ وذلك حتى لا يحق لاحد ان يشك في امانتنا كأعضاء في الحزب .

ولقد حدث في مناسبات معينة ان قدمنا للحزب رأينا في مسائل معينة ولكن لم يكن ذلك الا مزاولة منا لحق يتمتع به كل عضو في الحزب بل انه واجب يقع على عاتق كل عضو في الحزب بالاشتراك اشتراكا فعليا في حياة الحزب .

+ + +

واننا لا نرى أدنى سبب يبرر اتخاذ قرار عاجل في مسألة حل مجموعة الحزب في الخارج ولذلك انا نطلب منكم أيها الزملاء ، بكل قوة ، تأجيل اتخاذ قرار في هذا الموضوع حتى تستطيعون الحكم على أساس تحليل أكثر دقة للظروف الموضوعية وللعمل الذى قامت به المجموعة وللامكانيات الحقيقية الموجودة لمساعدة حزب نعتبر انه حزبنا مهما كانت بساطة هذه المساعدة .

ان الاستعجال الذى لا يوجد ما يبرره في اتخاذ قراركم قد يبدو انه محاولة لتصفية نشاط بعض المكافحين الموجودين حاليا في الخارج ، لتصفية معارضة سياسية بسبب عداء شخصي لهم وقد يبدو ايضا انه هجوم موجه ضد القيادة الاصلية لهؤلاء المكافحين ومن الواضح ان مثل هذا الهجوم معارض لروح شروط الوحدة .

ومن البديهي اننا لا نستطيع اعتبار الاستعجال في اتخاذ مثل هذا القرار ، انه خضوع للنزعة العنصرية التي ظهرت أخيرا في حزبنا وذلك بالرغم من كثرة ما قيل وما سوف يقال بهذا المعنى ، اذ اننا واثقون بان هذه النزعة العنصرية الغريبة عن الماركسية اللينينية وعن تقاليد حزبنا لن تجد ادنى صدى لها داخل الهيئة القيادية لحزبنا .

وأملنا ايها الزملاء الاعزاء ، انكم ستضعون هذه الرسالة موضع اعتباركم وختاما اننا نعبر لكم عن اخلاصنا التام للحزب وللطبقة العاملة المصرية ولمصر ولكم تحياتنا الاخوية الصادقة . ...

اللجنة القيادية
لمجموعة الحزب في روما

مذكرة لتعميق مدلولات بعض مظاهر النضال الاقتصادى للطبقة العمالية رقم ٣٢ ـ ٧/٣٣ بتاريخ ٥٨/٣/٧ إلى عائلة Jules .

الزملاء الأعزاء .

نرسل إليكم بعض الاعتبارات التى تتيح تقديرا أفضل لبعض مظاهر دور **الطبقة العمالية** فى مجتمعنا والتى تسهل عمل العمال الطليعيين وعمل الحزب من أجل تطوير هذا الدور حتى يصبح دوراً قائدا لا فى المجال السياسى بل فى مجال تعد فيه مهامنا غير واضحة نسبيا وهو المجال الاقتصادى .

***

لا يمكن القول بأن هناك صلة مباشرة بين النفوذ الاقتصادى والنفوذ السياسي للطبقة العمالية ، ففى روسيا القيصرية مثلا كان الدور الاقتصادى لهذه الطبقة أقل كثيراً منه فى بلاد أخرى ، وهى مع هذا قد وصلت إلى القيادة السياسية لكن هذا لا يدعو إلى إهمال هذا الدور لأنه بالفعل دور هام جداً ، فى غير فترات المد الثورى ، وهو يشكل أحد العناصر الرئيسية التى يقوم عليها نفوذنا السياسي .

لذا ينبغى تعميق هذا الدور كما يجب قيادة الطبقة العمالية والجماهير الشعبية بأكملها إلى الإحساس بأهميته وإدراكه بطريقة أكثر وضوحاً ؛ ويمكننا النظر إلى هذا الدور من زاويتين : أولاً الوظيفة الاقتصادية العامة للطبقة العمالية ، ثم تدخلها الواعى للإشراف على عملية الإنتاج .

سنحاول التعمق فى هذين المظهرين لكننا نلفت نظر الزملاء إلى أننا لسنا طوال الباع فى هذا المجال ، وعلى القادة المنتمين إلى الطبقة العمالية (البروليتاريا) تحديد مهام هذا المجال بطريقة أعمق وأكثر اتساعا .

أ ـ الوظيفة الاقتصادية للعمال :

نحن بالطبع لا نريد العودة إلى الأفكار الماركسية فى هذا الموضوع لكننا نبغى تأمل جانب منه يغيب أحيانا عن الملاحظة :

إن الدستور المصرى يعترف نظريا « بحق العمل » فى مادته الثانية والخمسين ؛ ولكن قد يكون هناك مصدران للعمل :

المصدر الأول : هو ذلك الذى تتيحه البورجوازية ، وهى تحاول وضعه فى إطار « الضمان الاجتماعى » ؛ لذا ينبغى على الدولة إتاحة فرص العمل للعاملين بقدر اهتمامها بالأطفال والمسنين ، وذلك بغرض تأمين معاشهم .

أما المفهوم الآخر : الذى يجب علينا الدفاع عنه فهو يقوم على كرامة العمل التى تنبع بدورها من هذه الحقيقة : إن المجتمع لا تقوم له قائمة بدون العمل .

إن هذه الأهمية الحاسمة لدور العمل فى المجتمع تفرض عليه أى المجتمع توفير إمكانية

العمل لجميع أعضائه ، ولكن الرأسماليين لا يريدون رؤية المشكلة من هذه الزاوية لأن عدم الأمان فى العمل فى صالحهم ، وفى صالحهم أيضا وجود « جيش احتياطى » من العاطلين حيث يتيح هذا الوضع الحصول على أكبر قدر من المكاسب كما يسمح بالتخلص من العناصر المتقدمة سياسيا بين العاملين .

وعلى العكس من ذلك ، يمثل العمال ، فى هذا المجال ، المصالح الحقيقية للمجتمع فهم المناضلون من أجله ، حتى يتمكن من استخدام وتطوير إمكانات العمل الخاصة بأعضائه ، ومن خلالهم يظهر مثلا التناقض القائم بين أهمية العمل بالنسبة للمجتمع وخضوعه لهوى الرأسماليين الذين لا يبغون سوى منفعتهم الخاصة .

وبصفة عامة ، يمكن للعمال قيادة النضال « عفوياً » من أجل الحصول على مطالبهم القائمة على احتياجاتهم وحقوقهم المستمدة من أهمية العمل ، وأهمية وظيفتهم الاقتصادية فى المجتمع ؛ ولنعط مثالا صحيحاً : فى الوقت الحاضر ، يعترف المجتمع المصرى بجميع طبقاته بأن مهمته الرئيسية هى اللحاق تدريجيا بالبلاد المتقدمة ، وبدون مناقشة جميع ما تتضمنه هذه المهمة ، يمكننا أن نأخذ ضرورة « التصنيع »،التى ركز عليها الشيوعيون واعترف بها القادة الحاليون ، نقطة للبداية .

ولكن ماذا نرى ؟ عندما يدور فى مصر الحديث عن التصنيع ، إنما يكون الهدف هو تمجيد الذين « يقيمون » الصناعات ، فتنشر الجرائد المصرية صفحات كاملة للاحتفال بإقامة شركات رأسمالية غالبا ما توزع فيها الأرباح ، بمساعدة الدولة ، على الرأسماليين ، وفى كثير من الأحيان يحضر قادة النظام توقيع عقود الشركات ، ويشاركون أيضا فى احتفالات وضع الحجر الأول والافتتاح ، ولا ينسون تهنئة الرأسماليين وممثليهم بهذه المناسبة .

على الشيوعيين إذن إبراز ما يأتى للعمال والجماهير الشعبية معا : يعود الفضل فى إقامة المشاريع إلى العاملين بها وإلى العمال الذين يبنون المصانع لا إلى أولئك الذين « يشجعون » الصناعة أو أصحاب رأس المال ؛ إننا لا نريد إنكار أو احتقار دور الرأسماليين فى هذه المرحلة ، لكن علينا الدفاع والاعتراف بدور العمل والعاملين وكرامتهم النابعة فعلا من أهمية هذا الدور .

إن التركيز على أهمية هذا المفهوم يتيح تعميق مغزى النضال الاقتصادى للطبقة العمالية ، كما يساعد العمل فى هذا الاتجاه على قدوم المجتمع القائم فعلا على العمل بقيادة الطبقة العمالية .

ولا يسعنا تحديد برنامج ، ولو بشكل تقريبى ، للمطالب المترتبة على حق العمل ؛ ومع هذا نذكر بعض الأمثلة :

- النضال ضد التسريحات .

- أولوية التعيين للعمال المسرحين لظروف اقتصادية .
- منحة بطالة لائقة .
- حق الشباب فى ممارسة مهنة .
- وضع خطة اقتصادية للتوسع فى العمل لصالح الأمة وليس لتحقيق ربح رأسمالى وذلك بضمان حق العمل الكامل للعاملين .

ب - دور العمال فى عملية الإنتاج :

هناك بعض الاعتبارات الملموسة التى ترتبط بصفة خاصة بالنضال المباشر للطبقة العمالية من أجل وضع خطة اقتصادية ، وأهم المجالات فى رأينا هى :

١ - المشاركة فى تحديد ظروف العمل :

تتحدد ظروف العمل ، سواء فى المهنة أو فى المؤسسة ، تبعا لثلاثة عوامل رئيسية :

الرأسماليون ، الذين يهدفون بالطبع إلى الحصول على أكبر قدر من المكسب .

الدولة ، وهى أداة تستخدمها الطبقة الرأسمالية لصالحها ، وهى إما تحول دون العمال ومطالبهم ، أو تعد اللوائح ، عندما تسنح الفرصة لذلك ، ضد تجاوزات بعض الرأسماليين ، مما يضمن حماية النظام فى مجموعه ، ولهذا السبب نفسه تستجيب الدولة أحيانا للتهديد خوفا من حدوث ثورة اجتماعية - العمال هم الذين يشاركون ، إلى حد ما ، فى تحديد ظروف العمل بطريقة عملية وواعية ؛ ويجب أن تكون إحدى مهام الحزب زيادة العمل فى هذا المجال بدرجة كبيرة .

إن مشاركة العمال فى تحديد ظروف العمل ينبغى أن تقوم على دورهم فى عملية الإنتاج ، كما ينبغى مقاومة طموح الرأسماليين أو الدولة إلى الانفراد بتحديد هذه الظروف ، ومحاربة المفهوم القائل بأن الأساس الذى تقوم عليه مطالب العمال هو الفقر والعمل المضنى وغير ذلك من الاعتبارات الشبيهة .

لهذا يجب التمييز بين مطالب العمال من جهة ، ومبدأ المشاركة فى تحديد ظروف العمل من جهة أخرى ، لأن هذه المشاركة أهم كثيرا من تحسين هذا الظرف أو ذاك من ظروف العمل .

إن إعداد العقود الجماعية - مثل العقود التى أرسلنا إليكم نسخاً منها - لصالح عمال مصنع ما أو حرفة ما ، يؤدى دوراً رئيسيا فى هذا المجال لأنها تتيح مناقشة العمال لظروف العمل وتعمل بصفة خاصة على تطور الحريات النقابية داخل المؤسسة : حق الاجتماع ، حق الاتحاد ، جرائد الحائط ...

إننا لا نعنى الأجور وساعات العمل فقط عند الحديث عن ظروف العمل بل نقصد جميع المشاكل المرتبطة بالعمل مثل : مراعاة كرامة العاملين ، تعريف الأمراض المهنية ، الإشراف على الخدمات الاجتماعية فى المؤسسة : المقصف (المطعم) ، العيادة .. وكذا

مشاكل التعيين والتسريح وأولوية التعيين للعمال المسرحين لظروف اقتصادية .. إلى آخر هذه المسائل التى تعرفونها أكثر منا والتى يجب عليكم تحديدها بطريقة أكثر شمولا .

٢ ـ الأهم من ذلك هو إشراك العمال فى الإشراف على الإنتاج :

إن تأسيس هيئات عمالية للإشراف على نشاط المؤسسات هو من أهم الانتصارات التى حققتها الطبقة العمالية بفرنسا وإيطاليا بعد مشاركتها الحاسمة فى انتصار الحرب العالمية الثانية : لقد اعترف هذان البلدان بحق هذه الطبقة فى التمثيل ، لا بواسطة نوابها فى البرلمان وفى مختلف الهيئات السياسية والاقتصادية فقط ، بل بطريقة مباشرة داخل المؤسسة ذاتها .

فى إيطاليا تدعى هذه الهيئات باللجان الداخلية ، وهى تسمى، فى فرنسا ، بلجان المؤسسات ؛ نرجو أن ترجعوا للكتيبات التى أرسلناها لكم عن لجان المؤسسات فهى تتناولها بالتفصيل .

إن الوضع هنا لا يختلف عنه فى الخارج حيث لا يعد اعتراف القانون بحق العمال كافيا لممارستهم هذه الحقوق عمليا ؛ وفى فرنسا مثلا لجان عديدة بالمؤسسات لا تعمل بطريقة كاملة حيث تحولت إلى هيئات شكلية يديرها الرأسماليون .

ومن ناحية أخرى لا ينبغى أن يحول غياب القانون دون سعى العمال للقيام بدور فى الإدارة بقيادة نقاباتهم ، ونحن نعلق أهمية رئيسية على هذا النشاط للحركة العمالية الدولية التى تعد الطبقة العمالية ـ وأنتم تدركون هذا بالفعل ـ بُطريقة شديدة الفعالية لإدارة عملية الإنتاج .

أيها الزملاء الأعزاء ، ها هى النقاط الرئيسية التى نود توجيه انتباهكم إليها :

- ضرورة الدفاع عن حقوق الطبقة العمالية على أساس كرامة وظيفتها .
- ضرورة الدفاع عن مبدأ المشاركة المنظمة للعمال فى تحديد ظروف العمل .
- ضرورة الدفاع عن مبدأ المشاركة المنظمة للعمال فى الإشراف على نشاط المؤسسة .

من هنا ، يتضح أن عملنا المستمر فى هذه المجالات يعمق مغزى وأهمية النضال الاقتصادى للطبقة العمالية .

قرار المكتب السياسي للحزب الشيوعى المصرى
الأسبوع الثانى من مارس سنة ١٩٥٨ .

التنظيم

مجموعة روما :

اتخذ المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى (الموحد) قرارا إجماعيـا بحل مجموعة روما فى أكتوبر سنة ١٩٥٧ ، وقد أقرت اللجنة المركزية للحزب هذا القرار الذى أيدته قطاعات الأقاليم المختلفة ؛ ومن المحقق أن القرار ينص على « حل مجموعة روما بأسرع ما يمكن »وكانت هذه الصيغة ، فى رأى بعض الزملاء ، غير دقيقة ومثيرة للبلبلة ، لكن القرار قد اتُخذ ، وتم تفسير الصيغة كالتالى : « إن الحل يعتبر نهائيا بعد إعلام مجموعة روما والأقاليم وكوادر الحزب بهذا القرار » أى أن الحل سيتم فعلا فور إعلام مجموعة روما بالقرار وإقراره من مختلف كوادر الأقاليم بالحزب .

لقد ناقشت اللجنة الدائمة هذه المشكلة ورأت ضرورة إصدار المكتب السياسي للحزب لقرار جديد يؤكد به قراره السابق حتى تُصَفَّى نهائيا مشكلة حل المجموعة ، ويجب الإشارة إلى أن خطابا صادرا من مجموعة روما تناقش وتعترض فيه على قرار الحل هو ما دفع المكتب السياسي للعودة إلى مناقشة هذه المشكلة ، وقد طلب أيضا بعض الزملاء مناقشة هذا الخطاب وكذلك وضع المجموعة .

بعد الإطلاع على الخطاب المذكور والقرار السابق للحزب الموحد ، وبعد المناقشة الموسعة لهذه المشكلة أصدر المكتب السياسي القرار التالى :

« يقرر المكتب السياسي للحزب الشيوعى المصرى حل مجموعة روما نهائيا اعتبارا من ١٤ مارس سنة ١٩٥٨ ، ويؤكد قراره السابق اتخاذه فى أكتوبر سنة ١٩٥٧ ، ويقوم هذا القرار على الاعتبارات التالية :

١ ـ انعزال المجموعة عن الواقع المصرى .

٢ ـ المجموعة بعيدة عن رقابة الحزب .

٣ ـ فتح أفاق جديدة لأعضاء المجموعة حيث يمكنهم الانضمام إلى الأحزاب الموجودة بأماكن إقامتهم .

٤ ـ الحرص على إقامة علاقات سليمة مع الأحزاب الشقيقة .

٥ ـ التكوين الأجنبى للمجموعة .

اتخذ القرار بالإجماع حتى الفقرة الرابعة ، وحصلت الفقرة الخامسة على الأغلبية ،

« يقرر المكتب السياسى أيضا إبلاغ مجموعة روما بهذا القرار لوضع حد للمناقشة المفتوحة فى هذا الصدد كما يكلف المكتب التنظيمى بتصفية الوضع القائم مع مجموعة روما والعمل على قطع الصلات بها بإشراف الأمانة المركزية .

Résolution du Bureau Politique du Parti Communiste Egyptien.

Seconde semaine de Mars 1958

\- - - - - - -

L'ORGANISATION

Le groupe de Rome :

Le Bureau Politique du Parti Communiste Egyptien (Unifié) avait pris, en octobre 1957, à l'unanimité une décision relative à la dissolution du Groupe de Rome. Le C.C. du P.CE.U. avait approuvé cette décision qui a été appuyée par différentes régions du Parti. Il est vrai que la décision stipulait la " dissolution du Groupe de Rome dans le plus bref délai possible ". Cette formulation, selon l'avis de certains camarades, était la source d'une confusion et d'une imprécision. Mais quand la décision a été prise, cette formulation a été expliquée dans ces termes : " La dissolution est considérée comme définitive après que le Groupe de Rome, les régions et les cadres du Parti aient pris connaissance de cette décision." Ainsi la dissolution sera effective aussitôt que le Groupe de Rome aura été avisé de la décision et aussitôt que les divers cadres de régions auront approuvé la décision prise par la direction du Parti unifié, relative à la dissolution du Groupe.

Le Comité permanent a discuté de ce problème et a jugé qu'il était nécessaire que le Bureau Politique du nouveau parti prenne une décision confirmant celle prise auparavant, afin que le problème de la dissolution de ce Groupe soit liquidé définitivement. Il faut noter que c'est la réception d'une lettre provenant du Groupe de Rome discutant et s'opposant à la décision de la résolution qui a poussé le B.P. a rediscuter ce problème. Certains camarades ont demandé que l'on discute cette lettre ainsi que la position de ce Groupe.

Après lecture de ladite lettre et de l'ancienne résolution du Parti Unifié, et après une large discussion sur ce problème, Le Bureau Politique a publié la décision suivante :

" Le Bureau Politique du Parti Communiste Egyptien décide de dissoudre définitivement le Groupe de Rome à partir du 14 mars 1958 et confirme la décision prise par le Bureau Politique de l'ancien P.C.E. Unifié en octobre 1957. Cette décision est fondée sur les raisons suivantes :

1) Le Groupe est isolé de la réalité égyptienne.
2) Le Groupe se trouve loin du contrôle du Parti.
3) De nouveaux horizons s'ouvrent devant les membres du Groupe qui peuvent adhérer aux partis de leur lieu de résidence.
4) Le souci de saines relations avec les partis frères.
5) La formation   du Groupe.

(Cette décision a été prise à l'unanimité jusqu'au paragraphe 4, et à la majorité pour le paragraphe 5)

" Le Bureau Poltique décide également de faire parvenir cette décision au Groupe de Rome, ce qui mettra un point final à la discussion ouverte à ce sujet. Le bureau organisationnel est chargé de liquider la situation existante avec le Groupe de Rome et de veiller sous le contrôle du secrétariat central à ce que toutes les liaisons actuelles soient interrompues.

" Le Bureau Politique décide en outre d'interdire à tous les membres du parti d'avoir des contacts politiques et organisationnels avec les camarades de l'étranger sans le contrôle préalable du responsable des relations extérieures. Cette interdiction ne s'applique pas sur les relations strictement personnelles.

Au cas où des camarades du Grouppe dissout venait à rentrer en Egypte et demanderait de nouveau d'adhérer au Parti, il appartiendra au Bureau Politique d'examiner sa demande et de prendre une décision à ce sujet."

قرار الحزب الشيوعي المصري المتحد بحل مجموعة روما (الاسبوع الثانى من مارس ١٩٥٨)

إن المكتب السياسي يقرر ، بالإضافة إلى هذا ، منع جميع أعضاء الحزب من إقامة علاقات سياسية أو تنظيمية مع الرفاق بالخارج دون رقابة المسئول عن العلاقات الخارجية ، ولا ينطبق هذا المنع على الصلات الشخصية .

« وفى حالة عودة بعض الزملاء بالمجموعة المنحلة إلى مصر ، وطلبهم الانضمام ثانية إلى الحزب ، فإن المكتب السياسي سيبحث طلبهم ويتخذ قراراً فيه » .

إلى عائلة Jules بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩٥٨ بواسطة مارى خطاب رقم ٤٠ و ٤١ .

تقرير رقم ٨ من جاك Jac

مذكـــرة

عن التناقضات الواجب طرحها وحلها

الزملاء الأعزاء :

إننا نعد من أجلكم سلسلة من الاعتبارات القائمة على وثائق « خط الحزب » التى تسلمناها ، ونحن نفضل الاستمرار فى طريقة التراسل المتبعة ومعالجة كل نقطة فى مذكرة مستقلة بدلاً من إرسالها معا ، كما أننا نبيح لأنفسنا ، هذه المرة ، توجيه نظركم إلى نقطة أساسية ألا وهى التناقضات الموجودة فى المجتمع المصرى .

إن التجاهل التام لهذه التناقضات ظاهرة لا يمكن إرجاعها إلى الصدفة البحتة ، بل هى تعبير عن اتجاه يمينى واضح وهو اتجاه يتميز ، بطريقة ما ، بعدم تقدير أو إنكار هذه التناقضات ؛ ويجب ، على أية حال ، تدارك هذا التجاهل بطريقة حازمة وإن كانت غير مباشرة .

إن هذه التناقضات لا يمكن تصويرها « عن بعد » ، لذا فإن هذه المذكرة لا تهدف إلى تقديم صورة كاملة لها بل إن الغرض منها هو إثارة المشكلة نفسها وإبراز أهم الأمثلة ، فى نظرنا ، لإثبات أن طرح التناقضات قد يكون مهمة خصبة جداً وقد يصلح أساسا لوضع « خط سياسى » حقيقى .

ينبغى أولاً التركيز على أن موضوعنا هو التناقضات القائمة فى قلب المجتمع المصرى فقط أى أننا نطرح جانبا التناقضات الموجودة على الصعيد الدولى كما أننا لا نستعرض مشكلة النضال ضد الامبريالية ؛ ومع هذا فإننا نود التركيز على نقطتين :

* يجب أولاً مراعاة تناقضات المجتمع المصرى فى النضال المنطقى ضد الامبريالية فى مصر .
* وبعد ذلك ينبغى التغلب عليها مع وضع ضرورات النضال ضد الامبريالية فى الاعتبار .

ولننتقل الآن إلى تحليل موجز لبعض التناقضات الموجودة فى المجتمع المصرى .

أ ـ هناك أولاً التناقض الأساسى بين الملاك وغير الملاك أى المستغلِّين والمستغلَّين .

ب ـ لهذا التناقض الأساسى مظهر واضح يجب علينا تحديده ومراعاته فى عملنا وهو

المجتمع المصرى الذى كانوا يعيشون على هامشه فى الأبراج العاجية للبورجوازية اليهودية .

كانت الأزمة الاجتماعية مستحكمة فى مصر عندئذ ، فالبون شاسع بين طبقة محدودة **من كبار الملاك الذين لا تتجاوز نسبتهم نصفا بالمائة من مجموع الملاك الزراعيين يملكون** ما يقرب من نصف أجود الأراضى الزراعية ، وجماهير الفلاحين المسحوقين الذين تتآكل ملكيتهم الزراعية الصغيرة وتتلاشى بسبب عجزهم عن سداد ديونهم . وهكذا تتسع شيئاً فشيئاً دائرة المعدمين من الفلاحين . وتأتى الأزمة الاقتصادية العالمية ٢٩ ـ ١٩٣٢ لتضرب الريف المصرى ضربة قاضية وتقذف بملايين الفلاحين إلى المدن طلباً للعمل ، ويتسع جيش العاطلين ليضغط على سوق العمل فتتدنى الأجور وتزداد شروط العمل وظروفه سوءاً ، ويتبدد نضال الطبقة العاملة المصرية من أجل إصدار تشريعات العمل والحصول على حق التنظيم النقابى أمام تصارع البورجوازية الوطنية للسيطرة على الحركة النقابية ، ويدور نضال العمال فى حلقة مفرغة بين ضغوط الأحزاب البورجوازية واستغلال الرأسماليين ومطاردة البوليس ، وتشهد الثلاثينيات سلسلة من الإضرابات العمالية تبلغ ذروتها عام ١٩٣٦ ، وتستمر الجذوة متقدة حتى بداية الحرب العالمية الثانية .

ومن الغريب أن أيا من ذلك كله لم يلفت نظر أحد من البورجوازيين اليهود الذين انغمسوا فى العمل الشيوعى ، فلا نجد إشارة له فى السيرة الذاتية لهنرى كورييل ، ولا نجد أثراً له فى شهادات رفاقه التى أوردها جيل بيرو فى كتابه « هنرى كورييل رجل من طراز فريد » . هزتهم جميعاً مظاهر البؤس والفاقة دون أن يدركوا شيئاً عن واقع الطبقة **العاملة المصرية ، أو حتى يحاولوا التعرف عليه ، وهو أمر يثير الدهشة والتساؤل .** وخاصة أن هؤلاء الشباب الذين كانوا يعيشون حياة الترف والدعة تحركت لديهم فجأة النوازع الإنسانية التى « هزت ضمائرهم » . وهنا من حقنا أن نتساءل : لماذا شباب البورجوازية اليهودية بالذات وليس غيرهم من شرائح البورجوازية الأخرى ؟! ولماذا لم يحدث ذلك إلا فى ظروف الحرب العالمية الثانية ؟! أسئلة سوف تظل تبحث عن إجابة وخاصة إذا عرفنا بعد قليل أن هذه الطلائع الماركسية اليهودية جلبت للحركة الشيوعية المصرية داء « التكتلية » و « الانقسام » ، كما جلبت إليها داء الإغراق فى المناقشات النظرية والدخول فى خلافات أيديولوجية مصطنعة دون الاهتمام بالنضال السياسى ، حتى يبدو الأمر كله وكأنه « سيناريو » معد مسبقاً !!

على كل ، اتجهت تلك المجموعة المحدودة من الشباب البورجوازى اليهودى التى هزت ضمائرها مظاهر بؤس الطبقة العاملة المصرية إلى قراءة الأدبيات الماركسية ـ بشكل فردى وليس جماعياً أولاً ـ ومن بين هؤلاء هنرى كورييل .

التناقض بين طبقة الملاك الحاكمة والطبقات الشعبية ؛ إن الطبقة الأولى لا تمثل الأخريات وإن كانت الخصومة ليست كاملة لوجود بعض المصالح المشتركة بين هذه الطبقات .

جـ - ويؤدى هذا التناقض إلى تناقض آخر فى العمل : من جهة نحن نناضل باستمرار من أجل دعم صلاتنا بالسلطة وإقامة تحالف دائم معها « الحلف الدائم مع البورجوازية الوطنية » (سأتناول هذه النقطة فى مذكرة مستقلة) ، ومن أجل حماية مصالح الجماهير الشعبية الكادحة والمستغلة ؛ وينتج عن هذه الضرورة المزدوجة تناقض يجب علينا تحديده وتحليله حتى نتمكن من التغلب عليه ، وإذا لم نفعل فإننا نجازف سواء بوضع تحالفنا مع الجماهير أو تحالفنا مع النظام أو بتعريضهما معا للخطر بالتردد بينهما .

لا حاجة بنا للإفاضة فى هذا التناقض فإننا إذا انفصلنا عن الجماهير وتوقفنا عن النضال ضد الرأسماليين من أجل تحسين ظروفها ، سنصبح مجموعة محدودة بلا قوة حقيقية ، وعندها لن يمثل التحالف معنا مصلحة ضرورية للنظام ؛ ومن جهة أخرى فإننا إذا أضعفنا النظام قد نعرض هدفنا الأساسى للخطر والشكل الفعال الوحيد لنضال حقيقى ضد الامبريالية وهو النضال من أجل السلام .

د - لهذا التناقض امتداد يظهر فى شكل تناقض آخر ؛ للنظام نفسه جانبان أحدهما يتجاوز حدود آمالنا وهو الجانب الذى تمثله أساسا على الصعيد السياسي السياسة المسماة « بالحياد الإيجابى » : الاعتراف بالصين ، إقامة صلات أكثر قوة مع العالم الاشتراكى ، مقاومة الأحلاف العسكرية ، دعم التضامن الأفريقى الآسيوى ، نمو الوحدة العربية إلخ ؛ وعلى الصعيد الاقتصادى ، هناك الإصلاح الزراعى ، الضربة القاضية علـى النظام الاقطـاعى ، وتأميم القنـاة ، وتمصير الاستثمـارات الأجنبية الرئيسية ، سياسة التصنيع الخ .

ولكن لا يمكن إنكار الوجه الآخر للنظام أى الجانب السيىء منه : على صعيد السياسة الأجنبية هناك « الغزل » مع الغرب ، الولايات المتحدة وقوى الظلام مثـل « ألمانيـا الغربية » ، إيطاليا ، « الأطلسية » ، وأسوأ من ذلك أسبانيا فرانكو ، والفاتيكـان ، بخلاف البوادر الملحوظة للاشتراك فى « حلف البحر المتوسط » الخ ، وفى الداخل قمع الحريات الأساسية ، ولا يظهر هذا القمع فى تصفية الأحزاب السياسية (إن ديمقراطية « البورجوازية » وتعدد الأحزاب فى بعض البلاد لا يمثلان بالضرورة الوضع الأمثل) بل فى الوسائل المستخدمة ضد الوطنيين المنطقيين ، وأيضا ضد الفلاحين الذين يريدون حماية أنفسهم من الملاك الزراعيين ، وضد العمال « المذنبين » للدفاع عن حقوقهم ضد الرأسماليين ؛ هناك أيضا الدور الكبير « للمخابرات الحربية » فى حياة البلد ، والتعسف والمحاباة المطلقة ، والميل للتعصب الدينى ، والعنصرية مع الأقليات ، ومعاداة السامية إلخ ؛ وعلى الصعيد الاقتصادى والاجتماعى : عدم الفعالية ، الطمع غير المحدود من جانب

الرأسماليين ، الفساد العام ، الاتجاه لحل المشاكل على حساب الجماهير العاملة برفع الأسعار وخفض قيمة العملة ، والاستغلال المتزايد للعمال .

إن عدم مراعاة هذا الوجه المزدوج يؤدى إلى وضع أحدهما فقط فى الاعتبار عند تحديد موقفنا من النظام .

هـ ـ هناك تناقض جوهرى آخر ينمو ، وقد يتطلب التغلب على هذا التناقض الذى يتوقف عليه مستقبل مصر كلها تحليلا أعمق من الآخرين لأنه قد يضر تماما بعملنا ؛ ويكمن هذا التناقض فى التوفيق بين التحالف مع النظام ، ذلك التحالف الذى يحقق لنا الحماية من سلسلة من الفتوحات الوطنية والشعبية ، وضرورة العمل لإعادة بناء المجتمع المصرى بالكامل ، وذلك بوضع أسس سياسية واقتصادية واجتماعية لبناء مصر الاشتراكية حقا .

إن مصر عاجزة تماما ، فى ظل النظام القائم ، عن حل مشاكلها الأساسية فى أضيق الحدود : مشاكل الغذاء ، والعلاج ، والملبس والمسكن والتعليم ، وهى لا يمكن أن تعوض هذا التخلف بتطبيق النظام الرأسمالى كما أن دعم الصناعة الوطنية ، وهذا أمر لا ينبغى تجاهله ، مستحيل بدون تحسن ملموس ، تدركه الجماهير فى ظروف المعيشة .

و ـ هناك أخيراً التناقض الخاص بالطبقة العليا من كوادر الحزب ، وهو تناقض ناتج عن ظروف تاريخية ملموسة أدت إلى تشكيل الحزب من مجموعة تنظيمات متنوعة بقيادات ذات انتماءات مختلفة ، ومهما يكن من اختلاف الانتماءات التى خرجت منها هذه الكوادر ، يمكن حصر التناقض الأساسي فى المجموعتين التاليتين: الكوادر التى تعيش فى ظل النظام ، وبعضها يعيش فى يسر وأحيانا فى رخاء ، ومستوى معيشتهم لا يختلف كثيراً عن ذلك المستوى الذى تعيش فيه البورجوازية ، وهناك صلات وثيقة تربطهم بالعناصر البورجوازية ، وعناصر الطبقة الحاكمة ، وقد تمتد هذه الصلات إلى مجموعة الحكام ؛ وقد يلجأ النظام أحيانا إلى هؤلاء الكوادر « المحترمين » الذين يحوزون ثقته فيعينهم فى بعض المناصب الهامة ؛ وفى الجانب الآخر نجد أولئك الذين لا مورد لهم ، ويعيش هؤلاء فى فقر مدقع حيث لا يختلف مستواهم عن مستوى الجماهير الشعبية فى بلادنا ، وهم وإن كانوا يتمتعون بثقة الجماهير إلا أن النظام « لا ينظر إليهم بعين الرضا » فهم مطاردون أو مراقبون بواسطة البوليس ، وعدد كبير منهم موجود فى السجون والمعتقلات .

من الطبيعى أن يعكس هذا التناقض معظم التناقضات المذكورة عاليه ؛ ومن الطبيعى أن يتبنى البعض وجهة نظر الملاك بينما يدافع البعض الآخر عن وجهة نظر غير الملاك ، وأن يكون البعض أكثر تفهما لمصالح الطبقات الحاكمة على عكس الآخرين المتفهمين لمصالح الطبقات الشعبية ، وأن يصبح البعض أكثر اهتماما بتوثيق الصلات بالسلطة بينما يهتم الآخرون بدعم الصلات بالجماهير وأن يتأثر البعض بالجوانب الإيجابية فى النظام القائم بينما لا يرى الآخرون إلا الجوانب السلبية منه ، وأن يرى البعض ضرورة مساندة النظام

لدعم الانتصارات التى تحققت بينما يحلم الآخرون بالانتصارات المقبلة والتحول الاشتراكي .

إن التحليل العميق للمتناقضات يعنى بصفة خاصة مراعاة الجوانب المتقابلة فى كل تناقض : المتناقضات فى فرنسا مثلا أكثر عدداً منها فى مصر ، والخصومة بينها قطعا أشد لكن الوضع مستقر ، والتغييرات قليلة الوضوح وبطيئة نسبيا بينما يتغير كل شىء فى مصر بسرعة قد تثير الارتباك ، وتتأرجح القوى المتواجهة بين الزيادة والنقص ولا تتوقف الصلات بينها عن التغير ؛ ولا ينطبق هذا على مصر فقط بل إنه ينطبق على الشرق الأوسط كله بتغيراته المتفجرة فهو يعد الآن أكثر مناطق العالم تميعا .

إن عدم تحديد المتناقضات لا يعنى أنها توقفت عن أداء دورها لكنه يمنعنا من اتخاذ موقف واضح منها بحيث يقتصر رد فعلنا على تأمل هذا الجانب أو ذاك ، وإذا ظهرت اتجاهات عامة يمينية أو يسارية نجد التيارين اللذين أشرنا إليهما وإن كانا غير محددين أو لم يتبلورا إلى درجة كافية بسبب عدم تحديد المتناقضات ، وتتأرجح مواقف الحزب بين هذا الاتجاه أو ذاك : تارة فى اتجاه يسارى متطرف، وتارة أخرى فى اتجاه يمينى بطريقة مضطربة أحيانا كثيرة .

يمكننا القول بصفة عامة إن الاتجاه اليمينى هو الاتجاه الغالب بين المجموعة الحاكمة لكن الوضع قد يكون معكوسا فى القاعدة ؛ فيم يظهر هذا الاتجاه اليمينى ؟

موقف استسلامى تجاه البورجوازية فى المواقف التى أشرنا إليها عند الحديث عن التناقض الموجود بين الكوادر العليا للحزب .

إن الاتجاه اليسارى « المتطرف » موجود رغم عدم وضوحه ، والأخطار التى ينطوى عليها فى هذه الظروف أكثر من أخطار الموقف اليمينى ، والموقف الثورى حقا يرتكز على مراعاة المتناقضات واتخاذ الموقف الذى يتيح التغلب عليها ؛ ونحن نرى أن موقف الحزب الشيوعى السورى ، حامى الوحدة المصرية السورية ، الذى يبرز بطريقة بناءة الأخطاء الناتجة عن تراكم السلطات المفرطة فى يد رجل واحد ، هو مثل يحتذى للموقف الصحيح ، ذلك الموقف الذى يتيح تطوير الوضع دون المجازفة بتحقيق أهداف الرجعية .

إننا لا نزعم أننا قد قدمنا حلا للمشاكل فى هذه المذكرة لكننا نأمل أنها ستمهد لها الطريق إلى الحل .

رد الفعل لقرار حل مجموعة روما

فى أبريل سنة ١٩٥٨ ، وعقب معرفتهم ، فى نهاية شهر مارس ، بقرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى بحل مجموعة روما ، عقد أعضاؤها جمعية عامة لمناقشة واعتماد تقرير مقدم من لجنة قيادة المجموعة ، وقد أقروا ، فى هذه الجمعية العامة ، المبادىء والقرارات التالية التى وافقوا عليها بالإجماع :

نـــص القـــرارات

١ ـ احتراما لنظام الحزب ، تحل مجموعة روما كهيئة من هيئات الحزب الشيوعى المصرى بالخارج فورا .

٢ ـ تعبر المجموعة عن أسفها للشكل الذى اتخذت به قيادة الحزب هذا القرار :

أ ـ دون استشارة الزملاء بالمجموعة .

ب ـ دون أية محاولة للوصول إلى حلول أخرى تتفق مع وضع المجموعة الخاص فقد كانت على استعداد سواء للتراجع أو تغيير بعض أنشطتها ، أو تطبيق أساليب عمل مختلفة ، أو اتخاذ أشكال تنظيمية أخرى كما سبق لها أن فعلت مرات عديدة فى الماضى .

جـ ـ عدم وجود أدنى اعتبار أو مراعاة لمشاعر الزملاء بالمجموعة ، الذين عوملوا كأعداء لا كزملاء مع أنهم أعضاء شديدو الإخلاص للحركة الشيوعية المصرية التى ينتمى معظمهم إليها منذ أكثر من عشر سنوات ، والتى كرسوا لها أنفسهم خلال هذه الفترة كلها :

٣ ـ تقر المجموعة مبدأ الاستمرار ، وهى خارج الحزب ، فى بعض المساعدات التى كانت تقدمها أثناء اشتراكها بالحزب :

أ ـ المساهمة المادية الموازية لقيمة الاشتراك .

ب ـ إرسال المنشورات الشيوعية والديمقراطية المتنوعة .

جـ ـ وضع آلاف الأعمال النظرية التى فى حوزتها باللغة العربية وكذا تلك التى يمكنها الحصول عليها تحت تصرف الحزب (هذه القائمة ليست محددة) .

د ـ (غير مقروء) .

٤ ـ الاستمرار فى بذل الجهود بلا كلل :

أ ـ للفصل بين مشكلة وجود أو حل المجموعة ، ومشكلة الاحتفاظ أو فقد صفة العضوية بالحزب الشيوعى المصرى .

ب ـ لتحقيق إعادة النظر فى هذه المسألة ، وذلك بدحض الأسباب المختلفة التى سيقت لتبرير قرار الحل ، وهى اعتبارات قائمة على « كينونتنا » المزعومة لا على « ما نقوم » به من أعمال .

٥ – نظرا لعدم موافقة أى من الأعضاء على النضال فى بلد الإقامة من ناحية ، وأهمية بعض الأنشطة التى لا يمكن تبرير إيقافها من ناحية أخرى ، تقرر المجموعة الاستمرار فى عدد من أنشطتها فى إطار خط الحزب ونظامه وإن كانت خارجه .

٦ – بالنسبة لمشكلة التسمية وتحديد « الماهية » تقرر المجموعة اختيار اسم لا لبس فيه حتى لا يبدو الاستمرار فى هذه الأنشطة كمحاولة لمخالفة قرار الحل وحتى لا نبدو ، بعد الآن ، كممثلين للحزب الشيوعى المصرى بالخارج .

٧ – توجيه نظر الحزب إلى أن التزاماته نحونا لا تنتهى بحل المجموعة لأن هذه الالتزامات مرتبطة بالظروف التالية « لن نذكر إلا أهمها » :

أ – لم يسبق أن وقع على الزملاء بالخارج جزاء ، والاعتبارات التى تبرر قرار الحل لا تمس إخلاصهم ، ولا احترامهم لنظام الحزب ، ولا روح الفداء التى يتمتعون بها ؛ وليس هناك ما يدعو إذن لمعاملتهم كمبعدين .

ب – إن معظم هؤلاء الزملاء موجودون بالخارج عقب إجراءات القمع التى اتخذتها ضدهم الرجعية المصرية .

جـ – إن عدداً منهم ينوى العودة إلى مصر ، عندما تسمح الظروف بذلك ، لاستئناف النضال بها .

د – إن هؤلاء الزملاء يُزاولون بالخارج عدداً من الأنشطة المرتبطة بمصر .

لهذه الأسباب كلها نطالب الحزب بالحفاظ على بعض الصلات بيننا ، وتتبع نشاطنا لأننا بالطبع ، نعتبر أنفسنا ملتزمين بواجبات الأعضاء وإن لم يكن لنا حقوقهم ؛ وهذا يعنى أننا على استعداد لتغيير أو إلغاء بعض أنشطتنا إذا طلبت منا ذلك السلطة التى قد نكون على اتصال بها ؛ كما نطلب من الحزب أيضا إرسال منشوراته إلينا حتى نستوحى منها نشاطنا .

٨ – بدون أدنى شعور بالمرارة واليأس بسبب القرار ، غير العادل فى رأيهم ، الذى يمسهم ، يلتزم الزملاء بالتالى :

- بذل جهود جديدة من أجل قضايا الطبقة العاملة ، واستقلال مصر ، والسلام .
- الاستمرار ، كعهدهم دائما ، فى الإخلاص للحزب الشيوعى المصرى سواء كانوا أحراراً أو معتقلين ، فى مصر أو بالخارج ، داخل الحزب أو خارجه .

يحيا الحزب الشيوعى المصرى .

تحيا الطبقة العاملة الدولية

تحيا الاشتراكية .

كنا قد أحصينا سبع إدارات للمخابرات ينبغى علينا مواجهتها : « بوليس السراى » وكان لدينا ، كما سبق أن قلت ، صورة له « من الداخل » يختلط بها السخرية بالوسواس ، « المكتب الخاص » ضمنيا « لمكافحة الشيوعية » ، وهو ما يوازى « المخابرات العامة الفرنسية » ويديره بالفعل « أخصائيون » ، إدارات السفارة البريطانية ، إدارات السفارة الأمريكية ، وإدارات الجيش البريطانى ، أما السابعة فلا أستطيع أن أتذكرها ؛ هذا بخلاف إدارات السفارات الأخرى قليلة الأهمية نسبيا ، والعون الثمين الذى تقدمه التنظيمات اليمينية المتطرفة وفى مقدمتها الإخوان المسلمون الذين يتيح لهم تنظيمهم فى قلب الجماهير اكتشاف العناصر الشيوعية داخل الجامعة مثلا .

ولنقل هنا إنه بالرغم من هذه المواجهة المستمرة لم يكن « فى صفوفنا أعداء ». فأنا لا أعرف إلا حالة واحدة أبعدت « لممارسة نشاط بوليسى » وقد صدر هذا القرار من القطاع الأجنبى ضد أحد أعضائه ، وأبلغت به اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية ؛ ويدير حاليا هذا العضو مجلة هامة عن العالم الثالث .

ويبقى أنه كان علينا مواجهة تضافر جميع القوى الرجعية النشيطة ، المصرية والأجنبية ، بوسائلها غير المحدودة .

هل حدث « تسلل » إلينا ؟ فى القاعدة بالتأكيد : بعد الوحدة وتطور البناء بجميع مستوياته ، أدارت رءوسنا « نشوة النجاح » وأصبح دخول الحركة الديمقراطية يتم بدون رقابة جدية ، ولو كان لدينا عدد كاف من الكوادر لضممنا إلينا آلافا من المصريين ، ففى ظل الظروف الراهنة ، ومع محاربة جهاز الدولة المستمرة له جمع حزب اليسار مائة وخمسين ألفا من الأعضاء فى عدة أشهر .

لكن أقسى المصاعب هى تلك التى أتتنا من قلب اليسار سواء فى مصر أو فى العالم العربى أو فى أوروبا : سبق أن تحدثت عن انقسام الحركة الشيوعية المصرية ولن أعود إليه إلا فيما بعد عند الحديث عن الفترة التى تدخل فيها قسم الشرق الأوسط بالحزب الشيوعى الفرنسى فى شئوننا وزاد من انقسامنا .

وفى العالم العربى كانت العداوة مؤكدة وإن كنت لا أعرف على وجه التحديد ما يؤخذ علينا ؛ من المحتمل أننا لم نكن « نبدو جادين » إذ لم يكن لدينا ـ الحركة الوطنية والحركة المصرية ـ ضمان دولى ، وكنا نمثل مجموعة « ولدت عفويا » واعتبرت « برية » لهذا السبب .. ولصعوبة تحليل هذا الخليط من القوة والضعف الذى نتميز به ، حُمِّلْنا مسئولية ضعفنا وأُرْجِعَت الانتصارات الأكيدة للجماهير المصرية إلى الوفد وحركة الجماهير التلقائية والظروف الملائمة التى لا يعود الفضل فيها إلينا إلخ .. وقبل كل شيء إلى الخصومة « الانجليزية الأمريكية » الشهيرة التى تُفَسَّرُ بها جميع المنعطفات السياسية فى بلاد الشرق الأوسط .

أما فى أوروبا فقد تطورت العداوة بعد ذلك ، وبالنسبة لبريطانيا العظمى لم يكن هناك بالطبع وجه للمقارنة بين الحركة المصرية وإسكرا المؤلفة من عناصر تربطها بها صلات شخصية ، وهى عناصر تجيد عدة لغات على رأسها الانجليزية وتتميز بالذكاء بالإضافة إلى درايتها الكاملة بالنظرية الماركسية ، أما الحركة المصرية فلم تكن تعرف منها إلا مجموعة صغيرة جداً لا يمكنها أن توازى إسكرا فى الأهمية .

وبالنسبة للمصريين الذين قد يتاح لهم اللقاء بهم فهم أيضا لا يوازون إسكرا أهمية ، وذلك من ناحية الإمكانات التى يحوزونها ، وقبل كل شيء عدد ما درسوه من أعمال عن النظرية الماركسية ، لقد كان بناء إسكرا « بدوراته » الدراسية يبدو لهم أكثر متانة كما أن إسكرا تتفوق كثيرا علينا « بمواقفها » التقليدية :

* نضال إلحادى .

* عمل أكثر فعالية داخل القوات المسلحة المتحالفة .

حقا ، إننا لم نكن أكفاء .

وبعد الوحدة ، أصبح لنا بعض الاعتبار ، وبدا أننا تغلبنا على الانقسام بصفة نهائية حيث أصبحت الوفود إلى المؤتمرات الدولية ، منذ ذلك الحين ، « موحدة » .

إن مايو سنة ١٩٤٨ قد صُوِّرَ على أنه فشل نهائى للشيوعيين المصريين ، وأصبح على « الأحزاب الكبرى » بعد الانقسام الذى بدا وكأنه لا رجعة فيه ، توفير البديل : عناصر جادة يتوافر لها الإعداد ، وسنجد أن هناك :

* مفهوماً خاطئاً « للفشل » فقد احتاج الأمر ، بعد « تصفية » الحركة الديمقراطية ، إلى إشعال النار فى القاهرة لتصفيتهم مرة أخرى ؛ لم يسبق لهم قط أن قاموا بدور هام وحاسم كهذا .

* مفهوما خاطئا للبديل : لأن « الإعداد » الذى تلقته المجموعة المصرية بباريس لا يؤهل عنصرا مهما كان لامعا ، ومهما بدا وطنيا ، بالمقارنة بيونس مثلا لقيادة حزب شيوعى أنشىء على أسس ثقافية مجردة ، وهذا رغم الورقة الرابحة التى تمثلها آنذاك مساندة الأحزاب الشيوعية الفرنسية والإيطالية وقد يكون هناك غيرها إلا أننى لا أعلم شيئا عنها .

إننى لأذكر كتيبا صغيرا يُذْكر فيه اسمى كل سطرين أو ثلاثة سطور مقرونا « بأجمل » الصفات : عميل المخابرات الأمريكية ، تروتسكى ، سوقى ، منحرف ، عميل المخابرات البريطانية ، هذيان شفوى حقيقى ! إننى فخور بأن أعلن أن وثائق الحركة المصرية والحركة الديمقراطية لم تستخدم قط هذه التعبيرات ، وقد أدى « انعزالنا » بالفعل إلى عدم تأثرنا ببعض الإضطرابات الموجودة فى الحركة العمالية آنذاك .

ولكن كيف السبيل إلى منع « الأحزاب الكبرى » من الاعتقاد بأن الأفراد الذين « أعدتهم » والذين يمثلون مفاهيمها الخاصة قد يكونون على خطأ ؟ لقد قام أولئك ، بدون

مشاركة سابقة فى النضال بمصر ، بإنشاء « حزب شيوعى مصرى » بعد عودتهم ، وتَجَمَّع فى هذا الحزب ، بصفة أساسية ، العناصر المثقفة التى كان معظمها ينتمى إلى الحركة الديمقراطية ثم تركوها لأسباب مختلفة ؛ وكان المؤسسون فخورين بمساندة « الأحزاب الشقيقة الكبرى » وباللافتة الساحرة « الحزب الشيوعى المصرى » وراحوا يسجلون عدة نقاط لصالحهم حتى يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكان ذلك يحدث بطريقة هادئة للغاية فهم لم يشاركوا بفعالية فى أحد الأنشطة : النقابات ، حركة السلام وإن أعلن بعض الأعضاء انضمامهم إلى الحزب الشيوعى المصرى ، المظاهرات الشعبية ، وتنظيم الضباط الأحرار ، وقد بدأ الصراع العلنى مع هذا التنظيم الأخير فور استيلائه على الحكم فى سنة ١٩٥٢ ، ومنذ ذلك الحين وهم لا يضيعون دقيقة بدون مهاجمة الضباط الأحرار باعتبارهم عملاء أمريكيين فقد زعموا أن استيلاءهم على السلطة ماهو إلا نتيجة للنشاط الأمريكى ، وهذا الادعاء قريب الشبه بالنظرية التى تفسر كل ما يحدث فى الشرق الأوسط بالصراع بين الانجليز والأمريكان ، وقد وافق على هذا الرأى بالطبع الحزب الشيوعى الفرنسى وكذا بعض الأحزاب الشيوعية الأخرى فحدث ضغط مكثف على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى كانت تعلم الحزب الشيوعى الفرنسى بنشاطها داخل تنظيم الضباط الأحرار ، وترسل إليه بانتظام مذكرات إخبارية : عند فوز محمد نجيب ، مثلا ، برئاسة نادى الضباط ضد مرشح فاروق فى الانتخابات التى أتاحت للضباط التحقق من نفوذهم الذى جاوز أكثر التقديرات تفاؤلا ، بخلاف جميع منشورات الضباط الأحرار بما فيها منشورهم عن « الحرب البكتريولوجية الأمريكية فى كوريا » الذى كان من الصعب إرجاعه ، بالرغم من مكيافيلليته ، إلى المخابرات الأمريكية فهو على العكس يظهر تأثيرا شيوعيا داخل تنظيم الضباط الأحرار . لكن لم يكن هناك فائدة ، فقد أدين الانقلاب الفاشى ، الموالى لأمريكا صراحة فى مصر وأوروبا فالضباط الأحرار لم يكن بينهم عضو بالحزب الشيوعى الفرنسى ، وبالتالى لم يكن بينهم « شيوعيون حقيقيون » .

رسالتان من هنري كورييل
إلى نعومي كانل من مايو
- يونيو ١٩٥٧

وهنرى الذى تعرف على الماركسية عن طريق أخيه راؤول ، تعرف أيضاً على شيوعى سويسرى كان صديقاً لراؤول ، وكان يعمل مدرساً بالمدارس الثانوية المصرية هو جورج بوانتى الذى كان - عندئذ - فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان عضواً بحزب العمل السويسرى ، وكان قد نظم حلقة لدراسة الماركسية ضمت بعض أصدقائه الأجانب والمصريين . وكان تأثير بوانتى على هنرى كوربيل كبيراً . فهو الذى أقنع كوربيل بعدم جدوى الإغراق فى الجدل النظرى وضرورة الانتقال إلى العمل السياسى ، ودربه على طريقة تجميع أكبر عدد ممكن من الأفراد حول أهداف تعبوية بسيطة . كان بوانتى أستاذ هنرى كوربيل فى « الجبهوية » التى أتقنها هنرى - فيما بعد - وجعلت خصومه السياسيين يصفونه بالانتهازية . وكان بوانتى هو الذى صنع من هنرى شيوعياً ، وظل هنرى كوربيل يكن له كل تقدير ، فحزن لموته فى الجبهة الفرنسية التى تطوع للقتال فيها ضد النازية ، وكان أول اسم مستعار استخدمه عند دخوله فرنسا سراً عام ١٩٥١ هو « بوانتى » .

وهكذا ، مع بداية الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر حلقات دراسة الماركسية التى تضم عشرات من أبناء البورجوازية اليهودية وبعض المصريين من أبناء البورجوازية الكبيرة ذوى الثقافة الأجنبية ، بالإضافة إلى بعض اليونانيين والإيطاليين الذين مالبثوا أن شغلوا بقضايا بلادهم ، وكونوا حلقاتهم الخاصة بهم . الجميع يعكفون على دراسة الماركسية دون دخول مرحلة التنظيم . ولكن ما لبثوا أن وجدوا أرضية مشتركة تمثلت فى النضال ضد الفاشية من خلال « الاتحاد الديمقراطى » الذى تأسس عام ١٩٣٩ بجهود **راؤول كوربيل وجورج بوانتى ومارسيل إسرائيل ، والإيطاليين ساندرو روكا وباجيلى ،** واليونانى كيبريو ، وأحمد الأهوانى وانضم هنرى كوربيل إلى الاتحاد ، الذى استأجر مقراً خاصاً به ، يضم قاعة محاضرات ، وصالات اجتماعات ، ومكتبة ، ولما كان نشاطه موجها ضد الفاشية فقد تحمل دانييل كوربيل (والد هنرى) نفقات الإيجار .

كذلك شارك هنرى كوربيل فى تأسيس « جمعية الصداقة الفرنسية » التى تناصر « فرنسا الحرة » ، وتؤيد الجنرال ديجول ، وكانت روزيت (زوجة هنرى) تعمل بها بالإضافة إلى عملها بمكتب بعثة فرنسا الحرة بالقاهرة ومكتبة « الميدان » .

ومكتبة « الميدان » هى الأداة الثالثة للعمل العام التى لجأ إليها هنرى كوربيل ، وهى مكتبة للأدوات المكتبية وبيع الكتب ، أقنع هنرى والده بافتتاحها بميدان مصطفى كامل لبيع الكتب الأجنبية ، واستخدمها هنرى كوربيل لترويج الأدبيات الماركسية - أساساً - فكان يستورد الكتب من انجلترا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وفيما بعد ستلعب المكتبة دوراً فى تقديم سلسلة من الكتب العربية والمعربة للتعريف بالماركسية . وكانت المكتبة (التى تأسست فى يونيو ١٩٤١) تلعب دوراً هاماً كحلقة اتصال بين جنود الحلفاء الماركسيين من مختلف الجنسيات ومن بينهم جنود الفرقة اليهودية التى كونها

من هنرى كورييل إلى نعومى كانل « فى السجن »

١٩٥٧/٥/١٠

الزميلة والصديقة العزيزة :

كم أنا سعيد بإمكان مراسلتك ؛ لقد عرفت أن معنوياتك مرتفعة ، وأنك تدبرين أمورك بحيث تستطيعين القيام بعمل مفيد ، وهذا أمر لم أكن لأشك فيه ؛ لكن التعب الجسمانى قد عاودك مرة أخرى ، يجب حتما أن تستعيدى صحتك ، ولا يكفى لهذا الغرض، الاعتماد على الأطباء ، بل ينبغى أن تقومى بجهد فى ملاحظة أحوالك حتى تتبينى الظروف التى تسوء أو تتحسن فيها صحتك .. فالصحة لا يجب التهاون فيها لأننا جميعا بحاجة إليك بكامل العافية .

أعرف أنك سعدت بعودة يونس وأعتبرنى مدينا لك جزئيا بهذا ، ويكفى أنك ، عند عودتك ، أعدت الصلات التى تربطه بالعائلة [1] ومن يدرى .. ربما لو عجزت عن ذلك لانتهى الأمر برفاقه إلى الاقتناع بعدم جدوى مواجهة الصعاب من أجل إعادته .

لهذه العودة أيضا معان سياسية طيبة ، فهى تشير إلى ضعف التيارات المتطرفة داخل الحزب ، ولا يمكن من هذه الناحية الاستهانة بأن الحزب الشيوعى المصرى الموحد هو الوحيد فى الشرق الأوسط العربى (لأن هذا موجود فى الدول العربية بشمال أفريقيا) الذى يقبل عودة عنصر يهودى لقيادته ، وهى تعنى أن وحدة الحزب الداخلية متينة ، وأن سياسة الوحدة مثمرة ولا ينبغى أن « نخشاها » .

فيما يتعلق بالوضع السياسى ، أعرف أن هناك بعض الخلافات مع قيادة الحزب ، وإن كنت لا أعرف امتدادها داخل الحزب ، لكن هناك خلافا تحليليا من الصعب معالجته كتابة بعد هذا البعاد الطويل ، وبسبب الجهل بالظروف التى بنى عليها كل طرف موقفه ؛ ومع هذا أسمح لنفسى بأن أخبرك ببعض ما يدور بخلدى :

---

(١) يقصد بذلك حدتو ، وربما كان الحديث هنا عن المقعد الذى حصل عليه فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الموحد الذى لن يلبث أن يفقده .

أ ـ أنت تعرفين أن موقفى من النظام القائم كان دائما إيجابيا ، حتى أننى تراجعت عن الاشتراك فى النشرة التى يصدرها الحزب عندما أخذ الحزب خط المعارضة المطلقة له ، فظهرت النشرة فى صورة جديدة للدفاع عن هذا الخط .

ب ـ لكننى لا أعتقد أن النظام يمثل حقيقة القيادة التى تحتاجها مصر :

* فإن انتصارات مصر لم تبدأ مع تغيير النظام ، بل مع ازدياد مشاركة الشيوعيين فى قيادة الجماهير الشعبية .

* إن تغيير النظام نفسه يعود فى جوهره إلى عمل الشيوعيين ، حيث أن عملهم بين الجماهير أضعف النظام السابق ، كما أتاح للعناصر الواعية من البورجوازية الوطنية تنظيم أنفسهم وتحديد أهدافهم الوطنية التى لم تكن طائفية ضيقة كأهداف الضباط فى البداية : الإصلاح الزراعى والجمهورية ، ومقاومة الأحلاف العسكرية الخ .

* إن النظام يقود مصر إلى التقدم فى حدود ضغط الجماهير الذى يمارس بدوره عندما يقوم الشيوعيون بدورهم القيادى فى توجيههم ؛ وفى الفترة التى ترك فيها النظام وحيدا لم يحْسَب له إنجاز واحد بخلاف سياسة القمع والإرهاب .

* لكنه وإن قاد سياسة وطنية استقلالية ـ إلى حد ما ـ إلا أنه لا يزال يعمل لصالح الرأسمالية المصرية أساسا ؛ لا أستطيع الإفاضة فى هذا لكن يكفى مثال واحد : بعد فشل العدوان ، وُضِعَت تحت الحراسة « ممتلكات بعض الرعايا » (الأعداء)، ولا أرغب فى التعليق على الطريقة التى تم بها تنفيذ هذا الإجراء لكننا أيدناه ، ومع هذا فقد أسيىء تطبيقه كالعادة ، إذ ذهبت هذه الممتلكات إلى الرأسماليين المصريين المستعدين دائما للتنازل عن استقلال مصر لا للدفاع عنه ، وقد حصل عليها هؤلاء الرأسماليون ـ الذين لم يقدموا تضحية واحدة من أجل مصر ـ بشروط تافهة لا تضر المالكين السابقين بقدر ما تلحق الغبن بالشعب المصرى ؛ أليس بديهيا أن عمل الشعب هو خالق هذه الثروات ؟ وأن مقاومته بالداخل هى العنصر الأساسى فى فشل العدوان ؟ وأنه هو الذي تحمل ثقل هذا العدوان وقدم التضحيات وواجه المصاعب ؟ هذا مثال يبرز أسلوب النظام فى محاباة البورجوازية على حساب الشعب .

* وأخيرا فإننى أعتبر النظام عاجزا عن حل مشاكل مصر على الصعيد الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، فهو غير قادر على التقدم خطوات لتعويض مصر عن تخلفها ، وغير قادر على **تثبيت** مستوى معيشة الشعب المصرى رغم انخفاضه الشديد : انظر أرقام الدخل القومى الثابت منذ عام سنة ١٩٥٢ ، والمتناقص بالنسبة للأفراد .

لا أريد الاستطراد فأنا أعتقد أننى أعطيتك فكرة عن تصوراتى ، وستلحظين أنها لم تتغير منذ عام ١٩٥٢ ؛ إن النظام له مزايا ، فى حدود تكوينه الطبقى ، وأيضا فى الحدود التى تفرضها ظروف وطنية ودولية معينة ، ولا أود أن تستخلصى من أقوالى أننى أعترض

على تأييد حزبنا للنظام ، فنحن ننقل هذا التأييد إلى الخارج بكل إمكاناتنا التى لا يستهان بها .

إن الخلافات لا تزال قائمة : فى تحليل الصلات بالبورجوازية الوطنية ، وفى تحليل هذه المرحلة من مراحل الثورة ، فى مضمون الدعاية والبرنامج ، وارتباط الأهداف الوطنية بالأهداف الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك حول موقف النظام من السياسيين الذين صدرت ضدهم أحكام إلخ ...

أعود فأكرر أننى مقتنع أن المناقشات المطولة ستؤدى إلى اتحاد كامل فى وجهات نظر أغلبية أعضاء الحزب ، ولكن يجب توقع صراع أيديولوجى مكثف ضد التيارات الوطنية - البورجوازية التى لا يستهان بها ، سواء داخل حزبنا أو فى الحركة الشيوعية المصرية .

ما كان بودى أن أتحدث كثيرا عن « السياسة العليا » فى خطابى الأول ، بل كنت أفضل أن أتناول فيه مسائل ملموسة ، لكن هذا أمر مؤجل بما أننا سنتراسل بانتظام من الآن فصاعداً ؛ حتى ذلك الحين أرجو إبلاغ مشاعرى الحارة وكذا مشاعر جميع أفراد مجموعة روما إلى الزملاء ؛ أما أنتِ فلكِ أطيب التمنيات بالشفاء العاجل ، ونرجو أن تعتنى تماما بصحتك مع إعجابنا بموقفك وسلوكك ؛ وأخيرا أرجو أن تقبلى بالغ شكرى وإخلاصى .

أما عن الأخبار فلن أعطيكِ منها هذه المرة سوى ما يخص عائلتك ، وهى أخبار قليلة لكننا سنقوم باللازم من أجل الحصول على معلومات حديثة : والدكِ بخير وقد أرسلنا إليكِ خطابا منه منذ حوالى شهر ، وإننى مندهش لعدم وصوله إليك ؛ على كل حال سنرسل من الآن فصاعدا صورة من الخطابات إلى مارى ؛ وبالنسبة لأخواتك فإن بولا تظهر شيئا من اللامبالاة على العكس من أليس التى تراسلنا بخصوصك باستمرار ، وكنا للأسف قد حُرِمْنا أخبارك لمدة طويلة لكن الوضع سيتغير الآن .

يونس

من هنرى كوربيل إلى نعومى كانل (فى السجن)

م/٢ - (٤٨)

٧ يونيو سنة ١٩٥٧

عزيزتى ليلى :

فرحت جدا بخطابك رقم ١ « من السلسلة الجديدة » كما فرح به جميع من قرأه .

١ - أرسل بالبريد نفسه خطاب إلى أليس ، وخطاب آخر إلى إينا « المقيمة الآن بميلانو » لإطلاعهما على أخبارك ، وقد بعثت إلينا أليس بكراسة موسيقى قمنا بإرسالها إليك .

٢ - أثار الوصف القصير لنشاطك إعجابنا الصادق .

٣ - المعتقلون الفلسطينيون(٢) : الأخبار مفيدة للغاية ، ونحن نرسلها فورا إلى إيلى ، نرجو الاستمرار مع ذكر تفاصيل أكثر : أسماء المطلق سراحهم ، سبب إطلاق سراحهم : انتهاء العقوبة أو تخفيفها ، عدد وأسماء الباقى منهم فى السجون ؛ لقد كتب شقيق كوليت ، عند وصوله ، إلى أسعد مكى لإبلاغه بأخبار أخيه الموجود فى السجن ، وتلقى منه رداً مؤثرا للغاية ؛ هل أطلق سراح أخيه ؟ بوسعنا نقل الأخبار إلى الجهتين إذا كان للمعتقلين الآخرين أُسَر فى إسرائيل .

إننى أرد باختصار على بعض أسئلتكِ إلى أن أتمكن من إرسال رد أطول عليها جميعا .

٤ - ليبيـــا (٣) .

أ - فيما يتعلق بوجودها ، ليس هناك تغيير فى الموقف إلا من جانب المتطرفين السوريين واللبنانيين الذين يتعرضون لنقد الجميع ، وقد أرسلنا بهذا الخصوص مذكرة بسلسلة من تصريحات الاتحاد السوفييتى الرسمية قبل وبعد العدوان : الموقف المبدئى هو نفسه المحدد فى مذكرة ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦ الشهيرة أى « حل دائم وسلمى للمسألة الفلسطينية على أساس مقبول من الأطراف المعنية مع مراعاة المصالح القومية العادلة لدول المواجهة » :

ب - بالنسبة للحزب(٤) هناك ، فإن العالم كله يحتفى به بفضل موقفه المبدئى الثابت من العدوان ، وفيما يلى ماجاء فى عدد ٢ يونيو من لومانيتيه عن المؤتمر المنعقد : « أنهى المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى الإسرائيلى أعماله بعد ثلاث جلسات خصصت للتقارير

---

(٢) يقصد الإسرائيليين الذين كانوا محبوسين على ذمة بعض قضايا الأمن القومى من بينها التجسس ، وقد أشار جيل بيرو إلى وجود هؤلاء بسجن القلعة عام ١٩٥٧ ، وتعاون مندوبة « مجموعة روما » معهم فى أكثر من موضع من كتابه سالف الذكر .

(٣) اسم كودى يستخدمه هنرى كوربيل ليعنى به « إسرائيل » .

(٤) يقصد الحزب الشيوعى الإسرائيلى .

والمناقشات الموسعة ، وقد أبرزت هذه المناقشات نضال الحزب الشجاع ضد سياسة الحرب التى ينتهجها التحالف الحكومى ، كما أوضحت الأخوة الفريدة التى حققها النضال بين اليهود والعرب داخل صفوف الحزب .

وقد ساد المؤتمر الإيمان بالدولية العمالية ، والثبات على المبادىء ، والوعى الكبير بالدور القائد للطبقة العمالية بقيادة الحزب الشيوعى » .

جـ - إن السلاح الهام فى يد الدوائر العدوانية بإسرائيل يرتكز على التصريحات الاستفزازية لبعض القادة العرب ، وعلى أعمال « الفدائيين » الاستفزازية ، والسلاح المتين الذي يمكننا حيازته ضد هذه الدوائر هو تأكيد وتنمية قوى السلام فى البلاد العربية .

٥ - العفو عن المعتقلين السياسيين : أبلغتنا نور أنها كتبت إليكِ عن هذا الموضوع المدرج فى جدول الأعمال ، وهو فى رأيى **يرتبط** بنضال الحزب فى كل المجالات ، ولقد أرسلنا مرتين على الأقل تقريراً حوله ، لكن يبدو أنه لم يصلكم ؛ وقد شرحنا ، من جانبنا ، أن الظروف القائمة ، (التى يتطلب شرحها وقتا طويلا) لا تتيح لنا **بدء** عمل ما ، وإن كنا نتعهد بمساندة أى عمل يمكن قيادته فى مصر نفسها ، ولهذا السبب اكتفينا إلى الآن بلفت النظر إلى أمر يبدو غير معقول وهو عدم إطلاق سراح المعتقلين الشيوعيين فى مصر ، لأننا ، منذ التأميم [٥] ، لم نستطع القيام إلا بعمل إعلامى ، وعلى كل حال لم يمر بعد ، عام ونصف العام على آخر « وأكبر » حملة قمنا بها من أجل العفو عنهم .

٦ - وبالنسبة للتأميم ، سأقول لكِ رأيى بصراحة آملا ألا يصدمكِ :

أ - منذ أكثر من ٤٥ عاما والتأميم مطلب دائم للحركة الوطنية المصرية ، وقد طالبت به أيضا الحركة الشيوعية « حتى أننا قمنا بإعلانه فى نشرتنا بروما » ومع هذا لا أزال مصرا على أن لطريقة وشروط تنفيذه نتائج مؤسفة جداً ، كان يمكن تفاديها ، بالنسبة لمصر فهى قد عرضت استقلالها للخطر ، وكذلك عرضت جميع الانتصارات الشعبية فى العشر سنوات الأخيرة للخطر .

ب - إن وقف التدخل حدث بفضل عدة عوامل ، وكان الأساس هو الانشقاق القائم فى المعسكر الامبريالى بين فرنسا وانجلترا الراغبتين فى استعادة سيطرتهما على الشرق الأوسط من ناحية ، والولايات المتحدة التى رأت فى انتصار حلفائها خطرا على نفوذها ، وقد أتاح لها هذا الانشقاق التدخل بكامل ثقلها لوقف القتال دون المجازفة بصراع عالمى .

- لا يمكن الحديث عن مقاومة عسكرية مصرية (يعطى مقال حديث بروز اليوسف بعض الإيضاحات الصادقة لأول مرة فى مصر عن الجانب العسكرى للتدخل) ، ومع هذا

---

(٥) يقصد تاميم قناة السويس .

فإن إصرار الشعب المصرى على الكفاح من جهة ، ومساندة الرأى العام العالمى من جهة أخرى ، قد أديا إلى استمرار النظام فى المقاومة ، الأمر الذى أتاح التدخل الأمريكى .

جـ - إن هذه الفترة تؤكد أن البورجوازية ليست دليلا أمينا فعالا أو شجاعا للشعب المصرى ، وهى تؤكد أيضا أن رجلا « مرسلا من العناية الإلهية » ليس بكافٍ لحل مشاكل الأمة المصرية .

إن البطولة ، داخل مصر ، موجودة فى الشعب ، فى الطبقة العمالية وفى الفلاحين ، إنها لم تظهر أبداً فى البورجوازية ، ويصح هذا القول بصفة خاصة عن الفترة الحديثة .

آمل ألا يصدمكِ ما أكتبه ، ولا تظنى أننى أوصى بتغيير سياسة حزبنا ، فأنا أنصح فقط بإجراء بعض التعديلات فى بعض المواقف ، وعلى كل حال فإن الضرر الناتج عما أعتبره الآن تطرفا ، أقل منه كثيرا فى الفترة السابقة عندما كنا فى موقف المعارضة التامة للنظام .

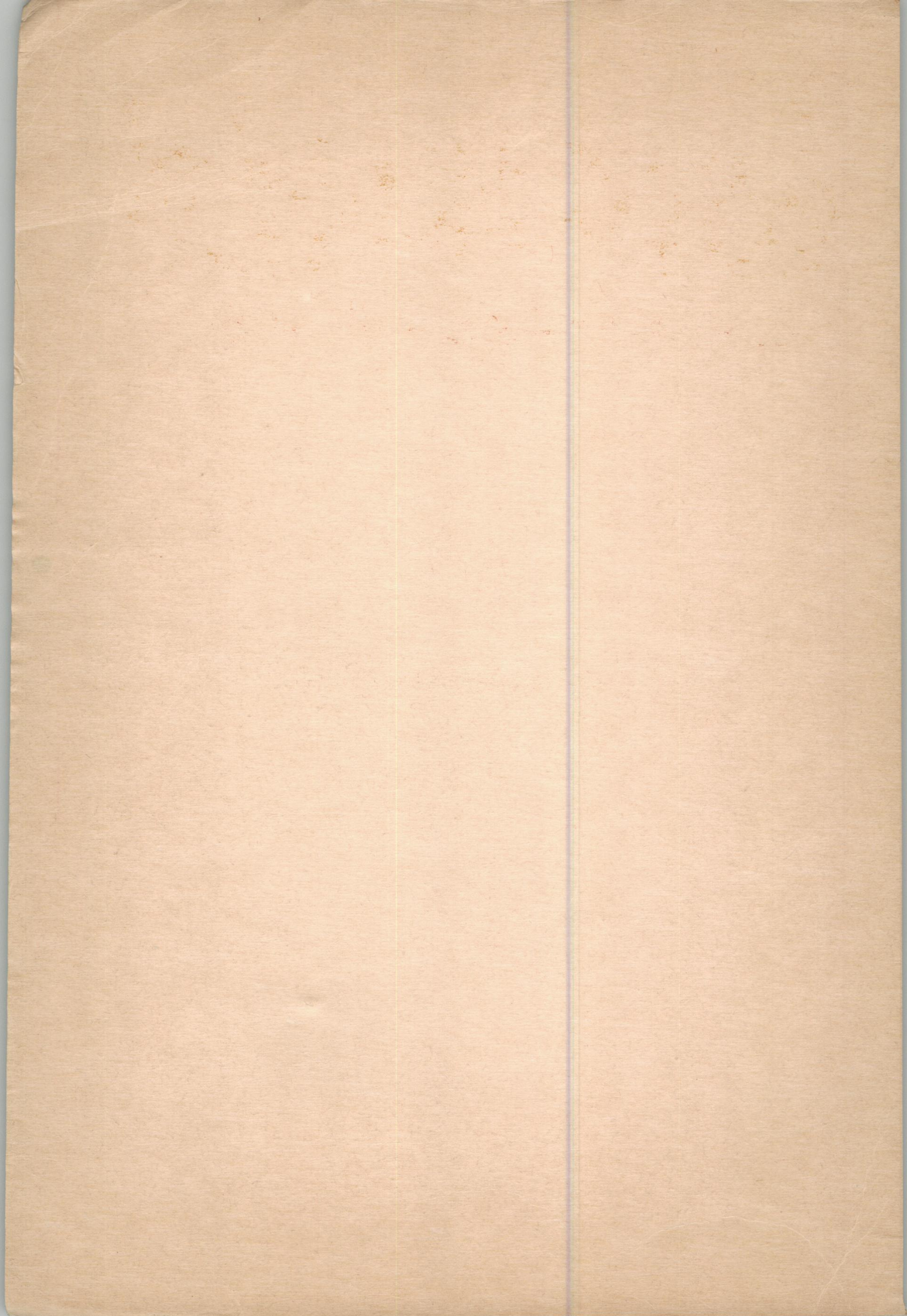
أرسل إليكِ ، ياعزيزتى ليلى ، إعجابى وإعجاب جميع الزملاء بسلوككِ ، فهو ينطوى على قدر من البطولة أكبر مما تصفين به بعض القادة البورجوازيين وأكبر مما تصفين به من سيظل على الدوام زميلكِ المخلص .

يونس

محتويات الكتاب


مطبعة اطلس
imprimerie atlas
LE CAIRE: 11-13 RUE SOUK EL TEWFIKIEH, R.C.100731, TEL: 747797
القاهرة : ١١-١٣ شارع سوق التوفيقية س.ت ١٠٠٧٣١ ت ٧٤٧٧٩٧

رقم الايداع ١٩٨٨/٢٠٢٢



الصهاينة فى فلسطين للخدمة فى صفوف الحلفاء ، فكانت العلاقات وثيقة بين « مكتبة الميدان » وأولئك الجنود الذين كانت المكتبة توافيهم بالكتب الإيطالية والألمانية المعادية للفاشية لتوزيعها على الأسرى الإيطاليين والألمان فى معسكرات الاعتقال . وقد خص هنرى كورييل أولئك الجنود الصهاينة بالتقدير لما بذلوه من جهود للتعاون مع « المكتبة » ، وسوف تظل علاقة هنرى كورييل بالصهيونية من النقاط التى تثير التساؤل ، والتى سنعود إليها فيما بعد .

وكانت مجلة « حرية الشعوب » هى الأداة الرابعة للعمل العام التى لجأ إليها هنرى كورييل ، التى استأجرها من صاحبها عن طريق « عبده دهب » السودانى الذى تعرف عليه هنرى من خلال بعض الخدم النوبيين الذين يعملون بقصر والده ، وعن طريق عبده دهب أقام صلات متينة مع بعض الطلبة والعمال السودانيين فى مصر . ويبدو أن عبده دهب ساعد هنرى كورييل على التعرف على الأوساط الشعبية المصرية أيضاً ، بقدر ما ساعده - على حد قوله - فى الحصول على نسخ من تقارير الأمن التى ترد إلى السراى عن النشاط الشيوعى ، عن طريق أحد معارف عبده دهب ممن كانوا يعملون فى خدمة أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى .

على كل ، تولى عبده دهب مسئولية مجلة « حرية الشعوب » وجند المحررين الذين يكتبون فيها ، ومن بينهم النوبى عبد الرحيم ، صلاح عرابى الذى قدم هنرى كورييل للضابط المصرى محمد نجيب (اللواء محمد نجيب فيما بعد) عندما أراد الأخير التعرف على موقف الشيوعيين من القضية السودانية ، وعندما أوقف البوليس السياسى مجلة « حرية الشعوب » . استأجر عبده دهب مجلة أسبوعية أخرى هى « أم درمان » حملت بعد إصدارها الجديد عنوان « أم درمان - نضال مشترك » ، وأصبحت هذه المجلة أداة « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » - المنظمة الشيوعية التى أسسها هنرى كورييل عام ١٩٤٣ للعمل بين السودانيين ، وحولها التفت الكوادر التى كونت - فيما بعد - « الحركة السودانية للتحرر الوطنى (حستو) » التى تحولت إلى « الحزب الشيوعى السودانى » . ودافعت المجلة عن حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره بعد التحرر من سيطرة الإمبريالية ، ونادت بالنضال المشترك للشعبين المصرى والسودانى ضد السيطرة الإمبريالية .

وكانت الأداة الخامسة للعمل العام تتمثل فى توزيع المنشورات - عند اقتراب الألمان من العلمين - التى تندد بالفاشية ، وتنبه المصريين إلى أن الألمان ليسوا أفضل من الإنجليز ، وتدعو المصريين لمقاومة الزحف الألمانى ، فى الوقت الذى كان فيه الرأى العام المصرى مهيئاً للترحيب بالألمان باعتبار أن « عدو الإنجليز صديق للمصريين » وكانت تلك المنشورات يكتبها بعض أصدقاء جورج بوانتى من المصريين ، ويقول هنرى كورييل إنه وجورج

أوراق هنري كورييل

والحركة الشيوعية المصرية

الحركة الشيوعية رافد هام من روافد العمل السياسي في مصر منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين، ظل يشق طريقه بإصرار رغم الحظر القانوني ومطاردة أجهزة الأمن على مدى ما يزيد على نصف القرن، حتى أصبح سمة من سمات تاريخ مصر المعاصر.

ورغم أصالة وأهمية الحركة الشيوعية المصرية، لعبت سياسات القمع والمطاردة دوراً خطيراً في تبديد وثائقها التي لا يمكن كتابة تاريخ دقيق للحركة بدونها، فلم يبق منها إلا أوراق متناثرة هنا وهناك في أيدي المناضلين الذين استطاعوا إنقاذها، لا يجد المؤرخون مناصاً من الرجوع إليها إذا ما أسعفهم الحظ بالعثور عليها، وخاصة أن أرشيف وزارة الداخلية - الذي يضم مضبوطات التنظيمات الشيوعية - مغلق في وجوه المؤرخين.

ومن هنا تأتي أهمية الأوراق التي يضمها هذا الكتاب، فصاحبها - هنري كورييل - مؤسس تنظيم من أهم التنظيمات الشيوعية في مصر فيما بين ١٩٤٣ - ١٩٦٥ وهو [illegible] التي يدور حولها جدل كبير، ويروي لنا في هذه الأوراق جانباً من [illegible]ـية، ويقدم تقاريراً تؤرخ للحركة المصرية للتحرر الوطني، والحركة الديمقراطية للتحرر الوطني /حدتو/، والمراسلات التي بعث بها للتنظيم أثناء وجوده بالمنفى.

وتتصدر الكتاب دراسة للدكتور رؤوف عباس تلقي الضوء على دور هنري كورييل في الحركة الشيوعية المصرية، وتقدم قراءة نقدية لهذه الأوراق الخطيرة.

بوانتى قاما بتوزيع أربعة آلاف نسخة من هذه المنشورات ليلاً بالأحياء الشعبية .

هكذا كانت مجالات العمل العام التى أقدم عليها هنرى كورييل محدودة للغاية ، مقصورة على دائرة الأجانب ، وبعض السودانيين بعيدة كثيراً عن مجال الاحتكاك بالمصريين . حقاً ، ربما عرف هنرى بعضهم من خلال « الاتحاد الديمقراطى » ولكن هؤلاء ينتمون إلى النخبة المثقفة ثقافة أجنبية ، أما بقية طبقات الشعب المصرى فلم يكن يعرف هنرى عنها إلا ما يعرفه عابر السبيل ، فقد كان يعيش حينئذ فى « الجيتو الأوروبى » ـ على حد تعبير جيل بيرو ـ أو عالم الجاليات الأجنبية المغلق الذى لا يعرف شيئاً عن واقع الشعب المصرى ولا يريد حتى أن يعرف ، وكل ما كان يهمهم ـ عندئذ ـ هو مساندة الإنجليز والحلفاء ضد الفاشية ، وبصفة خاصة اليهود منهم ، ومن بينهم ـ طبعاً ـ هنرى كورييل .

غير أن هنرى تعرض لتجربة فتحت عينيه على حقائق لم يكن يدركها ، فقد تم اعتقاله فى يونيو ١٩٤٢ بمعتقل الزيتون مع خمسين من ذوى الميول الفاشية ، اعتقلوا بموجب قانون الأحكام العرفية وكانوا جميعاً من المصريين ، ولما كان هنرى كورييل قد اختار الجنسية المصرية عند بلوغه سن الحادية والعشرين (عام ١٩٣٥) بحكم مولده فى مصر ، وتنازل بذلك عن جنسيته الإيطالية ، فقد أودع معتقل الزيتون مع المصريين ، بينما لو كان لا يزال محتفظاً بالجنسية الإيطالية لأودع معسكرات الاعتقال المخصصة لرعايا إيطاليا (كما حدث لمارسيل إسرائيل الذى لم يفرج عنه إلا بتدخل ممثل فرنسا الحرة فى مصر) .

ورغم أن اعتقاله لم يدم أكثر من ستة أو سبعة أسابيع ، نظرا لتدخل والده ـ عن طريق معارفه من كبار المسئولين ـ لإطلاق سراحه إلا أن اعتقاله كان ـ على حد قوله ـ أول غوص له فى واقع السياسة المصرية التى لم يكن يعرفها جيداً ، فقد أتاح له احتكاكه بالمعتقلين المصريين أن يعرف أن المواطن المصرى الحق لا يمكنه قبول أية مرونة تجاه الإنجليز ، وأن ما كان يمارسه من نشاطه ـ قبل الاعتقال ـ للدعوة إلى مقاومة المحور لا يؤدى إلا إلى العمل بمعزل عن الرأى العام المصرى ، فكيف يقتنع المصريون بمساعدة عدوتهم بريطانيا ؟! بدأ هنرى كورييل ـ عندئذ ـ يدرك أن الاقتراب الأمثل من الجماهير المصرية إنما يكون من خلال « الانطلاق من موقف ثابت فى عدائه للإمبريالية ، وتنمية أقوى حركة شيوعية يمكن إقامتها على هذه القاعدة » ، بل داعبت خياله فكرة اعتناق الإسلام (التى اقترحها عليه محمود حسنى العرابى الذى كان سكرتيراً عاما للحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٢٤ ثم أصبح من مشايعى النازية ، وكان زميلاً له بالمعتقل) ، فقد كان هنرى **يتمنى فى هذه الفترة أن « يتمصر » وبدا له أن اعتناق الإسلام إحدى الوسائل لتأكيد** « مصريته » وخاصة أن العديد من أصدقائه اليهود أسلموا وتعمقوا فى دراسة اللغة العربية ، وأقبلوا على تناول الأكلات المصرية ، ولكنه عدل عن الفكرة حتى لا يفسر إسلامه ـ على حد قوله ـ بمحاولة إنقاذ نفسه من الخطر النازى الذى يطرق أبواب مصر ،

بل عدل عن فكرة اتقان العربية لأن ذلك ـ على حد قوله ـ لا يفيد أحدا سواه ، ولأنه لن يصبح مصرياً إلا بالنضال من أجل « بلده وشعبه » وهكذا ظل يتحدث عربية ركيكة يستخدم فيها ضمائر المذكر والمؤنث فى غير موضعها ، ولكن ذلك لم يمنعه من صوم رمضان أثناء الاعتقال ، لأنه ـ على حد قوله ـ « من اللائق احترام العادات الاجتماعية للوسط الذى يتواجد فيه الإنسان » وشارك فى إضراب عن الطعام استمر عشرة أيام بعد شهر رمضان قام به المعتقلون للمطالبة بعودة زميل لهم من الحزب الوطنى انتخبوه ممثلاً لهم أمام سلطات المعتقل كانت إدارة المعتقل قد قامت بإبعاده .

وعندما أطلق سراحه من المعتقل بفضل العلاقات الخاصة لوالده ، وضع تحت المراقبة الإدارية حتى نهاية فترة الأحكام العرفية (ثلاث سنوات) ، ولكن أسرته استطاعت أن ترشو دائماً رجل البوليس الذى كان يأتى يومياً للتأكد من وجوده بالمنزل بعد غروب الشمس ، مرتين أو ثلاث مرات كل ليلة .

إن تجربة الاعتقال القصيرة شدت أزر هنرى كورييل ، وجعلته يتجه إلى بناء التنظيم الشيوعى المصرى بعزيمة أكبر ، بعدما تكونت لديه قناعات ثلاث : اتخاذ معاداة الامبريالية محوراً لنضال الشيوعيين ، وحق تقرير المصير والكفاح المشترك بالنسبة للسودان ، والموقف المحايد من الدين . وهكذا أسس هنرى كورييل « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » عام ١٩٤٣ ، ولم يكن يعمل وحده ، بل ضمن « جوقه » من الشباب اليهودى الذى اتجه ـ فى نفس الوقت ـ إلى اقامة تنظيمين آخرين .

الحركة الشيوعية المصرية :

يرجع هنرى كورييل ظاهرة اعتناق الشباب اليهودى المنتمى إلى جنسيات أجنبية فى مصر للشيوعية ، إلى تأثر هؤلاء بالنضال الأوروبى وخاصة انتصار الحزب الشيوعى الفرنسى والجبهة الشعبية فى انتخابات ١٩٣٦ بحكم ثقافتهم الفرنسية ، وارتباطهم الوجدانى بفرنسا ، كما يرجع إلى تأثرهم بالحركة الشيوعية الدولية بشكل أكبر من العناصر المصرية ، هذا فضلاً عن نفورهم من الفاشية ، وبعدهم عن الحركة السياسية المصرية وعدم اهتمامهم بها . ويتساءل : « كيف يتسنى ليهودى فى نهاية الثلاثينيات أن يصبح حرا دستورياً ، أو حتى وفديا ؟ ! وهكذا كانت الشيوعية ـ فى رأيه ـ الخيار الوحيد أمامهم . ويضيف ـ فى موقع آخر ـ إلى ذلك ، الاعجاب بتجربة الاتحاد السوفيتى والتأثير الكبير لمعركة ستالينجراد . ويرجع بعدهم عن الحركة السياسية المصرية فى الحقبة الممتدة من منتصف الثلاثينيات حتى مطلع الأربعينيات إلى افتتان الكثير من الوطنيين المصريين بالفاشية ، ولعله نسى أن يضيف لذلك عداء الحركة السياسية المصرية للأجانب ، وخاصة البورجوازية الأجنبية التى كانت مصر بالنسبة لها كالبقرة الحلوب ، ولكن هنرى كورييل يستدرك قائلاً : « إن أولئك الشيوعيين اليهود ذوى الثقافة والانتماء الأجنبى نجحوا بحق

فى اكتساب البعد الوطنى عن طريق انخراطهم فى الشيوعية ، فباعتناقهم الشيوعية فى مصر أصبحوا شيوعيين مصريين » . وكأن موقع ممارسة النشاط الشيوعى يضفى الهوية على هؤلاء ، وليس التعبير الصادق عن الطبقة العاملة المصرية التى يفترض أن يكون العمل الشيوعى تعبيراً عن طليعة تلك الطبقة ، التى كان أولئك الشيوعيون الأجانب اليهود يجهلون كل شىء عن واقعها التعس عندئذ .

حلقات شيوعية على أرض مصر ، ولكن بدون مصريين ، وحتى أولئك الأفراد القلائل من المصريين الذين اختلفوا إليها كانوا من البورجوازية الكبيرة الذين أعجبتهم الرطانة الماركسية ، والذين انضموا إلى تلك الحلقات ـ على ما يبدو ـ من باب الخروج من روتين حياتهم الطبقية ، والاستمتاع برياضة ذهنية جديدة ، وفرصة للالتحام بالجاليات الأجنبية التى كانوا ينبهرون بها .

يذكر جيل بيرو فى كتابه « هنرى كورييل ، رجل من طراز فريد » أن مارسيل إسرائيل ذهب إلى لبنان للاستشفاء فى مطلع الأربعينيات ، واستطاع أن يلتقى بميدويان مسئول الكومنترن للشرق الأوسط بمساعدة صديقه نقولا الشاوى (الذى أصبح فيما بعد السكرتير العام للحزب الشيوعى اللبنانى) ، وأعطى مارسيل للمسئول الأممى صورة عن ازدهار حلقات الدراسة الماركسية بالقاهرة والرغبة فى الانتقال إلى مرحلة التنظيم ، وبعد أن استمع إليه ميدويان جيداً ، قال له : « والمصريين .. أين المصريين ؟ إن واجبك الأول أن تحتك بالجماهير المصرية وتكون كوادر مصرية » .

هكذا عندما عاد مارسيل إسرائيل إلى القاهرة ، راح يبحث عن المصريين « الذين ولد بينهم دون أن يعرفهم » ، وتمكن من تجنيد عشرة أفراد ما لبث أن انضم إليهم طاهر المصرى الذى انتسب إلى الحزب الشيوعى الفرنسى أثناء دراسته بباريس ، لتتكون أول منظمة شيوعية سرية حملت اسم « تحرير الشعب » عام ١٩٤١ . وحرص مارسيل على ترك القيادة للمصريين مكتفياً بالدور الذى يلعبه فى التثقيف ، وفى الاتصال بالحزبين الشيوعيين اللبنانى والفلسطينى .

وإذا كان بؤس الكادحين المصريين والنوازع الإنسانية قد قادا مارسيل إسرائيل ـ ابن صاحب محلج القطن الذى تدهورت أحوال أسرته المالية وأصبح كاتباً بإحدى الشركات ـ وكذلك هنرى كورييل ـ ابن صاحب المصرف المالى ـ إلى الشيوعية ، فإن هلل شوارتز دخل الشيوعية من باب الهواية ، فهو ينحدر من أسرة يهودية رومانية استقرت بمصر عام ١٩١٤ ليعمل والده كطبيب بالجيش الانجليزى ، وكانت أسرته تحتقر كل ما هو عربى وتتجه بوجدانها صوب فرنسا التى كانت تحج إليها كل صيف .. ورغم أن هلل ولد عام ١٩٢٣ على أرض مصر إلا أنه لم يكن يهتم بمصر مطلقاً ، وحين انحدرت أحوال أسرته المالية حاول السفر إلى أوروبا ، ولكن ظروف الحرب حالت دون تحقيق رغبته تلك فالتحق بوظيفة

كتابية ، ولم تتغير مشاعره نحو مصر ، فهو يؤكد لبيرو أنه كان يجد « البلد بشعا وكريها ، وكانت فرنسا منارتى الوحيدة التى أتطلع للعودة إليها » وبعد قراءات فى الأدبيات الماركسية ، قرر أن يكون شيوعياً ، فقابل هنرى كورييل ليعمل معه ولكنه نفر منه ، وكون مجموعته الخاصة من بعض أصدقائه الأجانب وبعض أبناء البورجوازية المصرية الكبيرة ذوى الثقافة الفرنسية ـ عام ١٩٤٣ ـ وأطلقوا على التنظيم اسم « اسكرا (الشرارة) » التى ركزت على الدراسة النظرية وإعداد الكوادر ، وفيما بعد كانت واجهة النشاط العلنى تتمثل فى جريدة « الجماهير » الأسبوعية والمحاضرات التى كانت تلقى بدار الأبحاث العلمية التى يحضرها بعض الطلاب المصريين .

فإذا أضفنا إلى « تحرير الشعب » و« اسكرا » التنظيم الثالث الذى أقامه هنرى كورييل عام ١٩٤٣ « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » .

أصبح لدينا ثلاث منظمات مستقلة تعمل كل واحدة منها بمعزل عن الأخرى ، رغم صلات الصداقة التى كانت تربط مؤسسيها ببعضهم البعض بحكم انتمائهم إلى البورجوازية اليهودية ، والتقائهم شبه الدورى فى مختلف المناسبات الاجتماعية ، راحت كل منظمة من المنظمات الثلاث تعتبر نفسها نواة الحزب الشيوعى المصرى ، وتسعى للحصول على اعتراف الحركة الشيوعية الدولية بها دون غيرها .

كان العرف السائد فى الحركة الشيوعية الدولية أن تتبع الحركة الشيوعية فى المستعمرات حزب البلد الأوروبى الذى تخضع له المستعمرة ، فالحزب الشيوعى الفرنسى ، مثلاً ، يتولى من خلال « مكتب المستعمرات » رعاية النشاط الشيوعى فى المستعمرات الفرنسية ، على أساس أن الطبقة العاملة فى المستعمرات ، أوثق ارتباطا من حيث المصالح المشتركة مع الطبقة العاملة فى البلد المستعمر . وكان من المفروض ـ وفقاً لهذه القاعدة ـ أن تدخل مصر فى نطاق مسئولية الحزب الشيوعى الانجليزى ، ولكن الأخير كان حزباً صغيراً ، ولم يهتم بأمر مصر ، ربما لأنها لم تكن ـ نظرياً ـ إحدى المستعمرات ، على حين اهتم بالسودان ، وحاول أن يقيم تنظيماً هناك ، غير أن هنرى كورييل ـ الذى سبق الحزب الشيوعى الانجليزى إلى العمل بين السودانيين ـ حال دون نجاح مبعوث الحزب الشيوعى الانجليزى .

ولما كان أقطاب المجموعات الشيوعية التى تكونت بمصر مع مطلع الأربعينيات ذوى ثقافة فرنسية ، فقد كانوا ينظرون إلى الحزب الشيوعى الفرنسى باعتباره « الأخ الأكبر » ، غير أن جهودهم لإقناع الحزب الفرنسى بأنهم ممثلو « الشيوعية المصرية » باءت بالفشل ، فالحزب الفرنسى ظل ينظر إلى أولئك البورجوازيين الأجانب الذين يدعون تمثيل الشيوعية المصرية نظرة شك وارتياب ، وخاصة أنهم موزعون بين ثلاثة تنظيمات ، تدعى كل منها تمثيل الشيوعيين المصريين ، كما أن الحزب الفرنسى كان يحذر ـ دائماً ـ المنشقين عن



أوراق هنري كورييل
والحركة الشيوعية المصرية

البورجوازية الكبرى ، فلم يفعل أكثر من حثهم على الوحدة ، كذلك فعل الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى قامت جسور اتصال بينه وبين أقطاب المنظمات الشيوعية المصرية ، والذى كان يحظى باعتراف موسكو . ولكن الخصومات كانت قوية تعلو على الاختلاف بين البرامج ، ولذلك لم تعر الحركة الشيوعية الدولية نشاط هؤلاء اهتماما .

كانت الدولية الشيوعية « الكومنترن » ، قد حلت عام ١٩٤٣ فى ظروف التحالف التى فرضتها الحرب العالمية الثانية على الاتحاد السوفييتى ، بل وقبل الحل بسنوات عديدة أهمل الكومنترن أمر مصر ، بعدما يئس من إمكانية إحياء الحزب الشيوعى المصرى الذى تمت تصفيته عام ١٩٢٤ ، ولم تكن السفارة السوفيتية بالقاهرة (التى افتتحت عام ١٩٤٢) ترغب فى التورط فى نشاط أولئك الذين يتزعمون منظمات شيوعية رغم نعومة أظفارهم وعدم تمرسهم بالنضال فى حزب معترف به من قبل ، ويبدو - أيضاً - أنها كانت ترتاب فى أولئك الأجانب الذين يدعون تمثيل الحركة الشيوعية المصرية .

ويروى لنا هنرى كورييل كيف حاول مد جسور التعاون مع السفارة السوفيتية بالقاهرة من خلال « مكتبة الميدان » ومقابلته المثيرة لعبد الرحمن سلطانوف - مستشار السفارة عندئذ - فقد قال له سلطانوف إن الاتحاد السوفييتى لا ينوى القيام بأى نشاط فى مصر ، بل طالب هنرى بأن تتوقف مكتبة الميدان عن توزيع الكتب السوفييتية حتى لا تسبب حرجاً للسفارة وبعد ذلك كتب سلطانوف مقالا بإحدى المجلات السوفييتية أكد فيه عدم وجود شيوعيين مصريين . لم يقتنع الرجل - إذن - بذلك الشاب البورجوازى الأجنبى الذى يدعى التحدث باسم الشيوعيين المصريين . ولعل موقف الحزب الشيوعى الفرنسى وكذلك الحزب الشيوعى الفلسطينى ، ثم الحزب الشيوعى اللبنانى ، كان قد اتخذ بتنسيق كامل مع موسكو .

إنهم من وجهة نظر الحركة الشيوعية الدولية - إذن - شيوعيون لقطاء لا تقبل الحركة الشيوعية الدولية تبنيهم وتصمهم بالانتهازية ، وتشم رائحة الشبهات فى نشاطهم ، وترى أنهم ليسوا أكثر من « حفنة من البورجوازيين الكبار والصغار المنخرطين فى معارك ديوك لا تغتفر ، تنتمى إلى العمل السياسى المبتذل أكثر من انتمائها إلى النضال الثورى » على حد تعبير أحد المصادر لجيل بيرو .

لقد كان ذلك قدر الحركة الشيوعية فى مصر عندئذ ، ويهمنا هنا الوقوف أمام المنظمة التى أسسها هنرى كورييل « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » . ويذكر هنرى كورييل أن النية كانت متجهة إلى استخدام اسم « الشيوعية » ولكن تم العدول عن ذلك لتجنب التعرض للوقوع تحت طائلة القانون الذى يحرم الشيوعية ، ولأن الدعاية ضد الشيوعية ربطت بينها وبين شتى صنوف الانحلال ، ولأن الحركة - فى بداية أمرها - لا تستطيع أن تلعب دور الحزب الطليعى للطبقة العاملة المصرية ، فكان الاسم الذى اختير للحركة يعنى

أنها بداية لتنظيم حزب . عندما تكتمل له صفة التعبير عن الطبقة العاملة المصرية ، وكان تأكيد مصريتها يعنى التمسك بتمصيرها ، والنص على التحرر الوطنى يعنى إعطاء الأولوية للنضال ضد الامبريالية ، وكذلك مجاراة الواقع الاجتماعى لمفهوم التحرر .

وبدأت « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » نشاطها بتجنيد المصريين وتدريبهم ، وهنا يذكر هنرى كورييل أنه فضل الابتعاد عن الشيوعيين القدامى الذين يعرفهم البوليس السياسى تجنباً للوقوع تحت طائلة القانون ، بينما كان من المنطقى الاستفادة بخبرة أولئك المناضلين وخاصة أن من بينهم من عاصروا « الحزب الشيوعى المصرى » القديم كالشيخ صفوان أبو الفتح ، وشعبان حافظ ، والدكتور حسونة ، ولكن سينضم هؤلاء إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى فيما بعد .

استطاع هنرى كورييل ورفاقه العثور على نحو العشرين من المصريين الذين كانوا من العمال والطلبة الفقراء بينهم أزهرى واحد ، شكلوا الدفعة الأولى لمدرسة الكوادر التى أقامها هنرى فى « سراى » عزبة والده بالمنصورية ، وكان من بين الدارسين اثنان أصبحا من أهم قيادات الحركة هما فؤاد حبشى وسيد سليمان رفاعى (الرفيق بدر) من صف الضباط الميكانيكيين بالجيش المصرى (سلاح الطيران) . وتولى التدريس بالإضافة إلى هنرى كورييل جوماتالون ، ودافيد ناحوم (من أبناء البورجوازية اليهودية) ، وطاهر المصرى ، وزكى هاشم (من أبناء البورجوازية المصرية) . وتناولت المحاضرات الآفات الثلاث التى عانى منها المجتمع المصرى : الفقر والجهل والمرض ، وتطور المجتمعات والطبقات الاجتماعية ، والمادية الجدلية (بعد اغضاء الطرف عن القضايا المتصلة بالدين) ، والاشتراكية ، وتجربة الاتحاد السوفييتى فى التنمية . وانقطع الدارسون عن العالم الخارجى فى عزبة المنصورية خمسة عشر يوماً متصلة قضوها فى الاستماع إلى المحاضرات والمناقشات منذ شروق الشمس حتى مغيبها ، ويختمون اليوم بإلقاء النشيد الأممى الذى نقله طاهر المصرى إلى العربية . كان ذلك فى أكتوبر ١٩٤٣ ، ولا يحدثنا هنرى كورييل أو جيل بيرو - الذى ترجم له - عن دفعات أخرى تم إعدادها بهذه المدرسة ، ولكننا نستنتج من كتابات هنرى أن الدارسين انطلقوا للتثقيف فى القواعد التى جاءوا منها ، فقد تولى الرفيق بدر مسئولية تثقيف رفاقه من صف ضباط سلاح الطيران ، على سبيل المثال .

وإلى جانب الكوادر المصرية الجديدة شارك بعض قدامى الشيوعيين المصريين فى نشاط « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » كالدكتور عبد الفتاح القاضى الذى تولى ترجمة الكتب النظرية إلى اللغة العربية ، ومسئولية نشر المجلات الداخلية ، والدكتور حسونة (طبيب الأسنان) الذى تولى مسئولية مجموعة الاسكندرية وأشرف على طباعة سلسلة « الكتب الخضراء » وكذلك الشيخ صفوان أبو الفتح وعبد الرحمن فضل ، أما عصام حفنى

ناصف فظل بعيداً عن الحركة لأنه اشترط للالتحاق بها أن يعين سكرتيراً عاماً ، على حد قول هنرى كورييل . وحققت الحركة تقدما على طريق « التعميل » بانضمام بعض قادة عمال شبرا الخيمة إليها وعلى رأسهم المناضل النقابى محمد شطا الذى يعده هنرى كورييل أحد أساتذته .

لعب أولئك « الشيوعيون اللقطاء » الأجانب اليهود ، بقصد أو غير قصد ، دور القابلة فى « الميلاد الثانى » للحركة الشيوعية المصرية - على حد تعبير كورييل - إذا أيدنا وجهة نظر هنرى كورييل الذى يرى أن هناك فترة انقطاع فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فيما بين ١٩٢٤ - ١٩٤٠ ، وأنه لم تكن هناك حركة ، ولم تكن هناك منظمات شيوعية ، وإنما كان هناك شيوعيون مصريون ، وهو هنا يعارض نظرية استمرارية الحركة التى يقول بها رفعت السعيد . وأصبح هناك شيوعيون مصريون جدد تربوا فى حجر المنظمات الثلاث : « تحرير الشعب » التى ركزت على « تعميل » الحركة واهتمت بتجنيد المناضلين النقابيين على وجه الخصوص ، و« اسكرا » التى اتبعت أسلوباً انتقائياً دقيقاً لتجنيد عناصرها من المثقفين وخاصة ذوى الثقافة الفرنسية من أبناء البورجوازية المصرية ، و« الحركة المصرية للتحرر الوطنى » التى اهتمت بتمصير الحركة وتعميلها معا .

ومهما كان من سلبيات « الانقسام » و« التكتلية » ودعاوى « الانحراف » اليمينى واليسارى ، و « الانتهازية » التى غلبت على الحوار بين هذه المنظمات ، فإن ثمة إيجابية لا يمكن إغفالها ؛ فقد أصبح الفكر الماركسى متاحاً ومطروحاً على الساحة السياسية فى مصر ، فعند قيام الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك سوى ترجمة لبنانية ركيكة لكتاب ماركس « رأس المال » ، فجاءت المجلات العلنية والنشرات السرية التى نشرتها تلك المنظمات ، والكتب الخضراء التى نشرتها « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » لتجعل الفكر الاشتراكى مطروحاً ومتاحاً . ولا شك أن هذه الكتب والنشرات لعبت دوراً هاماً فى صياغة فكر الشيوعيين المصريين حتى الستينيات على أقل تقدير .

كانت نواة « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » - التى أسسها هنرى كورييل فى أكتوبر ١٩٤٣ - مجموعة من الشيوعيين الأجانب الذين انشقوا على « اسكرا » بسبب موقفها من قضية « تمصير » الحركة الشيوعية وإصرارها على الإبقاء على قيادة التنظيم أجنبية خالصة ، وقد رأينا كيف حرص هنرى كورييل وجماعته على تجنيد عناصر مصرية تلقت تدريباً ماركسيا بمدرسة الكوادر التى أقامها بعزبة والده بالمنصورية ، ولعبت الكوادر المصرية دوراً هاماً فى اجتذاب عناصر جديدة إلى الحركة فى مجالات عملها الخاصة : عمال الجيش ، عمال الحكومة ، عمال المصانع والشركات الأهلية . وكان التركيز يتم بصفة خاصة على القيادات النقابية النشطة فى الصناعات ذات الوزن الحركى فى إطار التنظيم النقابى ، فكان انضمام محمد شطا المناضل النقابى لعمال النسيج بشبرا الخيمة كسبا

كبيرا للحركة المصرية للتحرر الوطنى ، كذلك جندت بعض العناصر النقابية فى قطاعات المواصلات والنقل ، فضلاً عن الاهتمام بتجنيد الطلبة ـ وخاصة الفقراء منهم ـ وكذلك بعض طلاب الأزهر ، هذا بالإضافة إلى النوبيين الذين كان لهم قسم خاص بالحركة المصرية للتحرر الوطنى (وهو اتجاه عنصرى لم يقدم هنرى كورييل تفسيراً له) ، وقسم خاص بالسودانيين .

وبالإضافة إلى « أم درمان » و« العهد الجديد » المجلتين العلنيتين اللتين كانتا تعبران عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، أصدر قسم النشر بالحركة نشرتين للتداول الخاص بين أعضاء الحركة هما « الوعى » وتعنى بالمسائل التثقيفية ، و« الكادر » وتهتم بالمشاكل التنظيمية .

ولما كانت « الثورة لا يُعد لها فى أوقات الفراغ » كما يقول لينين ، فإن الحركة المصرية للتحرر الوطنى أخذت بنظام المناضلين « المحترفين » أو المتفرغين ، وكان هؤلاء يختارون من بين الطلاب والعمال الفقراء ، ويحصل كل منهم على ستة جنيهات مصرية مكافأة شهرية ، وأولت الحركة أهمية خاصة لتجنيد وإعداد المناضلين « المحترفون » . ولم تكن الحركة المصرية ـ فى حقيقة الأمر ـ أول من اهتم بتجنيد المحترفين ، فقد كان للأحزاب البورجوازية (وخاصة الوفد) محترفون بين صفوف الطلاب ، وكذلك الحال بالنسبة للإخوان المسلمين ، فضلاً عن العناصر الطلابية والعمالية التى احترفت العمل لحساب البوليس السياسى .

وقد ركز المناضلون « المحترفون » عملهم بين التجمعات الطلابية (جامعة القاهرة والأزهر) والتجمعات العمالية بالقاهرة والاسكندرية ، فتولوا مهام تنظيم الاضرابات ، وقيادة وتوجيه المظاهرات ، وتوزيع المنشورات والنشرات التى تصدر عن الحركة كانوا ـ إذن ـ أدوات الحركة للعمل الجماهيرى ، ولم يكن هناك اهتمام كبير بإعدادهم الاعداد النظرى الكافى ، بقدر الاهتمام بإعدادهم الحركى ، وهى سلبية من سلبيات الحركة المصرية للتحرر الوطنى يعترف بها هنرى كورييل الذى دافع ـ فى سيرته الذاتية ـ عن المناضلين المحترفين دفاعا قويا مؤكدا أنهم كانوا من « أفضل العناصر الوطنية » ، وينحى باللائمة على المنظمات المنافسة التى وصفت محترفى الحركة المصرية للتحرر الوطنى « بالمرتزقة » ، مؤكداً أن بعضهم كان باستطاعته أن يربح من مهنته أكثر من تلك المكافأة الضئيلة التى كان يحصل عليها لقاء تفرغه .

ومهما كان الأمر ، يحق لنا أن نتساءل : من أين جاءت تلك الأموال التى أنفقت على تغطية نفقات قسم النشر . والتى استخدمت لإصدار المجلات العلنية والنشرات السرية ، وكذلك لتغطية مكافآت الاحتراف ؟ ! إن هنرى كورييل يتجاهل هذه المسألة تماماً سواء فى سيرته الذاتية أو التقريرين اللذين أعدهما عن تطور الحركة (رقم ٢ ، ٣ من مجموعة

الوثائق) ، رغم أن قوى الرجعية كانت تتهم الحركة الشيوعية المصرية ـ ومازالت ـ بالاعتماد على التمويل الخارجى . إن إلقاء الأضواء على مصادر تمويل نشاط الحركة المصرية للتحرر الوطنى كان من الضرورة بمكان . فهل قدم كورييل هذه الأموال ؟ لقد كان مرتبه من عمله بالمصرف الخاص بوالده أربعين جنيهاً شهرياً ، وكانت زوجته روزيت تعمل مقابل اثنى عشر جنيها شهرياً (كما يذكر جيل بيرو) ، كما أن الحركة كانت تضم فى عضويتها عمالاً بنسبة ٥٠٪ وطلاباً بنسبة تقترب من ٤٠٪ ، ولم تكن أحوال العمال المادية خلال الحرب العالمية الثانية تسمح لهم بدفع اشتراكات عضوية للحركة بشكل منتظم ، كما كان الطلاب يجندون من بين « أشد الطبقات بؤسا » على حد قول هنرى كورييل ، فهل قام دانييل كورييل ـ والد هنرى ـ بتمويل الحركة ، وهو المصرفى المرابى الذى يعيش على امتصاص دماء الفلاحين ، والذى كان يعد ولده هنرى خائناً لطبقته ؟ إن ذلك أمر مستبعد تماما ويتنافى مع المنطق ، فمن أين أتى هنرى كورييل بالأموال التى غطت كل هذا النشاط ؟ سؤال سيظل مطروحاً دون إجابة وسيظل يلاحق هنرى كورييل حتى منفاه فى باريس ، ولن يكون السؤال مقصوراً علينا ، بل سيكون موضع اهتمام الحزب الشيوعى الفرنسى نفسه الذى كان ينظر بعين الشك إلى مصدر تمويل « مجموعة روما » التى كونها هنرى كورييل ، وهو ما سنعود إليه فيما بعد .

إن البحث عن إجابة لهذا السؤال بالنسبة لأسكرا أسهل بكثير ، فقد كان معظم كوادرها من أبناء الأثرياء الأجانب والمصريين على السواء ، الذين باستطاعتهم أن يدفعوا بصورة مستمرة اشتراكات « سخية » للتنظيم ، ويذكر هنرى كورييل شيئاً من هذا عندما يتحدث عن تحسن الأحوال المالية بعد الوحدة وتكوين « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » فى مايو ١٩٤٧ ، عندما يشير إلى زيادة مكافآت المحترفين بعد الوحدة بفضل ما أضافته « اسكرا » إلى ميزانية الحركة ، ولكن يصعب العثور على إجابة له بالنسبة للحركة المصرية للتحرر الوطنى قبل الوحدة .

وعلى كل ، عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥ ، كانت الساحة السياسية فى مصر تعج بالنشاط ، فقد أثبتت الحرب أن معاهدة « الشرف والاستقلال » التى أبرمتها مصر مع بريطانيا عام ١٩٣٦ ، بعيدة كل البعد عن هاتين الصفتين ، فقد ألقت على مصر أعباء حرب لا مصلحة لها فيها ، وعرضتها لأخطار الدمار ، وأضرت باقتصادها ، وأصابته بداء التضخم ، وبذلك أجمعت كل القوى السياسية فى مصر ـ على اختلاف توجهاتها ـ على ضرورة إعادة النظر فى العلاقات المصرية البريطانية وصولاً إلى الاستقلال التام وتحقيقا لجلاء القوات البريطانية عن مصر .

وكانت الطبقة العاملة المصرية تموج بالحركة الدائبة للمطالبة بتحسين ظروف العمل وشروطه ، فلم يشف قانون الاعتراف بالنقابات ـ الذى أصدرته حكومة الوفد عام

١٩٤٢ - غليل الطبقة العاملة المصرية ، لفرضه القيود على نشاط النقابات وإخضاعها للرقابة الإدارية ، فضلاً عن حرمان الطبقة العاملة المصرية من إقامة « اتحاد عام لنقابات العمال » يعبر عن مصالح الطبقة العاملة ويقود نضالها فى مواجهة رأس المال . كذلك كانت تشريعات العمل القليلة التى صدرت فى الثلاثينيات والأربعينيات دون آمال الطبقة العاملة المصرية بكثير ، وجاء تسريح عمال ورش الصيانة العسكرية التى أقامها الحلفاء فى مصر خلال الحرب ليحرم عشرات الآلاف من العمال من حق العمل ، وليزيد من حدة مشكلة البطالة التى نجمت عن كساد بعض الصناعات التى ازدهرت خلال الحرب .

كانت الحركة السياسية فى إطار تلك الظروف الموضوعية - إذن - تتفجر كالبركان ، شقت حناجر الشباب فى المظاهرات التى راحت تطالب بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ، ونهض العمال لمشاركة الطلاب فى الحركة الوطنية ، فضلاً عن نضالهم المستميت من أجل إقامة اتحاد للنقابات ، وإصدار تشريعات العمل .

خلق ذلك كله مناخاً ملائماً للحركة الشيوعية المصرية للعمل بين صفوف الجماهير ، وإذا كانت « تحرير الشعب » قد استقطبت بعض القيادات النقابية العمالية ، و« اسكرا » قد استقطبت بعض الطلبة ، فإن « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » تحركت بين صفوف الطلبة والعمال بقدر ملحوظ من النجاح بفضل الكوادر التى عملت تحت رايتها ، كما كان لها وجود بالجيش ، اتسع بعد الوحدة ليضم بعض الضباط الأحرار (أحمد حمروش ، يوسف صديق ، خالد محيى الدين) .

وكان لابد للحركة المصرية للتحرر الوطنى من أن تحدد موقفها من القضية الوطنية ، فأيدت المطالبة بجلاء القوات البريطانية عن مصر وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية الحكم الثنائى الخاصة بالسودان (١٨٩٩) ، وتبنت مبدأ « النضال المشترك ضد العدو المشترك » الذى يجمع بين المصريين والسودانيين من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى ، على أن يكون للسودانيين حق تقرير المصير بالوحدة مع مصر أو الاستقلال التام . وقامت الحركة بالتطبيق العملى لمبدأ تقرير المصير ، فتم فصل القسم السودانى عن الحركة ليكون الحركة السودانية للتحرر الوطنى (حستو) التى كانت نـواة الحزب الشيـوعى السودانى وكان الموقف من السودان « أول سباحة ضد التيار » العام للحركة السياسية المصرية (على حد تعبير هنرى كورييل) ، فقد كانت جميع القوى السياسية فى مصر تطالب بوحدة وادى النيل تحت التاج المصرى ، وسوف يكون الموقف من القضية الفلسطينية « ثانى سباحة ضد التيار » على نحو ما سنرى . ويعتبر هنرى كورييل قبول ثورة يوليو بمبدأ حق تقرير المصير للسودانيين دليلاً على تأثر الضباط الأحرار بموقف الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، وعلى سلامة موقفها من القضية السودانية .

وثمة موقف آخر للحركة المصرية للتحرر الوطنى اختلفت فيه - هذه المرة - مع المنظمات

الشيوعية الأخرى ، هو الموقف من جامعة الدول العربية ، وفكرة « الوحدة العربية » ذلك الموقف الذى جعل بعض المنظمات الشيوعية تصم الحركة المصرية بالعمالة للامبريالية ، نظرا للدور الذى لعبته بريطانيا فى تأسيس « جامعة الدول العربية » . وكانت وجهة نظر الحركة المصرية أن « الوحدة العربية » حقيقة لابد من الاعتراف بها ، ومن ثم كان تأييدها لجامعة الدول العربية ، وجعل « وحدة الشعوب العربية » هدفاً من أهدافها السياسية ، من منطلق أن موقف بريطانيا من تأسيس الجامعة يستند إلى واقع ملموس ، والاعتراض على الجامعة العربية لمجرد أن بريطانيا ساعدت على قيامها ، نوع من قصر النظر السياسى ويأسف هنرى كورييل لعدم قيام الحركة المصرية للتحرر الوطنى بإصدار نشرة عن الوحدة العربية بسبب عدم توافر الإمكانات المادية والسياسية ، وخاصة عدم وجود صلات مع الأحزاب الشيوعية الدولية ، التى « كانت جميعاً تحتقرنا باستثناء الحزب الشيوعى اللبنانى » على حد قول هنرى كورييل .

وبالنسبة لقضية العمال ، ناصرت الحركة المطالبة بتأسيس اتحاد عام للنقابات ، واستطاعت اجتذاب بعض الكوادر النقابية الهامة التى تعمل فى هذا الاتجاه ، كما ناصرت المطالب الخاصة بتشريع العمل ، وطالبت بحل مشكلة عمال ورش الصيانة العسكرية المسرحين والقضاء على البطالة .

وحاولت الحركة المصرية للتحرر الوطنى أن تدخل غمار العمل الوطنى ضد الوجود البريطانى فى مصر عشية انتهاء الحرب ، ظنا منها أن باستطاعتها امتلاك زمام المبادرة فى هذا المجال ، فانتهزت فرصة بدء العام الدراسى ، وقامت بتوزيع عشرين ألف نسخة من منشور موجه إلى طلاب الجامعة (فى ٦ أكتوبر ١٩٤٥) ، ومنشوراً آخر موجه إلى العمال والجنود يطالب بالخروج للنضال ضد الامبريالية . وكانت الحركة تظن أن باستطاعتها امتلاك زمام المبادرة على الساحة السياسية بين صفوف الطلبة والعمال ، ولكنها أدركت أنها - والحركة الشيوعية معها - أعجز من أن تقود بمفردها نضالاً فعالاً من أجل تحقيق المطالب الوطنية ، فلم يستجب الطلبة والعمال لدعوة الحركة ، وخاصة أن « الوفد » ظل يتمتع بقدرة أكبر على تحريك الطلبة على وجه الخصوص . لذلك دعت الحركة إلى عقد مؤتمرات جماهيرية ، لقيت استجابة من يسار الوفد (الطليعة الوفدية) الذى لعب دوراً كبيراً فى تعبئة الطلبة للنضال الوطنى بالتعاون مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، فتكونت لجان تنفيذية للطلاب ضمت طلبة الجامعة والمدارس الثانوية والأزهر ، وأخرى للعمال تركزت فى شبرا الخيمة (ديسمبر ١٩٤٥) ، ثم أسفرت هذه الجهود عن تشكيل قيادة جديدة للعمل الوطنى فى صورة جبهة وطنية ضمت ممثلين للوفد والإخوان المسلمين والحركة الشيوعية فيما عرف باسم « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » (يناير ١٩٤٦) ، ثم ما لبث أن انسحب الإخوان المسلمون من اللجنة وكونوا مع بعض العناصر الأخرى

« اللجنة القومية للعمال والطلبة » التى ناصرت حكومة صدقى ، وحاولت شق الجبهة الوطنية ممثلة فى « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » التى لعبت دوراً رئيسياً فى قيادة وتوجيه النضال الوطنى عام ١٩٤٦ .

ومن الملاحظ أن هنرى كورييل يبالغ فى تقدير حجم الدور الذى لعبته منظمته فى « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » فهو يؤكد أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت المحرك الرئيسى لنشاط اللجنة ، وأنها كانت وراء انضمام العمال إلى الطلبة ، كما لعبت الدور الأساسى فى توجيه نشاطها ، وأن المنظمات الشيوعية الأخرى شاركت فى الحركة على استحياء . والحق أن « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » كانت جبهة وطنية ضمت قيادات جديدة انتخبت على أساس ديمقراطى من شباب العمال والطلبة الذين كفروا بالقيادات الحزبية البورجوازية التقليدية ، وقد مثلت فى اللجنة مختلف الاتجاهات السياسية والأيديولوجية ، فقد كان التحرر الوطنى مطلبا عاجلا حتم تكوين الجبهة الوطنية ، وإذا كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى قد دعت لتكوين تلك الجبهة وشاركت فيها ، وكان لكوادرها من الطلبة والعمال دور هام فى نشاطها ، وكان الطالب السودانى (محمد على) الذى سقط برصاص البوليس من كوادرها ، فإن ذلك لا يدعو إلى التقليل من دور ممثلى الاتجاهات الأخرى التى انضمت للجبهة وخاصة « الطليعة الوفدية » .

ورغم مبالغة هنرى كورييل فى تقدير حجم الدور الذى لعبته منظمته ـ على وجه الخصوص ـ والمنظمات الشيوعية الأخرى فى « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » نجده يتناقض مع نفسه بعد قليل عندما يعزو انهيار اللجنة إلى « ضعف الحركة الشيوعية وعجزها عن التخلص من هذا الضعف من خلال المد الثورى » . ولكنه يشير إلى الدور الذى لعبته المجموعات الماركسية المختلفة : الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، واسكرا ، وتحرير الشعب ، والفجر الجديد فى تشكيل لجنة للتنسيق بين نشاط هذه المنظمات فى الأوساط الطلابية والعمالية ، ونجاحها فى المشاركة فى تأسيس اتحاد طلابى « جبهوى » يضم طلابا من مختلف الاتجاهات السياسية باسم « اتحاد الطلاب المصريين » .

كذلك لعبت كوادر الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، والفجر الجديد ، وتحرير الشعب ، دورا هاما فى تأسيس « مؤتمر نقابات عمال مصر » الذى كان بمثابة اتحاد عام للنقابات العمالية تحت اسم « مؤتمر » تفاديا من الوقوع تحت طائلة القانون الذى يحرم إقامة اتحاد عام للنقابات .

ولكن من الملاحظ أن الحركة الشيوعية المصرية الموزعة بين عدة تنظيمات ـ فى ذلك الوقت ـ كانت أشد اهتماما بتوثيق الصلات بالمنظمات الجماهيرية الشيوعية الدولية ، منها بالنضال بين صفوف الجماهير المصرية ، ولعل ذلك يرجع إلى إلحاحها فى الحصول على اعتراف الحركة الشيوعية الدولية ، ليس بها جميعا ، وإنما بأحدها كحزب شيوعى

مصرى ، وهى جهود باءت دائما بالفشل . من ذلك حرصها على إيفاد ممثلين لاتحاد الطلاب المصريين (من بين كوادرها) إلى مؤتمر « جمعية الطلاب الدولية » عام ١٩٤٦ ، وكذلك مندوبين (من بين كوادرها النقابية) للاشتراك فى مؤتمر « الاتحاد العالمى للنقابات » عام ١٩٤٧ . وفى كل الأحوال ، كانت المنظمات الشيوعية تتصارع فيما بينها لإيفاد مندوبين من كوادرها دون غيرهم ، وفى الحالتين كانت الحركة المصرية واسكرا (الأقدر ماليا) تنجحان فى اختيار مندوبين لكل مؤتمر يختاران من بين كوادر كل من المنظمتين .

وبين المنظمات الشيوعية المتصارعة ، كانت « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » أقدرها على العمل الجبهوى ، فأعدت فى نهاية عام ١٩٤٦ - مشروعا لميثاق وطنى للطلاب يحدد الأهداف الوطنية ويتعهد بالنضال من أجل تحقيقها ، تقدمت به إلى لجنة التنسيق بين المنظمات الشيوعية ، وتولى « اتحاد الطلاب المصريين » عرضه على شباب الأحزاب المختلفة ، فحظى بموافقتهم جميعا فيما عدا الإخوان المسلمين ، وطبع الميثاق ووزع حاملا توقيعات ممثلى الهيئات السياسية التى وافقت عليه . كما كانت الجماعات الشيوعية تعمل بين صفوف طلاب الجامعة بتنسيق تام مع شباب الوفد (الطليعة الوفدية) .

كان النضال السياسي للجماهير المصرية عام ١٩٤٦ موجها ضد الامبريالية وضد سوء الأحوال الاجتماعية الناجم عن غياب السياسات الاجتماعية للحكومات المتعاقبة - سواء الحزبية منها أو غير الحزبية - وضد مشروع صدقى - بيفن لتسوية العلاقات المصرية البريطانية بصورة لا تحقق الأمانى الوطنية فى الاستقلال التام والجلاء . وإذا كانت حكومة صدقى قد تسامحت مع المظاهرات - فى بداية الأمر - فإن إحساسها بدقة التنظيم وبخطورة قيادة « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » للعمل الوطنى ، جعلها تدرك خطورة ترك الحبل على الغارب للقوى الوطنية . وعبثا حاولت أن تستخدم الإخوان المسلمين وبعض القوى السياسية الرجعية ضد القيادة الوطنية الجديدة . فلم تجد مفرا من اعتقال العناصر الوطنية النشطة .

وفى ليلة ١١ يوليو ١٩٤٦ ألقى صدقى باشا القبض على أكثر من مائتى شخص من الكتاب والصحفيين والقيادات الطلابية والعمالية بتهمة تدبير مؤامرات تخريبية ، كما قام بإغلاق الجمعيات والصحف التقدمية ، وبعد ذلك بقليل قدمت الحكومة للنيابة نحو مائة متهم فيما عرف بقضية « المؤامرة الشيوعية الكبرى » كانوا يمثلون خليطا من الشيوعيين القدامى (المعروفين للبوليس السياسي) الذين أوقف الكثير منهم نشاطه ، وشباب الطليعة الوفدية ، وبعض العناصر التقدمية الأخرى ، وكان هنرى كورييل هو المتهم الأول فى هذه القضية ، وصدرت أخبار اليوم تحمل صورته بقامته المديدة النحيفة وسرواله القصير وتحمل عناوين مثيرة عن « المليونير الشيوعى .. زعيم الحركة الشيوعية فى مصر » .

كان ذلك هو الاعتقال الثانى لهنرى كورييل ، ولم يعتقل معه من كوادر « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » سوى خمسة أفراد ممن لهم نشاط سابق ، من بينهم عبده دهب ، وكان ذلك يعنى أن كوادر الحركة لم تكن معروفة للشرطة ، مما جعل هنرى كورييل يزهو بالضوابط الأمنية فى منظمته .

وخلال تحقيقات النيابة اكتشف كورييل أن التهم الموجهة إليه تهم عامة ، كنشر وتداول الكتب التى تعرض « الهيئة الاجتماعية » للخطر ، ولم يكن من بين هذه التهم إقامة تنظيم شيوعى ، لذلك شعر بالاطمئنان ، وراح يستفيض فى الإجابة على أسئلة النيابة حول الشيوعية . ومالبثت النيابة أن أفرجت عن جميع المحبوسين بكفالة مالية على ذمة « قضية المؤامرة الشيوعية الكبرى » بعد بضعة أسابيع وكان ترتيب هنرى كورييل قبل الأخير عند الإفراج عن المحبوسين ، أما الأخير فكان لطف الله سليمان . وبعد ذلك بعشرين شهرا قضت محكمة الجنايات ببراءة هنرى كورييل ، مما جعله يطمئن إلى قدراته التنظيمية ، وسلامة خط النشاط السياسى العلنى الذى اتبعه .

وعلى كل ، كان التنسيق بين المنظمات الشيوعية من خلال العمل بين صفوف الطلبة والعمال ـ على ما يبدو ـ مقدمة لإذابة الجليد بين المنظمات المتصارعة ، ودافعا للتفكير فى وحدة المنظمات الشيوعية فى تنظيم واحد ، وخاصة أنها جميعا فشلت فى كسب اعتراف الحركة الشيوعية الدولية بأى منها كحـزب شيوعى مصرى ، بينمـا كسبت جميعا « احتقار » الأحزاب الشيوعية الدولية (باعتراف هنرى كورييل) التى ضاقت ذرعا بصراع المنظمات الشيوعية المصرية مع بعضها البعض ، وكانت تنصح دائما بالوحدة .

كانت هناك عدة منظمات شيوعية عندما بدأ التفكير فى الوحدة عام ١٩٤٧ . فهناك بالإضافة إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى واسكرا ، الفجر الجديد ، والطليعة ، والقلعة ، والحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل (وكان يطلق عليه الحزب الشيوعى لمصلحة الضرائب لأن جميع أعضائه المحدودين كانوا يعملون بها) ، وهناك المنظمة الديمقراطية الشعبية (د .ش) وشراذم أخرى من المنشقين عن المنظمات الرئيسية كونوا مجموعاتهم الخاصة بهم مثل « العصبة الماركسية » وغيرها . انقسام شديد ، وصراع ، وكراهية ، وتبادل اتهامات بالانتهازية والبوليسية والعمالة ، وغير ذلك من نعوت فاضت بها نشرات تلك الجماعات المتعددة التى ضمت مصريين وأجانب ، أو مصريين فقط . غير أن التفكير فى الوحدة لم يدر بخلد هذه المنظمات معا ، بقدر ما كان هاجسا من هواجس « الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) و « اسكرا » اللتين قررتا الوحدة (فى مايو ١٩٤٧) لتكونا « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » .

مولد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) :

كانت الفترة التى سبقت الوحدة بين « حمتو » و « اسكرا » قد شهدت « اتحادات »



الناشر

سينا للنشر

المدير المسئول

راوية عبد العظيم

١٨ شارع ضريح سعد - القصر العينى

ص . ب ٢٦٧٤ - القاهرة - ج . م . ع

تليفون : ٣٥٤٧١٧٨

أوراق هنرى كورييل
والحركة الشيوعية المصرية

الطبعة الأولى

ينايــر ١٩٨٨

الغـــلاف للفنـــان : عماد حليم

الإشـــراف الفـــني : ايناس حسنى

المراجعة اللغوية : السيد عبدالمعطى

تم الصف التصويري بمؤسسة روز اليوسف

جزئية ، فقد انضم إلى « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » جزء من تنظيمى « تحرير الشعب » و « القلعة » ، وأتاح ذلك لحمتو أن تكسب كادرا هاما عمل بين الضباط الأحرار هو أحمد حمروش الذى جاء من تنظيم « القلعة » (الذى سمى بذلك الاسم لأن معظم أعضائه كانوا يقيمون بحى القلعة) ، بينما انضم بقية أعضاء « تحرير الشعب » و « القلعة » إلى « اسكرا » ونجحت الأخيرة فى ضم قطاع الاسكندرية من تنظيم « الطليعة » إليها . وخلال مفاوضات الوحدة ، سارعت اسكرا - على حد زعم هنرى كورييل - برفع جميع المرشحين إلى مرتبة العضوية لتزيد من عدد أعضائها ، وعندما تمت الوحدة ، قدمت « اسكرا » تسعمائة عضو ، على حين قدمت « حمتو » خمسمائة عضو ، ويزعم هنرى كورييل أن « اسكرا » بالغت فى رقم عضويتها ، وأنه اكتشف - بعد الوحدة - وجود أسماء وهمية ، وأسماء أخرى وردت بقائمتى المنظمتين ، وبذلك يمكن القول أن « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدتو) كانت تضم عند الوحدة نحو الألف عضو ، كانت نسبة الأجانب بينهم حوالى ٢٦٪ ، والعمال حوالى ٢٨٪ ، والطلبة حوالى ٢٠٪ ، والشباب ٦٪ ، والمثقفين ١٤٪ ، أما الجيش والأزهر والسودانيون فكانت نسبتهم حوالى ٢٪ لكل منهم (وجاءوا جميعا من حمتو) . وبذلك كان المثقفون والأجانب (وجاءوا من اسكرا) . يمثلون ٤٠٪ من أعضاء حدتو ، مما سيكون له أثره البالغ فى إبراز التناقضات داخل المنظمة الجديدة التى كانت تهيىء نفسها لتصبح « الحزب الشيوعى المصرى » رغم النسبة المتواضعة للعمال بين أعضائها .

ويلاحظ أن ما تم فى مايو ١٩٤٧ كان « اتحادا » لا « وحدة » للمنظمتين ، فلم تقم أى منهما بحل نفسها للاندماج فى الأخرى ، بل احتفظت بتنظيماتها الأساسية دون تغيير تعمل تحت إشراف هيئات أعلى اتحادية ، ووزعت مقاعد اللجنة المركزية العشرة بالتساوى بين المنظمتين . وبذلك مثل الحركة المصرية للتحرر الوطنى خمسة هم : يونس (هنرى كورييل) ، وحميدو (محمد شطا) ، وبدر (سيد رفاعى) ، وعلام (على كامل) ، وشوقى (كمال شعبان) وبذلك قدمت حمتو ثلاثة عمال إلى اللجنة المركزية . أما مقاعد إسكرا فشغلها : عادل (عبد المعبود الجبيلى) ، وسليمان (شهدى عطية الشافعى) ، وعباس (عبد الرحمن الناصر) ، وشديد (غير معروف) بالإضافة إلى شندى (هلل شوارتز) . وبذلك لم تستطع اسكرا أن تقدم إلى اللجنة المركزية أى كادر عمالى .

وأصبح « قطاع الأجانب » منظما على أساس الجاليات ، فهناك قسم يونانى ، وآخر أرمنى ، وثالث إيطالى يضم العديد من اليهود . وبذلك انزوى الأجانب الذين لم يكن لهم باللجنة المركزية سوى يونس وشندى ، ولما كانت جميع « القوميات » ممثلة فى التنظيم الجديد ، فقد تمت الموافقة على اقتراح هنرى كورييل باتخاذ اسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » للتنظيم الجديد .

ولا نريد الخوض فى التفاصيل التنظيمية التى أوردها هنرى كورييل فى « سيرته الذاتية » (رقم ١) وتقريره عن مراحل الصراع داخل حدتو (رقم ٣) ، فنحن لانملك مصادر أخرى تتيح لنا فرصة مناقشة المعلومات التى أوردها ، ولعل نشرها كما هى يشجع آخرين ممن شاركوا فى هذه التجربة على تقديم « شهاداتهم » . ولكن ما يهمنا هنا إبراز حصاد تجربة الوحدة الأولى فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية المعاصرة .

كان أول رد فعل لقيام « حدتو » نتيجة وحدة الحركة المصرية للتحرر الوطنى واسكرا ، قيام التنظيمات الماركسية الأخرى بتكوين « كتلة المعارضة » التى ضمت « العصبة الماركسية » و « الفجر الجديد » و « الحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل » (حزب مصلحة الضرائب) ، وما تبقى من « تحرير الشعب » ، وذلك للنضال ضد حدتو التى تمثل « الفاشية والامبريالية والصهيونية » ، وقد أدت حملة كتلة المعارضة « ضد حدتو » إلى خروج بعض الأفراد من التنظيم وانضمامهم إلى « العصبة الماركسية » .

وعلى صعيد « حدتو » كان التنسيق تاما بين المنظمتين المتحدتين (حمتو ، واسكرا) لمدة لا تزيد على أربعة شهور ، رغم شعور الأعضاء من العمال « بالاغتراب » بين صفوف المثقفين والأجانب الذين جلبتهم الوحدة ، ومواجهة ذلك من جانب اسكرا بمحاولة تحويل العمال إلى مثقفين عن طريق تكريس التدريب النظرى لهم على حساب النشاط الميدانى ، مما جعل هنرى كورييل يصف مواقف « اسكرا » بالانتهازية . وخلال تلك الفترة القصيرة تغيرت اللجنة المركزية ثلاث مرات نتيجة للخلافات التى بدأت تطل برأسها ، وخاصة مناداة بعض العناصر المصرية بالتخلص تماما من العناصر القيادية الأجنبية شندى ويونس (شوارتز وكورييل) .

وإذا كانت المنظمتان قد اتفقتا على الخط السياسي الخاص بالقضية المصرية ، فأعلنت « حدتو » بمناسبة عرض القضية المصرية على مجلس الأمن (١٩٤٧) ، مطالبتها بالجلاء والاستقلال التام ، ووضع السودان تحت الوصاية المصرية بموجب قرار من مجلس الأمن لحين إجراء استفتاء لتقرير المصير بعد جلاء الإنجليز عن السودان ، فإن المنظمتين اختلفتا حول الموقف من القضية الفلسطينية . كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) ترى فى المعارضة الوطنية المصرية لتدفق اليهود على فلسطين نوعاً من « العداء للسامية » وفى مقاومة الصهيونية دربا من دروب « الإمبريالية » ، على حين كانت « اسكرا » تعمل على مقاومة الصهيونية ، وشكل شوارتز « العصبة اليهودية لمقاومة الصهيونية » ولكن معارضة حمتو ، والأعضاء اليهود بالحركة ، أدت إلى حل العصبة بعد أسابيع قليلة من تأسيسها .

نقطة خلاف أخرى حول « مدرسة الكوادر » ، فقد لعب المثقفون من كوادر « اسكرا » دوراً هاما فى تدريب العناصر العمالية بمدرسة الكوادر العمالية التى أقيمت أساسا لتقريب

الفوارق الثقافية (من الناحية النظرية) بين العمال والمثقفين . فسرعان ما اجتذبت « اسكرا » العناصر العمالية التى تخرجت من مدرسة الكوادر مما كان له أثره فى تحديد المواقف عندما احتدم الصراع بين المنظمتين .

وبنهاية فترة « شهر العسل » كما يسميها كورييل ، أخذت الانقسامات تطل برأسها ، فرغم تأكيد الرفيق يونس (هنرى كورييل) ـ فى الخط السياسي الذى قدمه للجنة المركزية وحظى بموافقتها ـ على « التعميل » أى توسيع قاعدة العضوية العمالية لحدتو ، و « التمصير » أى تمصير القيادة ، إلا أنه لم يفهم أن التمصير يعنى تخليه وشندى (هلل شوارتز) عن قيادة الحركة ، واعتبر مطالبة العناصر المثقفة المصرية له بالتخلى عن القيادة نوعا من « الشوفينية » .

وهكذا بدأت « حدتو » تتفجر من الداخل ، المنظمة التى أقيمت للقضاء على الانقسام ، وتهيئة الظروف لإقامة « حزب شيوعى مصرى » يحظى باعتراف واحترام الحركة الشيوعية الدولية ، خرجت منها انقسامات جديدة كونت تنظيمات أخرى . وهكذا ظهرت منظمة « نحو منظمة بلشفية » و « صوت المعارضة » إلى جانب تكتل المثقفين المصريين المطالب بتمصير القيادة ، وأطلق عليه « العادليون » نسبة إلى « عادل » (عبد المعبود الجبيلى) الذى تزعم هذه المجموعة . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الصراع الداخلى ـ الذى بلغ حد محاولة كل فريق الاستيلاء على قسم النشر ـ أن أصبحت الضوابط الأمنية مختلة تماما ، كما أصبحت « حدتو » ، مخترقة من جانب البوليس السياسي ، وتجلى ذلك فى حملة اعتقالات مايو ١٩٤٨ بعد إعلان الأحكام العرفية بمناسبة حرب فلسطين ، فسقط كوادر حدتو فى أيدى البوليس ، وسيقوا إلى معسكر الاعتقال فى الهاكستب .

وبعد الاعتقال ، حسمت الجماعات المنقسمة على « حدتو » موقفها ، فكون « العادليون » تنظيما خاصا بهم أطلقوا عليه اسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ـ عمال ثوريون » (ع . ث) ، وشكل شوارتز تنظيما مستقلا باسم « نحو حزب شيوعى مصرى » (نحشم) ، وانضم انقسام « نحو منظمة بلشفية » إلى « صوت المعارضة » . وظل ما بقى من « حدتو » يعمل بنفس الاسم حتى يونيو ١٩٥٣ ، عندما تزعم بدر (سيد رفاعى) انشقاقا جديداً باسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ـ التيار الثورى » (ت .ث) وكان ذلك بعد ثلاث سنوات من طرد هنرى كورييل من مصر ، وإن كان خروجه من مصر لا يعنى انقطاعه عن متابعة نشاط « حدتو » والمشاركة فيه ، على نحو ما سنرى .

ووسط ذلك الخضم الهائل من الصراعات ، كان هنرى كورييل « يجمع كل شىء فى يده ، وكان الوحيد الذى يملك كل المعطيات » ـ على حد قول ايمى ستون لجيل بيرو ـ بل إن كورييل يذكر فى ختام تقريره عن الحركة (رقم ٢) أنه « يتحمل وحده المسئولية » الكاملة عن عدم إدراك السلبيات التى ترتبت على تجربة الوحدة عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ، ومن ثم كان

مهيمنا على قيادة الحركة ، متشبثا بموقعه ، رافضا ضرب المثل لمبدأ « التمصير » بترك موقعه لقيادة مصرية .

من ذلك أيضا ، موقف حدتو من القضية الفلسطينية ، فقد جاء هذا الموقف تعبيرا عن قناعات هنرى كورييل نفسه الذى وقف ـ فى بداية الأمر ـ إلى جانب إقامة دولة عربية ـ يهودية واحدة فى فلسطين ، وكان يحتفظ بصلات وثيقة مع رجال الفيلق اليهودى (الصهاينة) خلال الحرب العالمية الثانية ، وتعاون معهم فى توزيع المطبوعات على الأسرى الألمان والإيطاليين ، وأشاد بهم في مذكراته (سيرته الذاتية) ، و « بشجاعتهم » ، واستاء لعدم إسناد الإنجليز مهام قتالية إليهم خشية تحسين قدراتهم العسكرية (التى كانت تستخدم ضد العرب طبعا) ، وكذلك رأيناه يعمل على إحباط النشاط اليهودى المعادى للصهيونية فى مصر ، ويتهم ذلك النشاط بالمعاداة للسامية ومن ذلك أيضا وصفه لحرب فلسطين عام ١٩٤٨ « بالحرب الإمبريالية الظالمة ضد دولة إسرائيل » .

وعندما صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، أيدت « حدتو » قرار التقسيم ، لأنه نابع من الموقف السوفييتى وقبلت بقيام دولة إسرائيل ، ولم تشاركها فى ذلك منظمات شيوعية مصرية ولا عربية أخرى فيما عدا الحزب الشيوعى العراقى ، ولعل ذلك يفسر اتهام أعداء حدتو لها ـ فى غضون تلك الأيام ـ بالفاشية والصهيونية ، فقد كان موقف حدتو من القضية الفلسطينية يتناقض تماما مع مفهوم « التحرر الوطنى » الذى ظلت تتبناه ، ولا يتفق مع تبنيها لهدف « الوحدة العربية » الذى يفخر به هنرى كورييل ، فكيف تتحقق الوحدة العربية مع وجود الكيان الصهيونى فى قلب الوطن العربى ؟!

وفى المعتقل عام ١٩٤٨ ، كان هنرى كورييل وثيق الصلة بالمعتقلين الصهاينة من اليهود المصريين ، يتعاون معهم تعاونا تاما ، رغم أنه رفض أن يفرج عنه ضمنهم تطبيقا لأحد بنود اتفاقية رودس الخاصة بالهدنة ، والتى كانت تقضى بإخلاء سبيل المعتقلين اليهود وترحيلهم إلى إسرائيل ، كان كورييل يعتقد أن له دورا لابد أن يلعبه على مسرح السياسة المصرية ، وخروجه إلى إسرائيل يفقده مصداقيته ، ويدينه ، ويحرمه من صلاته بمصر ، لذلك رفض أن يقبل الإفراج والرحيل إلى إسرائيل ، حتى لا يكون مدينا بحريته الشخصية لهزيمة الجيش المصرى ، على حد تعبيره .

وقد ظل الموقف من إسرائيل موقفا ثابتا عند هنرى كورييل ، فرغم « تعاطفه » مع موقف مصر خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، إلا أننا نجده يلعب دور همزة الوصل بين العناصر الصهيونية الموجودة بالسجون المصرية . وأسرهم فى إسرائيل من خلال إحدى كوادر حدتو الموجودة بالسجن (انظر رقم ٥ من الوثائق) بل نجده يصدر مذكراته بالدفاع الحار عن الدور الذى لعبه اليهود فى الحركة الشيوعية المصرية ، ويتهم من يثيرون الشكوك حول هذا الدور بمعاداة السامية (نفس المقولات التى اعتاد الصهاينة على ترديدها) وظل حتى

وفاته فى ١٩٧٨ يعمل من أجل سلام عربى - إسرائيلى يحقق التعايش بين العرب والدولة العبرية دون أن يوجه انتقادا للسياسات العدوانية التوسعية لإسرائيل . وإن كان قد لعب دورا هاما فى الحوار بين الفلسطينيين والحزب الشيوعى الإسرائيلى ، كما كانت له صلات وثيقة مع عصام السرطاوى الذى دفع حياته فيما بعد ثمنا لاتصاله بالتقدميين الإسرائيليين (باسم منظمة فتح) .

طرد هنرى كورييل من مصر .

قبل معظم الشيوعيين اليهود الذى اعتقلوا بمعسكر هاكستب عام ١٩٤٨ ، أن يفرج عنهم تنفيذا لشروط هدنة رودس ، وأن يغادروا مصر ، فقد أدركوا أن قيام إسرائيل قد أغلق الطريق أمام إمكانية متابعة العمل بمصر ، بل إن هنرى كورييل نفسه اعترف بأن الشيوعيين اليهود المصريين قد أدوا « دورهم التاريخى » وهكذا خرج الشيوعيون اليهود من المعتقل إلى إسرائيل ، وكانوا قد قرروا الذهاب إلى أحد الكيبوتزات ، والنضال داخل الحزب الشيوعى الإسرائيلى غير أنهم مالبثوا أن غادروا إسرائيل إلى فرنسا حيث التقوا مجددا مع هنرى كورييل ليكونوا - كما سنرى - مجموعة روما .

خرج الجميع إذن ماعدا ثلاثة هم هنرى كورييل ، وجو ماتالون ، وشحاته هارون ، الذين رفضوا أن يفرج عنهم لقاء مغادرتهم البلاد ، وبذلك تم ضمهم إلى الشيوعيين المصريين فى المعتقل حيث ظلوا هناك حتى أفرجت حكومة الوفد عن جميع المعتقلين فى مايو ١٩٥٠ .

عندما خرج هنرى كورييل من المعتقل كان يفكر فى إعادة تنظيم حدتو بعد أن مزقتها محنة الاعتقال والانقسامات ، وإقامة منظمة مصرية علنية للسلام استجابة لنداء ستوكهلم ضد القنبلة الذرية ، فإن إقامة فرع مصرى لحركة السلام العالمية من شأنه أن يساعد على تعبئة الشيوعيين المصريين ، ويجلب العناصر التقدمية إلى الحركة ، كما أن من شأنه أن يخرج الشيوعيين من عزلتهم ويتيح لهم فرصة الحصول على الاعتراف الدولى بهم .

وهكذا ، رغم إدراك هنرى كورييل أن الشيوعيين اليهود المصريين قد أدوا دورهم التاريخى ، إلا أنه استثنى نفسه استثناء يتعارض مع المنطق ، فكيف يستطيع يهودى أجنبى الأصل ، مؤيدا لقيام إسرائيل ، أن يستمر فى قيادة حركة شيوعية مصرية فى بلد كانت قد بلغت فيه القضية الوطنية ذروتها وبدأ العد التنازلى للكفاح المسلح ضد الوجود البريطانى ، كما أن البلاد فى « حالة حرب » من الناحية الرسمية مع إسرائيل ؟ ! لم يستوعب هنرى كورييل تطورات أحداث ١٩٤٨ - ١٩٥٠ ، وظل يتوهم أن دوره لم يصبح بعد فى ذمة التاريخ ، ولو بقى هنرى بمصر لأجبرته حقائق الأمور على الانسحاب بهدوء ، ولكن جاءت نهاية دوره فى مصر على يد أجهزة الأمن التى نجحت فى ابعاده عن البلاد .

وكان جواز السفر المصرى الذي يحمله هنرى كورييل قد سحب منه عند اعتقاله عام ١٩٤٢ ، وأقام دعوى أمام القضاء مطالبا باستعادته ، والاعتراف بجنسيته المصرية ، فقضت محكمة أول درجة برفض دعواه ، ولكن محكمة الاستئناف حكمت بأحقيته للجنسية المصرية وبحقه فى التعويض عما لحقه من أضرار نتيجة حرمانه من جواز سفره المصرى . غير أن وزارة الداخلية المصرية طعنت فى الحكم أمام محكمة النقض ، فقضت المحكمة ببطلان اكتسابه الجنسية المصرية عام ١٩٣٥ على أساس أن هنرى كورييل لم يتخل صراحة عن الجنسية الإيطالية (رغم أن القانون الإيطالى لا يسمح بازدواج الجنسية ، وبذلك يفقد من يحصل على جنسية أخرى ، جنسيته الإيطالية تلقائيا) .

وفور صدور الحكم (٢٥ يوليو ١٩٥٠) ، ألقى القبض على هنرى كورييل لطرده من مصر باعتباره « أجنبيا خطراً على الأمن العام » . وفى ٢٤ أغسطس تم نقله إلى بور سعيد تحت حراسة مشددة ، حيث أجبر على مغادرة البلاد على متن السفينة الإيطالية سوريانتو بعد أن زوده قنصل ايطاليا ببور سعيد (بتدخل من السلطات المصرية) بوثيقة سفر إلى ... إسرائيل !

كانت المحطة الأولى لسوريانتو بعد مغادرتها بور سعيد هى مارسيليا ، وانتهز كورييل فرصة توقف السفينة بها ، وهرع إلى مكتب الحزب الشيوعى الفرنسى فى المنطقة ، حيث روى قصته للمسئولين هناك ، فارتابوا فى القصة وصاحبها وطلبوا منه الرحيل ، فعاد إلى السفينة مرة أخرى لتنقله إلى جنوه حيث أجبر على النزول منها بالقوة (على حد قول جيل بيرو) ، فقد كان يرفض مبدأ الرحيل إلى إسرائيل أو الحياة في إيطاليا ، ويصر على العودة إلى مصر .

وعندما لم يجد مفراً من البقاء فى إيطاليا ، حاول أن يحصل على تأييد الحزب الشيوعى الإيطالى ، حيث قابل الرفيق ريناتو مييلى ـ الذي كان يعيش فى مصر كلاجىء خلال الحرب ويقصر نشاطه السياسي على الجالية الإيطالية ـ ولكن المسئول الشيوعي الإيطالي أبدى نفوره من كورييل وعدم اكتراثه بموضوعه ، وعاد هنرى بخفى حنين ، ورغم ذلك لم ييأس كورييل فتردد ثلاث مرات على مكتب مييلى ليقدم تقارير حول الحركة الشيوعية في مصر والأوضاع السياسية فى البلاد ، ولكن في المرة الرابعة أوصد باب المكتب (قسم العلاقات الخارجية) في وجهه .

هكذا كان موقف الأحزاب الشيوعية الكبرى من هنرى كورييل وغيره من القيادات الشيوعية الأجنبية التى عملت في مصر ، كانت تلك الأحزاب « تحتقرهم » على حد قول كورييل ، وترتاب فيهم دائماً ، وكان الحزب الشيوعي الفرنسي ينظر إليهم باعتبارهم « مثقفين بورجوازيين ، يزعمون أنهم شيوعيون ، ويقضون وقتهم فى تبادل الشتائم » .

ولم يطب المقام لهنرى كورييل بإيطاليا ، فبعد ثلاثة شهور خيرته السلطات الإيطالية بين

السفر إلى إسرائيل (حسب وثيقة السفر التى يحملها) أو مغادرة إيطاليا ، ورفض الحزب الشيوعي الإيطالي - مرة أخرى - التدخل لصالحه ، وأخيراً استطاع التسلل إلى فرنسا بجواز سفر نمساوى قامت زوجته روزيت بتزويره ، وبعدما استقر في باريس لحقت به هناك .

وفى باريس ، راح يطرق أبواب الحزب الشيوعى الفرنسى ، فقابل أندريه مارتى (وكان قد استضافه فى بيته بالقاهرة عام ١٩٤٣) الذى كان أحد مسئولى مكتب المستعمرات ، فنصحه بطلب اللجوء إلى الاتحاد السوفييتى أو تشيكوسلوفاكيا ، فرفض هنرى كورييل الفكرة حتى لا يؤدى ذهابه إلى دول الكتلة الشرقية إلى حرمانه من العودة إلى مصر . ورغم الفتور الذى قوبل به هنرى من جانب الحزب الشيوعى الفرنسى ، إلا أنه واصل طرق باب الحزب عن طريق التقارير التى كان يوافى الحزب بها عن مصر ، والتى كان يرسلها مع رفيقه يوسف حزان ، حتى كانت قضية مارتى الذى أبعد من الحزب عام ١٩٥٢ بسبب اتصاله « بزوجين مصريين مشبوهين » فى إشارة واضحة إلى هنرى كورييل ، فكانت تلك قطيعة نهائية بين الحزب ومجموعة « المصريين » كما كانت تعرف فى أوساط الحزب الشيوعى الفرنسى عندئذ .

كان كورييل وزوجته قد نجحا فى التقرب إلى أندريه مارتى أثناء قدومه من موسكو فى الطريق إلى الجزائر مارا بالقاهرة عام ١٩٤٣ ، وورطاه فى لقاء مع قادة الجنود اليونانيين المتمردين على قوات الحلفاء ، وعندما حانت ساعة الحساب حسبت هذه العلاقة على مارتى ، وخاصة أن المحامى الفرنسى أندريه -فايل كورييل (ابن عمة هنرى) كان قد أدين لتعاونه مع النازيه خلال الحرب . إذن كان مارتى - من وجهة نظر الحزب الشيوعى الفرنسى -على صلة بهنرى كورييل قريب المتعاون مع النازية والذى كان يقوم بنشاط مريب ضد مصلحة الحلفاء فى مصر .

ولم يكن ذلك آخر المطاف فى سلسلة الاتهامات التى وجهتها الحركة الشيوعية الدولية إلى كورييل ، فقد حسبت عليه صداقته لضابط انجليزى بالمخابرات البريطانية هو روبرت براوننج كان يعمل بمصر خلال الحرب ، ويزعم هنرى كورييل أن براوننج كان ماركسيا ، وأصبح بعد الحرب عضوا بالحزب الشيوعى البريطانى ، ولكن عندما أقام معه هنرى كورييل صداقة حميمة كان الرجل ضابطا بالمخابرات البريطـانية ، وتبقى عـلامات الاستفهام حول هذه العلاقة تطارد هنرى .

وجملة القول ، أصبح هنرى كورييل كالجمل الأجرب (كما تقول العرب) يتحاشاه جميع الأعضاء بالأحزاب الشيوعية الأوربية خشية أن تحل عليهم لعنة الاتصال بهذا الشيوعى اللقيط « المشبوه » ترى هل كان لدى الحركة الشيوعية الدولية ما يبرر موقفها المعادى من كورييل وجماعته حقا ؟ سؤال لايزال يبحث عن إجابة رغم الجهود التى بذلها صاحب كتاب « هنرى كورييل ، رجل من طراز فريد » لتبرئة ساحته .

على كُلٍّ لم يحفل هنرى كورييل بموقف الحزب الشيوعى الفرنسى وغيره من الأحزاب الشيوعية الأوروبية ، واستمر يزاول نشاطه من خلال « مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » .

مجموعــــة رومــــا :

عادت مجموعة الشيوعيين المصريين اليهود التى خرجت من معتقل الهاكستب عام ١٩٤٩ إلى إسرائيل ، عادت للتجمع مرة أخرى فى فرنسا ، ولا ندرى لذلك سببا ، ربما أحسوا بالاغتراب فى الكيان الصهيونى بسبب ثقافتهم الفرنسية ، ربما لأن وجودهم بفرنسا يتيح لهم صلات مستمرة مع مصر . ولكنهم - على أية حال - تجمعوا فى فرنسا حول هنرى كورييل حيث كونوا عام ١٩٥١ « مجموعة روما » التى كانت تضم نحو خمسين عضوا من الشيوعيين اليهود المصريين ، وانتخبت المجموعة « لجنة قيادية » تكونت من هنرى كورييل وزوجته ، وريمون أجيون وزوجته ، والفردكوهين ، وريمون استانبولى ، وارمان سيتون، وداود ناحوم ، ويوسف حزان . وكان كل عضو من الأعضاء الخمسين يدفع اشتراكا يعادل ما يتراوح بين ٣٠٪ و ٥٠٪ من دخله (على حد قول يوسف حزان لجيل بيرو) ، واستخدمت تلك الأموال (الوفيرة) لتمويل نشاط المجموعة الذى تمثل فى إصدار نشرة « أخبار مصر » بالفرنسية ، وتقديم المساعدات المالية لمناضلى حدتو المعتقلين فى مصر ، وتغطية نفقات بعض الأعضاء الذين يوفدون إلى الخارج من حدتو لحضور المؤتمرات الدولية ، فضلا عن تغطية نفقات هنرى كورييل وزوجته اللذين تفرغا تماما لأعمال المجموعة ، بينما حقق الأعضاء نجاحا فى مجال التجارة والأعمال المهنية الأخرى .

ظل هنرى كورييل على صلة وثيقة بكوادر حدتو أثناء وجوده بباريس ، فكان يتراسل مع بدر (سيد رفاعى) وحميدو (محمد شطا) وعاكف (محمد خليل قاسم) ، كما كان على اتصال دائم مع الحركة الشيوعية السودانية من خلال راشد (عبد الخالق محجوب) .

كانت كوادر حدتو بعد رحيل كورييل « الذى كان يمسك بين يديه كل الخيوط » - على حد قول أحد رفاقه - يحسون بالضياع ، وخاصة أن شوقى (كمال شعبان) - الرجل الثانى فى الحركة - انسحب تماما من العمل التنظيمى ، ولذلك كانوا يرجعون دائما إلى قائدهم المبعد « يونس » طلبا للمشورة أحيانا ، وللاحتكام إليه أحيانا أخرى .

فعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، كتب أحد كوادر حدتو إلى كورييل يبلغه أن الحركة تراقب الموقف ، فكان رد هنرى المطالبة بالنزول إلى الشارع لتأييد الجيش ، وأيد موقف حدتو المناصر للثورة . على حين ناصبت المنظمات الشيوعية المصرية الثورة العداء ووصفت رجالها « بالفاشيين » و « عصابة بنك مصر » .. الخ ، انسجاما مع موقف الحركة الشيوعية الدولية التى كانت تنظر بارتياب إلى حركة الجيش المصرى وتعتقد أن وراءها أصابع المخابرات الأمريكية .

وتضمنت النشرة التى أصدرتها « مجموعة روما » بعنوان « دراسات ومعلومات حول مصر والسودان » بالفرنسية فى باريس ، مقالا طويلا حلل فيه هنرى كورييل ما أسماه « كتلة الجيش - الشعب » وبين حقيقة التأييد الذى قدمته مختلف قوى الشعب المصرى لحركة الجيش من الطلاب إلى البورجوازية الصغيرة إلى العمال ، وختم مقاله بالتعريض الواضح بموقف الحزب الشيوعى الفرنسى قائلا : « لم تحدث (مؤامرة امبريالية) على هذا القدر من التأييد الشعبى ، إن الجماهير المصرية لا يمكن أن تكون مخدوعة إلى هذا الحد » .

كانت حدتو مطمئنة الى سلامة توجهات الضباط الأحرار الذين كان من بينهم بعض كوادرها الهامة من ضباط الجيش كأحمد حمروش ، ويوسف صديق ، وخالد محيي الدين ، وكذلك القاضى أحمد فؤاد الذى كان على صلة وثيقة بعبد الناصر . ولكن المنظمات الشيوعية المصرية - التى ضبطت بوصلتها على اتجاه الحركة الشيوعية الدولية - وصمت موقف حدتو بالانتهازية .

وجاء حادث كفر الدوار فى أغسطس ١٩٥٢ ، الذى قدم العمال على أثره لمحكمة عسكرية قضت بإعدام المناضلين النقابيين خميس والبقرى ، ليضع حدتو فى موقف بالغ الحرج ، وليؤدى إلى هجوم شديد من جانب الحركة الشيوعية الدولية ، والشيوعيين المصريين على « الدكتاتورية الفاشية » ، واضطرت حدتو أن تغير موقفها من الثورة ١٨٠ درجة ، والتزمت « مجموعة روما » بالخط الجديد ، فأصدرت النشرات التى تندد « بدكتاتورية الكولونيلات الفاشية » ، ووزعت على المشاركين فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ بيانات معادية لعبد الناصر ، رغم أن مؤتمر باندونج أصبح نقطة تحول فى موقف العالم الشيوعى من النظام المصرى الجديد . ولكن ما لبث هنرى كورييل أن عاد لتأييد النظام خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وأصدرت « مجموعة روما » النشرات التى تدافع عن وجهة النظر المصرية وتشجب العدوان .

كان هنرى كورييل يرى أن نظام عبد الناصر لا يمثل حقيقة القيادة التى تحتاجها مصر ، ويعتقد أن التغيير الذى حدث فى مصر إنما جاء نتيجة ازدياد مشاركة الشيوعيين فى قيادة الجماهير الشعبية ، وأن النظام يقود مصر إلى التقدم فى حدود الضغوط التى تمارسها الجماهير عليه ، وأنه وإن كان يتبنى سياسة وطنية استقلالية إلا أنه يعمل لصالح الرأسمالية المصرية أساساً ، كما أن النظام عاجز عن حل مشاكل مصر الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

كان ذلك يمثل رأى هنرى كورييل ومجموعة روما فى ثورة يوليو حتى عام ١٩٥٧ ، وعندما ألقى النظام بالشيوعيين جميعاً فى المعتقلات ، كونت مجموعة روما « لجنة الدفاع عن ضحايا الارهاب فى مصر » ، التى لعبت دوراً هاماً فى مساندة المناضلين المعتقلين ، بتوجيه

النداءات إلى الهيئات السياسية الدولية للإفراج عن المعتقلين ، وإشراك كبار الكتاب والفنانين الفرنسيين فى شجب سياسة العنف ضد الشيوعيين المصريين ، وإرسال محامين لحضور جلسات المحاكمات ، كما لعبت دوراً أهم ـ من الناحية العملية ـ فى مد أعضاء حدتو المعتقلين وعائلاتهم بالمعونات المالية ، فضلاً عن طرود الملابس والأدوية والأغذية التى كان يتلقاها المعتقلون من المجموعة .

وعلى صعيد علاقة المجموعة بحدتو يفيض أرشيف المجموعة بالمراسلات المتبادلة بين هنرى كوربيل والمنظمة فى مصر : تقارير ودراسات ، وآراء تتصل بالمآزق المختلفة التى مرت بها حدتو ، لعل أحرجها « قضية مارتى » وموقف الحزب الشيوعى الفرنسي من هنرى كوربيل ، فقد وصفت المنظمات الشيوعية المصرية المنافسة لحدتو هنرى كوربيل بـ « الجاسوس العالمى من طراز تروتسكى » و« الأفعى والمجرم الدنىء » .

جاء ذلك فى الوقت الذى كانت فيه حدتو تعانى انقساماً جديداً قاده بدر (سيد رفاعى) تلميذ كوربيل ، الذى سارع إلى وصف أستاذه بأنه « شخص مشكوك فيه » ويعلن باسم « حدتو ـ ت . ث » تأييد موقف الحركة الشيوعية الدولية منه ، « لأن يونس كان من أعمدة النزاعات اليمينية والانحرافات » ، وأعلن رفض التيار الثورى « لكل دور يلعبه يونس باسم الحركة الشيوعية المصرية أو كممثل لها » .

وعندما دارت المفاوضات بين المنظمات الشيوعية المصرية فى المعتقل لتكوين « الحزب الشيوعى الموحد » عام ١٩٥٥ ، وشاركت فيها منظمات حدتو ، وحدتو التيار الثورى ، والنجم الأحمر ، وطليعة الشيوعيين ، ونواة الحزب الشيوعى ، وطليعة العمال ، والحزب الشيوعى المصرى ، تقدمت عدة منظمات باشتراط استبعاد يونس (هنرى كوربيل) ، ورفضت حدتو ذلك ، بل نجحت فى منحه مقعداً فى اللجنة المركزية على أن تجمد عضويته فى اللجنة المركزية لحين البت فيها من الحزب الموحد ، وبذلك فقدت حدتو صوتاً من أصواتها العشرة باللجنة المركزية حرصاً على هنرى كوربيل ومجموعة روما ، التى غيرت اسمها لتصبح « مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد » . واستمرت تمارس نشاطها تحت هذا الاسم ، وأصبحت نشرة « أخبار مصر » ـ التى تصدرها المجموعة بالفرنسية فى باريس ـ تتضمن النصوص الفرنسية والانجليزية للبيانات والمنشورات الصادرة عن « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » . وبهذه الصفة ـ أيضا ـ قادت مجموعة روما الحملة الإعلامية المؤيدة لحق مصر فى تأميم قناة السويس ، والمنددة بالعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

وعندما عادت المنظمات الشيوعية المصرية إلى التفاوض من جديد حول الوحدة (عام ١٩٥٧) بعدما عصفت الأقدار بوحدة ١٩٥٥ ، بدأ اللغط يدور حول « مجموعة روما » التى بلغها ذلك ، فسارعت بالكتابة إلى الحزب الجديد تحذر من حل « المجموعة » وتبدى



سينا للنشر

اوراق هنري كورييل

والحركة الشيوعية المصرية

دراسة : دكتور رؤوف عباس
ترجمة : عزة رياض

ولاءها للتنظيم الجديد ، ولكن الوضع تغير ، فلم تعد حدتو تتمسك بمجموعة روما ولا ترى مبرراً لوجودها ، لذلك أصدر « الحزب الشيوعى المصرى المتحد » قراراً بحل المجموعة وفصل أعضائها ابتداء من ١٤ مارس ١٩٥٨ وقد استجابت المجموعة لقرار الحل ، واستمرت فى دعمها للمعتقلين من أعضاء حدتو مادياً ومعنوياً « حتى خروج آخر معتقل » ، على حد قول رفعت السعيد .

وهكذا ، لم يعرف هنرى كورييل كيف يختار الوقت المناسب لينهى دوره ، فى قيادة وتوجيه الحركة الشيوعية المصرية ، رغم يقينه أن « اليهود المصريين قد أدوا دورهم التاريخى » ، فعاد لإحياء ذلك الدور من جديد من خلال « مجموعة روما » وكان عليه أن ينتظر اللحظة التى يطالبه فيها « الحزب الشيوعى المصرى » بالتقاعد . كان المنطق يقتضى ذلك ، وخاصة أن الحزب الشيوعى المصرى كان يسعى للحصول على اعتراف الحركة الشيوعية الدولية به ، فكان عليه أن يتخلص من هذه المجموعة التى أثارت شبهات الحركة الدولية وخاصة فيما يتعلق بمصادر تمويلها ، فلا شك أن مبالغ كبيرة أنفقت على مدى نحو عشر سنوات لا يكفى لتفسير مصدرها ما ذكره يوسف حزان عن تنازل خمسين من اليهود المصريين (الكرماء) عن نحو نصف دخلهم لمساعدة رفاق يعانون العذاب فى معتقلات مصر ، وخاصة أن يوسف حزان يقدر المبالغ التى أنفقت على المعتقلين بنحو مليار ونصف المليار فرنك قديم ، فالنوازع الانسانية لا تلقى وزناً فى الحسابات السياسية ، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمبالغ كبيرة كهذه ، من شأنها أن تثير الشكوك .

○ ○ ○

ولكن هل تقاعد كورييل ؟ .. إن رجلاً من طراز هنرى الذى لا يعرف سوى التنظيم ، والعمل السياسى ، ما كان باستطاعته أن يتقاعد ، لقد نقل اهتمامه السياسي من مصر إلى الجزائر ، وأيد حركة التحرير الجزائرية واعتقل مع قادتها ، وبعد نجاح الثورة الجزائرية كان من بين مستشارى أحمد بن بللا .

كذلك جعل كورييل من قضية إقامة سلام بين العرب وإسرائيل هدفاً استراتيجيا سعى فى سبيل تحقيقه إلى استخدام علاقاته مع الحزب الشيوعى الإسرائيلى ، وبعض عناصر منظمة التحرير الفلسطينية فضلاً عما قيل عن علاقاته ببعض حركات التحرير الأفريقية ، وما ذكرته المصادر الفرنسية عن صلات تربطه ببعض المنظمات الإرهابية .

ورجل كهنرى كورييل ، يترك الساحة المصرية مضطراً ليتحرك على هذا النطاق الواسع ، لابد أن يتقاطع طريقه مع طرق العديد من أجهزة المخابرات الدولية ، التى ربما كان أحدها وراء اغتياله بعد ظهر الرابع من مايو ١٩٧٨ ، وهو يهم بمغادرة مصعد بيته فى باريس فى طريقه إلى درس اليوجا ، ثم لقاء شخصية أعطاها اسماً كودياً « الدكتور » قيل فيما بعد أنه عصام السرطاوى .

ومهما كان الأمر ، فإن الدور الذى لعبه هنرى كورييل فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ومعه تلك المجموعة من البورجوازيين اليهود ، وإن أدى إلى جعل الفكر الاشتراكى مطروحاً بشكل أكثر إلحاحاً على الساحة السياسية فى مصر ، وجعل الفكر الماركسى متاحاً باللغة العربية لأول مرة ، (على نحو ما أشرنا من قبل) وكذلك ساعد على إعداد الكوادر المصرية من العمال والمثقفين ممن لعبوا أدواراً مختلفة القيمة والعمق فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، إلا أنه أورث الحركة الشيوعية المصرية ، داء الانقسام ، والاهتمام بالحركة على الصعيد السياسي دون إعداد نظرى كاف ، وغياب التحليل الدقيق للواقع المصرى ، وإن كان كورييل يزعم أن حدتو توصلت لمثل هذا التحليل الذى لم يصلنا .

وبغض النظر عن الاتهامات التى كيلت لهنرى كورييل على صعيد الحركة الشيوعية الدولية ، ومن جانب المنظمات الشيوعية المصرية المتصارعة ، فإن الحقيقة التاريخية تظل ماثلة للعيان ، فقد قدم كورييل مساهمة هامة فى تاريخ الحركة تمثلت فى تأسيس أكثر التنظيمات استمراراً ، وأوضحها رؤية للواقع السياسى المصرى رغم ما عاناه ذلك التنظيم من الانقسامات والانشقاقات ، فضلاً عن كونه (حتى صدور قرار الحل عام ١٩٦٥) التيار الأوسع قاعدة بين المنظمات الشيوعية المصرية .

ولعل ذلك يضفى قيمة خاصة على هذه المجموعة من الوثائق التى تلقى الضوء على تاريخ الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات ، وإن كان ذلك من وجهة نظر تنظيم معين ، وقيادة بذاتها ، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمتها التاريخية ومن أهميتها .

مراجع الدراسة :

- جيل بيرو : هنرى كورييل ، رجل من طراز فريد ، بيروت ١٩٨٦ .

- رءوف عباس : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢ ، دار الكاتب ١٩٦٧ .

- رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ، دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧ . منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧ ، دار الثقافة الجديدة ١٩٨٣ . تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ١٩٥٧ - ١٩٦٥ ، القاهرة ١٩٨٦ .

— Agwani, M.S. : Communism in the Arab East, calcutta 1969.

— Bashear, S. ; Communism in the Arab East 1918 - 1928, Ithaca press, London 1980.

— Laqueur, W : Communism and Nationalism in the Middle East, London 1956 .

أوراق هنري كورييل

هذه المجموعة من الوثائق التى أطلقنا عليها اسم « أوراق هنرى كورييل » جاءت من بين مجموعة كبيرة من التقارير والدراسات والمراسلات السرية ، يتضمنها أرشيف « مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ، التى كونها هنرى كورييل والشيوعيون اليهود المصريون فى باريس ، والتى أشرنا إلى جانب من نشاطها فى الدراسة السابقة ، وكان هنرى كورييل يكتبها ، ثم يدفع بها إلى زوجته روزيت فتنسخها على الآلة الكاتبة لتحفظ بالأرشيف الخاص بالمجموعة ، ثم تقوم بنسخها مرة أخرى بالحبر السرى لترسل إلى أحد كوادر حدتو بالقاهرة ، إما مع أفراد يوثق بهم من بين المسافرين إلى مصر ، أو مع رسل يوفدون خصيصاً لهذه المهمة مثل جويس بلو (وهى يهودية جاء والدها من أصل رومانى وأمها من أصل تونسى ، أقامت أسرتها فى مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر) التى حملها كورييل رسائل خاصة لحدتو فى يناير ١٩٥٤ ، واستمرت تعمل على خط الاتصال بين باريس والقاهرة ، ثم ما لبثت أن وقعت فى أيدى البوليس وقضت عدة شهور بسجن القلعة ثم أفرج عنها بضغوط دولية ، وكذلك لعبت يهودية أخرى من كوادر حدتو نفس الدور هى نعومى كانل حتى أثناء وجودها بسجن القناطر الخيرية لمدة خمس سنوات (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) . ورغم ذلك لم تعدم كوادر حدتو بمصر ، ولا هنرى كورييل السبيل لتأمين خطوط الاتصال .

وكانت نتيجة هذا كله ، ذلك الأرشيف الذى تحتفظ به الآن « جماعة أصدقاء هنرى كورييل » فى باريس ، واستطاع عدد من الباحثين الأجانب الاطلاع عليه ، واستطاع رفعت السعيد أن يطلع على بعض هذه الوثائق أيضا . ومن الطريف أن رفعت السعيد أشار إلى اطلاعه على النص العربي لبعض هذه الوثائق بخط اليد ، ورجح أن يكون كاتبها هو هنرى كورييل ، رغم أنه من الثابت أن هنرى كورييل لم يتعلم العربية قراءة أو كتابة ، وأنه كان يتكلم عربية عامية ركيكة . ولو كان يعرف العربية حقاً لكتب بها تقاريره التى كانت تصل إلى كوادر حدتو بالفرنسية ، ثم يقوم أحد الرفاق بترجمتها إلى العربية ، كما كان ـ فى الغالب ـ يكلف أحد زملائه من « مجموعة روما » بترجمة بعضها إلى العربية عندما تكون المراسلة خاصة ، وموجهة لشخص لا يعرف الفرنسية .

والمجموعة التى بين أيدينا والتى ننشر ترجمة عربية دقيقة لها تنقسم الى خمسة أقسام ، وهى على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للدراسات الخاصة بتاريخ الحركة الشيوعية المصرية . وتأتى فى مقدمتها « السيرة الذاتية » التى كتبها هنرى كورييل أثناء اعتقاله بفرنسا (أكتوبر - ديسمبر ١٩٧٧) وقدم فيها « ذكرياته » عن الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٤٨ ، والأصل الذى وصل إلينا منسوخاً على الآلة الكاتبة من المسودات التى كتبها كورييل أثناء اعتقاله الثانى والأخير بفرنسا . أما القسم الثانى فيتضمن تقريراً عن نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨ ، وهو أيضا منسوخ على الآلة الكاتبة ويحمل غلافه إشارة إلى أنه كتب فى سبتمبر - أكتوبر ١٩٥١ . والقسم الثالث ، يتضمن تقريراً عن المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى عام الوحدة (مايو ١٩٤٧ - يونيو ١٩٤٨) ، وأصله منسوخ - كذلك - على الآلة الكاتبة ويحمل إشارة إلى أنه كتب فى نهاية ١٩٥٥ . ومن الواضح أن التقريرين كتبا فى ظروف تاريخية معينة ، فقد كتب تقرير عام ١٩٥١ ، عقب خروج هنرى كورييل من مصر ، ربما لتستعين به القيادة الجديدة لحدتو فى تحديد مراحل نضال المنظمة لأعضائها الجدد ، وخاصة أنها كانت تعانى التمزق والتشتت بعد غياب هنرى كورييل واعتكاف كمال شعبان ، أما التقرير الثانى (عام ١٩٥٥) فلعله كتب بمناسبة مفاوضات الوحدة التى كانت تدور بين المنظمات الشيوعية المصرية ، بهدف الاستفادة من دروس وحدة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .

أما القسم الرابع الذى أطلقنا عليه اسم « وثائق مجموعة روما » مجازاً فلا يتضمن « كل » الوثائق ، وإنما يتضمن بعضها ، وهى عبارة عن تقارير كتبها هنرى كورييل فيما بين ١٩٥١ - ١٩٥٨ ، باسم مجموعة روما ، ولا تتضمن تلك المراسلات التى كانت تصل إلى المجموعة من مصر (والتى يذكر رفعت السعيد أنه اطلع على بعضها) لأنها لم تصل إلينا ، كذلك الحال بالنسبة للبيانات والنشرات التى كانت تصدرها « مجموعة روما » فى المناسبات السياسية المختلفة ، لم نتمكن من الحصول عليها أيضا . غير أن هذه المجموعة التى يضمها القسم الرابع لها أهميتها التاريخية من حيث تحديد علاقة « مجموعة روما » بالحركة الشيوعية المصرية .

وأخيراً يتضمن القسم الخامس رسالتين شخصيتين من هنرى كورييل إلى نعومى كانل وهى يهودية غير محددة الجنسية ، نشأت بمصر وكانت من كوادر حدتو ، تعمل بالتدريس والعزف على الكمان ، ألقى القبض عليها فى قضية « الجبهة » عام ١٩٥٤ ، وحكم عليها بالسجن خمس سنوات . ومن الطريف أن الرسالتين أرسلتا لها فى السجن ، وقد رأينا نشرهما لأنهما تتضمنان رأى هنرى كورييل ، فى نظام ثورة يوليو ، كما تشيران إلى علاقاته

بالإسرائيليين ، وأصل الرسالتين منسوخ على الآلة الكاتبة ويحمل إشارة بالقلم الرصاص فى هامشه الأعلى إلى أنه موجه إلى نعومى كانل .

وفيما يلى نقدم عرضاً نقدياً لكل قسم من الأقسام الخمسة من « أوراق هنرى كورييل » أو وثائق « مجموعة روما » التى ننشرها فى هذا الكتاب .

أولاً : هنرى كورييل سيرة ذاتية :

هناك ثلاثة أنواع من المذكرات الشخصية : اليوميات ، وهو التى تكتبها الشخصية السياسية أولاً بأول فتضمنها رؤيتها للأحداث عند وقوعها ، وهى تعد على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية كمصدر لدراسة الدور الذى لعبته الشخصية المعنية فى الحياة العامة ، لأنها أقرب إلى « المادة الخام » التى لم تنل منها يد التغيير أو التبديل أو التحريف ، وغالباً ما تكون بمثابة رجع الصدى لفكر كاتبها .

والنوع الثانى هو « المذكرات » وهى التى تكتبها الشخصية السياسية بعد انتهاء دورها فى الحياة العامة ، وقد يعتمد كاتبها على يومياته يتخير منها ما يريد اطلاع الرأى العام عليه ، وتتخذ ـ عادة ـ طابع التبرير لمواقفه السياسية ، والتستر على السلبيات ، وإبراز الإيجابيات ، ومن ثم كانت أقل قيمة من « اليوميات » كمصدر لدراسة تاريخ الحقبة التى لعبت فيها الشخصية صاحبة المذكرات دورها السياسي .

أما النوع الثالث فهو « الذكريات » وهى التى تكتبها الشخصيات العامة بعد إسدال الستار على الدور الذى لعبته على المسرح السياسي ، وإطفاء الأضواء ، وانصراف النظارة بوقت طويل ، وفى هذه الحالة يحاول الكاتب اعتصار ذاكرته يستدعى حوادث الماضى ، ثم يعرضها وقد تأثرت ببعد العهد ومضى السنين ، وكثيراً ما يؤدى ذلك إلى تشابك المعلومات وتداخلها ، وفقدان الكثير من التفاصيل الهامة ، فضلاً عن طابع التبرير والمبالغة والتحريف الذى يغلب على هذا النوع من المذكرات الشخصية ، ومن هنا كانت « الذكريات » دائماً مصدراً محدود القيمة بالنسبة للمؤرخين ، يتعاملون معه بحذر شديد ، ويخضعون معلوماته للنقد والتدقيق .

و« السيرة الذاتية » لهنرى كورييل تنتمى إلى القسم الأخير ، « الذكريات » فهو هنا يعيد تركيب صورة الماضى بعد انقضاء ما يزيد على ربع قرن على وقوع أحداثها ، ولذلك تتشابك فيها الأحداث وتتقاطع ، فكثيراً ما نجده يتوقف أثناء سرده للأحداث أمام شخصية معينة فيروى قصته معها ، أو جزئية معينة فيحدثنا عن بعض تفاصيلها ، ثم يعود مرة أخرى ليصل سياق ما كان يتحدث عنه من قبل . كذلك يخلط بين بعض الأحداث ، فيجعل طه حسين ـ مثلاً ـ وزيراً للتعليم فى حكومة الوفد ١٩٤٢ وليس ١٩٥٠ .

كذلك تتخذ السيرة الذاتية لهنرى كورييل طابع التبرير والدفاع عن المواقف التى اتخذها ، والعلاقات التى ارتبط بها ، والتى كانت موضع شبهة « الخصوم »

و « المنافسين » و « الأعداء » على حد تعبيره ، بقدر ما كانت موضع شبهة « الأحزاب الشقيقة » في الحركة الشيوعية الدولية .

فنجده يستهل « ذكرياته » بالتلميح إلى الانتقادات التى يوجهها بعض المؤرخين للحركة الشيوعية المصرية ، من أنها كانت تخضع لقيادة يهودية أجنبية ، وأنها لم تضرب بجذورها فى الريف المصرى ، وأنها كانت على درجة من التخلف من ناحية التنظيم .. إلخ . ويرى أن تحليل حركة شيوعية من خلال « ما لم تحققه » يمثل نظرة سياسية محدودة ، ويتساءل عما حققه أولئك « الوعاظ » !

ويكاد يدور محور « سيرته الذاتية » حول الرد على الاتهامات التى طاردته حتى وفاته : « الانتهازية » ، و «الانحراف اليمينى » و « العمالة للمخابرات البريطانية » ، و« العمالة للمخابرات السوفيتية » ، وهى اتهامات جاء بعضها من منظمات شيوعية مصرية منافسة ، أو من أحزاب شيوعية دولية ، وبعضها تفجر مع قضية مارتى الشهيرة فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، وهو هنا يروى الأحداث التى جلبت إليه هذه الاتهامات (من وجهة نظره) بينما نجده لا يقدم تفسيراً لقضية تمويل نشاط الحركة (مثلاً) الذى كان موضع الشبهات ، ويقطع حبل « الذكريات » عند حرب فلسطين ، فلا يوضح لنا كيف تبنت حدتو ـ على يديه ـ مبدأ القبول بقيام إسرائيل ، وإمكانية قيام « تعايش » عربى ـ إسرائيلي فى الشرق الأوسط ، هذا الموقف الذى عرض التنظيم ذاته للتشقق والانقسام ، وجلب عليه سخط الكثير من المنظمات الشيوعية المصرية ، بل نجده يسقط ـ تماماً ـ صلاته بالحزب الشيوعى الفلسطيني قبل ١٩٤٨ . حقاً تفلت منه بعض العبارات هنا وهناك عندما يشير إلى حرب فلسطين على أنها « الحرب الظالمة ضد إسرائيل » أو « الحرب الامبريالية ضد إسرائيل » ، ولكنه يترك القارىء فى منتصف الطريق دون تحديد لمعالم اتجاهه نحو القضية الفلسطينية .

وهكذا ، فيما يتعلق بالاتهامات و « الشبهات » التى حامت حوله ، نجده دائماً يلبس ثياب « الشهيد » دون أن يقدم تفسيراً مقنعاً فى كثير من الأحيان ـ لانطلاق هذه الاتهامات حوله من كل حدب وصوب ، سوى إشارته إلى قصر النظر السياسي للخصوم ، وبعد نظره هو ، وقد يجد تفهماً من القارىء لتقديم قضية التحرر الوطنى على الإعداد النظرى وبناء التنظيم فى مرحلة « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » أو لتبنى هدف الوحدة العربية ، أو لموقف حدتو المؤيد لثورة يوليو على استحياء ـ أحياناً ـ وصراحة أحياناً أخرى ، ولكن تظل الغيوم تلف الكثير من المواقف الأخرى التى تحتاج إلى إيضاح كلما كان الأمر يتعلق بشخصه .

أما فيما يتعلق بالمنظمة التى أسسها ، نجده أقرب ما يكون إلى الموضوعية ، وأكثر اتساقاً ووضوحاً ، بل نجده يمارس النقد الذاتى ـ أحياناً ـ فيراجع مواقف اتخذتها

المنظمة (بإيحاء منه) ، أو ينتقد خطأ تنظيمياً وقعت فيه المنظمة ، أو تكتيكاً معيناً اتخذته ونجده يعطى لبعض الكوادر المصرية التى عملت معه حقهم من التقدير ، حتى أولئك الذين تنصلوا منه عندما أثار الحزب الفرنسى الشكوك حوله أثناء تفجر قضية مارتى ، مثل بدر (سيد رفاعى) . أو أولئك الذين انضموا لخصومه أيام صراعات وحدة ٤٧ ـ ١٩٤٨ مثل محمد شطا ، ولكنه يصب جام غضبه على الكوادر المصرية التى طالبت بتمصير قيادة الحركة وإبعاد يونس (كوربيل) عنها ، ويتهمهم « بالعنصرية » و «الشوفينية » .

ورغم ذلك كله تعد « السيرة الذاتية » لهنرى كوربيل مصدراً هاماً لدراسة تلك السنوات السبع ، الحافلة بالنشاط والحركة من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، منذ تأسيس « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » حتى نهاية تجربة وحدة ٤٧ ـ ١٩٤٨ التى أسفرت عن قيام « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » (حدتو) فهى فى نهاية الأمر شهادة مسجلة لشخصية لعبت دوراً هاماً فى قيادة وتوجيه منظمة من أهم المنظمات الشيوعية يمكن أن تقارن بشهادات أخرى للقيادات التى شاركت فى هذه المنظمة أو غيرها من المنظمات الشيوعية الأخرى .

ولعل نشر هذه « الذكريات » يشجع بعض قدامى المناضلين على تسجيل شهاداتهم التى لن يتمكن الباحثون من كتابة تاريخ دقيق للحركة الشيوعية المصرية في غيبتها وغيبة الوثائق التى تتصل بهذا التيار السياسي المتشعب الجذور .

ثانياً : نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية في مايو ١٩٤٨ .

كتب هذا التقرير عام ١٩٥١ ، بعد طرد هنرى كوربيل من مصر بنحو عام كامل ، عانت حدتو خلاله الكثير لغياب يونس ـ الذى « كان يجمع بين يديه كل الخيوط » على حد قول ايمى ستون ـ واعتزال شوقى (كمال شعبان) ذراعه اليمنى ، فضلاً عما كانت تعانيه المنظمة من آثار ضربة ١٩٤٨ التى قذفت بأكثر من مائة من أعضائها إلى المعتقل لمدة تقرب من العامين .

ويشير هنرى كوربيل فى مقدمة التقرير ـ الذى كتب على عجل ـ إلى أنه يهدف من كتابته إلى الرد على « الافتراءات والانتقادات » التي يوجهها « التيار الانتهازي » فى الحركة الشيوعية المصرية (ويقصد بذلك جميع المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى) ضد « التيار الثورى » الذى تمثله « حدتو » ! كما أنه كتبه بهدف « التذكير بأعمال أولئك الذين حاولوا إنشاء حزب شيوعى مصرى » ، ويقصد بذلك نفسه بطبيعة الحال .

الهدف من كتابة التقرير ـ اذن ـ يحدد طبيعته ، فهو « مذكرة دفاعية » عن حدتو ، والمذكرات الدفاعية تتجه غالباً إلى انتقاء الحجج وتسعى ـ دائماً ـ لستر العورات . ومن

هنا جاء تقرير هنرى كورييل مركزاً على « الإنجازات » التى حققتها كل من « حمتو » و« حدتو » بقيادته ، مع قدر كبير من المبالغة ـ أحياناً ـ والتهويل أحياناً أخرى اقتضاهما الموقف الدقيق الذى دفعه لكتابة التقرير .

وهنا نجد هنرى كورييل يقدم عرضاً موجزاً لتطور الحركة منذ إنشائها عام ١٩٤٣ ، مسقطاً من اعتباره منظمة « تحرير الشعب » على نحو ما فعل في سيرته الذاتية ، فهو لا يشير إليها إلا عرضاً ، أما فى هذا التقرير فنجده يسقطها تماماً ، رغم أنها أسبق من « اسكرا » التى يضعها دائماً مع « حمتو » على طرفى نقيض .

ويبالغ التقرير فى الدور الذى لعبته « حمتو » فى الحركة العمالية فينسب إليها إضرابات عمال المحلة الكبرى ، وعمال شبرا الخيمة عام ١٩٤٥ من منطلق وجود بعض كوادر حدتو ـ المحدودة العدد عندئذ ـ بين قادة هذه الاضرابات ، ويبرز الجهود التى بذلتها « حمتو » فى العمل على إيفاد ممثلين للنقابات العمالية المصرية إلى مؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات ويغفل الدور الذى لعبته كل من « اسكرا » و « الفجر الجديد » فى هذا المجال ، بل إن « الإنجاز » كله كان درامى الطابع أدى إلى نشوب الخلافات بين القيادات النقابية وبعضها البعض . وصرفها حينا عن النضال من أجل تحسين الأوضاع البائسة للطبقة العاملة المصرية عند نهاية الحرب العالمية الثانية .

و« الحركة المصرية للتحرر الوطنى » هى التى دفعت العمل الوطنى ـ فى رأيه ـ بعد الحرب فى الاتجاه الذى أدى إلى علو المد الوطنى عام ١٩٤٦ ، وهى التى كانت وراء تشكيل « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » ، ولعبت الدور الرئيسي فى قيادتها . وبالطبع يختلف ذلك تماماً مع حقائق التاريخ ، فقد كانت « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » مبادرة طلابية ، لعبت فيها قيادات الحركة الطلابية ـ على اختلاف توجهاتها السياسية ـ الدور الأكبر لإقامة « جبهة وطنية » تضم ممثلى الأحزاب البورجوازية والجماعات الماركسية والإخوان المسلمين (الذين خرجوا من الجبهة بعد قليل) ، وإن كان يسجل لقيادات حمتو الطلابية وكذلك شباب الطليعة الوفدية فضل ضم الحركة العمالية إلى اللجنة ، وكانت مقاعد اللجنة موزعة بين الاتجاهات السياسية المختلفة .

ولكن الحقيقة أبدا لا تموت ، فرغم تضخيم هنرى كورييل للدور الذي لعبته منظمته فى أحداث ١٩٤٦ حتى جعلها القائد والمحرك ومصدر الإلهام ، نجده يذكر لجنة التنسيق بين الجماعات الماركسية فى الحركة الطلابية ، كما يذكر دور العناصر التقدمية الوفدية (يعنى بذلك الطليعة الوفدية) .

ويعرض التقرير للموقف من القضية الفلسطينية بطريقة تبريرية أيضا ، فالمنظمة امتنعت عن الاشتراك فى المظاهرات « المعادية للسامية » على حد تعبيره فى نوفمبر ١٩٤٥ لأن الإخوان المسلمين دعوا إليها « بتحريض من الامبريالية والحكومة المصرية » لصرف

الأنظار عن القضية الوطنية ، فطالبت « حمتو » بالاستقلال ، وجلاء الجيوش الأجنبية وحق تقرير المصير للعرب واليهود فى فلسطين « ورفعت الشعارات المعادية للامبريالية والرجعية العربية والصهيونية » ، ونجده يشير فى نهاية التقرير إلى موقف « حدتو » عام ١٩٤٧ المؤيد لتقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية ، الذى أثار ضجة داخل حدتو نفسها ، وبين المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى ، ومن الطريف أن هنرى كورييل أعرب عن « أسفه » ـ فى سيرته الذاتية ـ من عدم مشاركة « حمتو » فى مظاهرات نوفمبر ١٩٤٥ التى نظمت بمناسبة ذكرى « وعد بلفور » .

وعند حديثه عن مرحلة الوحدة التى أسفرت عن قيام « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدتو) نجده يغفل ذكر الانقسامات والصراعات التى دارت داخل الحركة ، وخاصة مايتعلق منها بتمصير القيادة ، وما نجم عنها من ظهور منظمات جديدة ناصبت حدتو العداء ، ويكتفى بتعداد مظاهر النشاط الحركى لحدتو بين صفوف العمال والطلبة ، واشتراكها فى حملة مقاومة « الكوليرا » إلى غير ذلك من مظاهر النشاط السياسى الحركى .

لقد أعد التقرير لتستخدمه « حدتو » أداة للدفاع عن نفسها ضد هجمات خصومها على صعيد الحركة الشيوعية المصرية فى فترة من أحرج فترات تطورها (عام ١٩٥١) ، وهو ـ كما قلنا ـ مذكرة دفاع تبرز إيجابيات الحركة ، وتلقى أضواء باهرة عليها ، ولكن التقرير رغم ذلك يقدم معلومات هامة حول أسلوب عمل المنظمة التى لعب هنرى كورييل الدور الرئيسى فى قيادتها .

ثالثاً : المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى عام الوحدة (مايو ١٩٤٧ ـ يونيو ١٩٤٨) :

لعل هذا التقرير من أهم وأخطر ما تتضمنه هذه المجموعة من الوثائق ، لأنه يتناول تجربة الوحدة الأولى فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية المعاصرة ، ولأن هنرى كورييل نقل وجهات نظر الخصوم كما هى ، وإن كان قد فسرها من وجهة نظره الشخصية ، فأجرى « فرزاً » لمؤيديه ومعارضيه ، فالأولون يمثلون « التيار الثورى » أما الآخرون فيمثلون « التيار الإصلاحى الانتهازى » . وهنرى لا يعترف فى هذا التقرير بأخطائه ـ ولا ننتظر منه ذلك بالطبع ـ وإن كان قد اعترف بخطأ واحد فى « سيرته الذاتية » عند الحديث عن الوحدة هو أنه كان يفرط فى حسن النية فى الآخرين وفى إمكانية قيام وحدة حقيقية ، وهو اعتراف مجرد من القيمة لأنه يعنى ـ فى نهاية المطاف ـ أن كورييل كان دائما على حق ، وأن خصومه كانوا موغلين فى الخطأ .

جمع كورييل كل الأوراق فى يده ، فرغم المساواة العددية ـ تقريباً ـ بين « حمتو » و« اسكرا » ، خرجت منظمته بنصيب الأسد عند توزيع مقاعد القيادة ، وجميع من تم اختيارهم من « حمتو » كانت تربطهم بهنرى روابط وولاء ، لذلك كان « الرفيق يونس »

يمسك زمام القيادة وحده ، بعد أن نجح فى زحزحة الرفيق « شندى » (هلل شوارتز) ، وهو يقف إلى جانب « التمصير » ويعمل من أجله ، فإذا تعالت أصوات الأعضاء من بعض المثقفين المصريين تطالب بتمصير القيادة ، ضاق هنرى كورييل ذرعا بها ، واتهم أصحابها بالشوفينية والانتهازية ، لأن تمصير القيادة يعنى تنحيته عنها . فكان لابد أن يترتب على هيمنته على قيادة الحركة ، وتمسكه بموقعه أن تفجر التنظيم من الداخل إلى « تكتلات » ، وأقسام متناقضة مع القيادة التى كانت تحظى بتأييد معظم أعضاء « حمتو » القدامى .

لقد بدا الأمر كله ، وكأن « حمتو » تريد احتواء الحركة الشيوعية المصرية ، وتفرض عليها توجهاتها ، وخاصة ما اتصل منها بالقضية الفلسطينية : القبول بقيام إسرائيل وسط إجماع شعبى على عروبة فلسطين ، والحرص على « مشاعر » القواعد اليهودية للحركة بحى الظاهر بالامتناع عن مقاومة الصهيونية واعتبار أية محاولة من هذا النوع « مؤامرة امبريالية » و« معاداة للسامية » .

ثم هناك موقفه الغريب من شعار « التعميل » الذى نادى به وضمنه برنامجه السياسى الذى عرف باسم « خط الرفيق يونس » ، فهو يرى فى « التعميل » توسيع قاعدة الانتشار بين العمال ، بينما يرى خصومه فى « التعميل » رفع الكفاءة النظرية للكوادر العمالية وتأهيلها للقيادة . لذلك نجده يندد بانتهازيتهم ، ويصب عليهم جام غضبه ، ويدين من أيدوا وجهة نظره من رفاقه العمال ، حتى ولو كان « حميدو » (محمد شطا) - صاحب التجربة النضالية العريضة بين عمال شبرا الخيمة - من بين أولئك المؤيدين وهو الذى كان موضع تقدير هنرى فى « سيرته الذاتية » وعده من بين أساتذته الذين تعلم منهم الكثير .

كان الهدف من الوحدة - كما يتضح من التقرير - تهيئة الظروف الموضوعية الملائمة لإقامة « حزب شيوعى مصرى » ، وكان ذلك يعنى صهر المنظمتين المتحدتين فى بوتقة واحدة ، وكان ذلك يتطلب « نظرية مصرية للثورة » على حد تعبير هنرى كورييل ، ولكن كيف تصاغ مثل هذه النظرية فى غياب دراسة دقيقة لواقع المجتمع المصرى وتناقضاته الأساسية ، وهو ما كان يجب التركيز عليه باعتباره « المهمة العاجلة » للحركة ، التى كان من بين أعضائها ، المثقفون القادرون على الاضطلاع بهذه المهمة ، غير أن هنرى كورييل - على مايبدو من هذا التقرير - نصب نفسه « المُنَظِّر » الوحيد للحركة رغم أن خبراته بالواقع المصرى كانت متواضعة دون شك .

لقد كانت الحركة تضع أقدامها على الطريق السياسى الصحيح بتبنيها لمبدأ « التحرر الوطنى » ، واتجاهاتها « الجبهوية » من خلال تحالف البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة فى مرحلة النضال من أجل الاستقلال الوطنى ، ولكن كيف يقود « التحرر الوطنى » فى بلد خاضع للاحتلال ، تنظيم يضم ٢٦٪ من الأجانب (معظمهم من البورجوازيين الكبار) ؟! بل كيف يستطيع التنظيم أن يحقق هذه الغاية بقيادة أجنبى يتحدث العربية بصعوبة ، حتى لو كان يحمل الجنسية المصرية ؟!

وأخيراً ، كيف تتجزأ مهمة « التحرر الوطنى » فتوجه فى مصر ضد الوجود الأجنبى ، وتقبل - فى فلسطين - بذلك الوجود ؟! بل وكيف يتسق هذا مع هدف « الوحدة العربية » الذى آمنت به « حدتو » ؟!

هذه كلها تساؤلات ، يكمن فى الإجابة عليها جوهر الصراع الذى دار داخل « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ، والذى انتهى بفرز لعناصر « حمتو » ، وتوزع عناصر « اسكرا » مع بعض أفراد من « حمتو » بين عدد من التنظيمات الصغيرة ، التى غرقت - ومعها حدتو - فى صراع يدور حول محور الشجب والتنديد وتبادل الاتهامات ، بما ترتب عليه من آثار بالغة السلبية على مسيرة الحركة الشيوعية المصرية .

ومن هنا تأتى أهمية هذا التقرير الذى أعده هنرى كورييل - على مايبدو - ليسترشد به قادة « حدتو » أثناء مفاوضات وحدة ١٩٥٥ التى أسفرت عن تأسيس « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » ولكن دون الاستفادة من دروس وحدة ١٩٤٧ ، فكان التمزق والتشرذم والانقسام .

رابعاً : وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (مارس ١٩٥١ - أبريل ١٩٥٨) :

هذه المجموعة من الوثائق - وعشرات غيرها لم نحصل عليها - تعكس نوع العلاقة بين حدتو و« مجموعة روما لحدتو » التى كونها هنرى كورييل بباريس عام ١٩٥١ ، وظلت تعمل تحت اسم « مجموعة روما للحزب الشيوعي المصري الموحد » حتى أصدر المكتب السياسى « للحزب الشيوعى المصرى المتحد » (عام ١٩٥٧) قراراً بحلها فى بداية عام ١٩٥٨ ، عقدت على أثره مؤتمراً بأحد مطاعم باريس فى أبريل ١٩٥٨ ، اتخذت فيه قرارات صدرتها بقبول قرار الحل ، وإن ظلت تمارس نشاطها فى الدفاع عن المعتقلين الشيوعيين ومد يد العون المادى لأعضاء حدتو المعتقلين حتى نهاية محنة الاعتقال .

ورغم أن الوثائق التى يتضمنها هذا الكتاب جاءت كلها من أرشيف « مجموعة روما » إلا أننا رأينا أن نصنف الوثائق التسع التى يتضمنها القسم الرابع تحت عنوان « وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ، لأن المجموعة كانت دائما تعد نفسها امتداداً لحدتو بالخارج من ناحية ، ولأن هذه الوثائق - بالذات - توضح للقارىء أسلوب التعامل بين المجموعة وحدتو ، وطبيعة العلاقة بين « هنرى كورييل وجماعته » - كما سماهم خصوم حدتو - وبين حدتو خاصة ، والحركة الشيوعية المصرية عامة .

وتكتسب هذه المجموعة أهمية تاريخية خاصة ، لأنها أرسلت من هنرى كورييل لبعض ثقاته من قادة حدتو ، ولم تكن - فى معظمها - موجهة للجنة المركزية أو لقواعد المنظمة ، ولذلك مارس فيها هنرى كورييل النقد الذاتى لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية منذ

الأربعينيات ، وكان أقل حدة فى الحكم على خصوم حدتو ، وإن لم يرفع عنهم وصف « الانتهازيين » ، وأقرب إلى الموضوعية فى تناول نقاط الخلاف معهم .

ورغم حرص هنرى كورييل ـ فى مراسلاته وتقاريره المرسلة لحدتو على وجه الخصوص ـ على التأكيد على أنه لا يهدف إلى قيادة الحركة من الخارج ، إلا أن هذه التقارير ـ كما يلاحظ القارىء ـ تضمنت الكثير من التوجيهات للمكتب السياسى واللجنة المركزية ، واستمراره فى موالاة المنظمة بها يعنى أن تلك « التوجيهات » كان لها وزنها عند قيادات الحركة ، أو خلصائه بينهم على أقل تقدير .

ففى التقرير الأول ـ من هذه المجموعة ـ المرسل من ميلانو بإيطاليا فى مارس ١٩٥١ قبل انتقاله إلى باريس ـ الذى يدور حول توسيع نشاط الحركة والانتشار بين الجماهير ، نجده يزود المنظمة بتوجيهات تنظيمية لتحقيق هذه الغاية ؛ مثل محاربة التردد وكشف جذوره ومعالجة أسبابه ، والاهتمام بالخلايا باعتبارها مصدر قوة التنظيم مع تبسيط عملها ومنحها قدراً من حرية الحركة ، وتبسيط أساليب العمل بكل المستويات التنظيمية ، والاهتمام بقسم النشر وخاصة إصدار المنشورات والدوريات العلنية والسرية التى تعبر عن الحركة . مثل هذه التوجيهات التنظيمية لا يمكن أن تكون مجرد « نصائح » من الرفيق يونس إلى رفاقه بالمنظمة ، وخاصة أنها جاءت فى وقت كانت فيه المنظمة تعانى مشاكل تنظيمية خطيرة بعد غيابه عن قيادتها .

ويأتى التقرير الثانى ـ ديسمبر ١٩٥١ ـ وهو أخطر ما فى هذه المجموعة من وثائق ، ليشخص الداء الذى كانت تعانى منه الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات ، ويصف العلاج الذى يراه مناسباً للتخلص من ذلك الداء ، ويحرص على التأكيد أنه لا يبغى من وراء ذلك قيادة الحزب من الخارج ، وإنما يقدم رؤيته كرفيق نضال مخلص للمنظمة التى شارك فى تأسيسها .

فى هذا التقرير نجده يتحدث بصراحة لم نعهدها فيه سواء فى « سيرته الذاتية » أو فى تقريريه حول « نضال حمتو وحدتو منذ تأسيسهما » و« الصراع داخل حدتو فى عام الوحدة » ، فهو يعترف بالضعف الأيديولوچى الذى كانت تعانيه « حمتو » ، وعدم كفاية العمل داخل التنظيم مقارنة بالعمل خارجه ، والارتجال فى العمل بين صفوف الجماهير ، ويطالب المنظمة بالتخلص من هذه السلبيات حتى تتغلب على المصاعب التى تواجهها .

نفس الأسلوب الانتقادى الموضوعى يتجلى فى التقرير الثالث ـ مارس ١٩٥٣ ـ حول النضال لتحقيق الوحدة بين الشيوعيين المصريين ، وهو تقرير على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية . فنجده يبدأ بنقد موقف « حمتو » من قضية الوحدة الذى تمثل فى التعالى على المنظمات الأخرى ، والتهوين من شأن الوحدة كضرورة باعتبار « حمتو » التنظيم الأقوى ، وتجنب الصراع الأيديولوچى وعدم الاعتراف بالأخطاء ، وتجاهل تحليل مشكلة

الاتجاه نحو الوحدة ، وعدم إدراك خطورة الانقسام الذى يؤدى إلى إضعاف الحركة من الداخل ، وإضعاف نفوذها بين الجماهير ، وغياب الوعى بدور الرجعية والامبريالية فى مساندة الاتجاهات الانشقاقية .

وفى تحليله لأسباب ذلك ، يعترف بأن قيادة الحركة كانت تعانى ـ منذ الأربعينيات ـ من عدم وجود الخبرة السابقة بالتنظيم ، وعدم توافر الإعداد السياسى الكافى لديها لعدم مشاركتها فى الحركة السياسية المصرية ، وتعدد التنظيمات وتصارعها مع غياب الكومنترن (الذى حل عام ١٩٤٣) كسلطة عليا يمكن الرجوع إليها للفصل بينها . ويرى أن الخلاف بين التنظيمات لم يكن نظرياً ولا سياسياً ، وأنه يرجع إلى الجهل وليس الانحراف ، فالأشكال التنظيمية متقاربة ، والمطالب الأساسية متفقة إجمالاً وإن اختلفت البرامج ، وإنما الخلاف فى خطة (تكتيك) كل منها ، وموقفها من العمل الخارجى ، ومن الغريب أن نجده فى « سيرته الذاتية » يعود إلى نغمة ازدراء الآخرين ووصفهم بالانتهازيين !

ونجده ـ فى نفس التقرير ـ يبادر بالاعتراف بأن انقسام الحركة الشيوعية يأتى لصالح الامبريالية ، ويرجع أسباب فشل وحدة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ إلى عدم تحديد الجذور الطبقية التى تجعل التنظيمات قادرة على التطور باتجاه الوحدة وعدم فهم الخلاف الحقيقى بين التنظيمات والتهوين من شأن الانقساميين ، وعدم إدراك أن الصراع داخل التنظيم يغذى التنظيمات الانشقاقية ، وعدم إدراك العلاقة بين الانقسامات داخل حدتو والقرار الخاص بقبول تقسيم فلسطين . ويختتم تقريره بالدعوة إلى الوحدة باعتبارها هدفا استراتيجياً لحدتو ، مع تقديم مقترحات الوحدة إلى جميع المستويات التنظيمية وإعطائها الوقت الكافى لدراستها وطرحها على جميع الشيوعيين ، وينصح بعدم فرض شروط مسبقة وخاصة شرط حل التنظيمات واندماجها فى حدتو .

ويبدو أن المنظمة ـ التى شهدت العديد من التغيرات فى مطلع الخمسينيات ـ لم تعد تعول كثيراً على توجيهات الرفيق يونس ، فنجد هنرى كورييل يبدأ خطابه الموجه للجنة المركزية ـ مايو ١٩٥٣ ـ بالعتاب لأنها لم تستشره فى شىء على مدى عامين ونصف ، وأنها الآن تطلب رأيه ـ من خلال الرفيق حميدو (محمد شطا) ـ حول « الجبهة الوطنية » و« المجلة الجديدة » ، وهنا لا يحاول كورييل أن يدلى برأى محدد حتى لا يزيد الانقسام حدة بين رفاقه القدامى ، وخاصة أن صراعاً ـ داخل قيادة حدتو ـ كان يدور حول قضية « الجبهة الوطنية الديمقراطية » الذى كان شعاراً رفعته قيادة حدتو ، عارضه بدر (سيد رفاعى) وطالب بتشكيل « اللجان الثورية السرية » وشايعه في ذلك بعض عناصر قيادة الحركة ، كان ثمة انشقاق جديد فى مرحلة المخاض ، ولذلك حرص هنرى كورييل على تقديم نصيحة غامضة هى تبنى خط سياسي يجمع بين إيجابيات الرأيين ، وقد انتهى الأمر

بانشقاق بدر وجماعته وتكوين « حدتو - التيار الثورى » . مرة أخرى ، « ثوريون » و« انتهازيون » ، إنه التراث السياسى للحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات ، الذى لعب هنرى كورييل دوراً هاماً فى تكوينه . على كُلٍّ ، عندما حدث الانقسام أيد كورييل اتجاه « الجبهة الوطنية الديمقراطية » وتخلى عن بدر وجماعته الذين قطعوا بدورهم الصلات معه ، وأيدوا موقف الحزب الشيوعى الفرنسى منه .

وظلت مراسلات هنرى كورييل مع بعض كوادر حدتو مستمرة بصفة شخصية ، وبفضل هذه الصلات ، والإخلاص للروابط التاريخية ، ظل للرفيق يونس مقعد خال فى اللجنة المركزية لحدتو ، وإن كان الكثيرون من الأعضاء لا يبدون ارتياحهم للتمسك بهنرى كورييل وجماعته ، ولكن الكوادر الأقوى نفوذاً كانوا هناك دائما للدفاع عنه . ولعل هذا يفسر عدم معرفة « مجموعة روما » بتشكيل « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » (وحدة ١٩٥٥) إلا عن طريق « الحزب الشيوعى السودانى » ؛ فقد ظل يونس على علاقة وثيقة برفيقه القديم (راشد) عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى .

ويتضح ذلك من الوثيقة الخامسة من هذه المجموعة - يونيو ١٩٥٥ - التى تعلن فيها « مجموعة روما » انضمامها للحزب الشيوعى المصرى الموحد ، بعد أن بلغها نبأ تأسيسه من الحزب الشيوعى السودانى ، وتعلن قبولها بشروط الوحدة رغم تحفظاتها على بعضها ، وتطالب بمعرفة الأسس التى يقوم عليها الحزب حتى تتوفر على دراستها وتوافى الحزب بتقارير حولها ، وختمت الوثيقة بالاسم الجديد الذى اتخذته المجموعة « مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد » .

كانت المفاوضات الأساسية للوحدة قد تمت - كما رأينا - داخل السجن ، وتعرضت حدتو لانتقاد شديد من جانب معظم المنظمات الشيوعية المصرية لتمسكها بالرفيق يونس وتخصيص مقعد له من مقاعد حدتو العشرة باللجنة المركزية على أن تجمد عضويته لحين صدور قرار بهذا الشأن من الحزب . ولعل ظروف السجن حالت دون تلقى هنرى كورييل لنبأ تأسيس الحزب من رفاق حدتو مباشرة .

وعلى كل ، ظلت المجموعة تزاول نشاطها تحت الاسم الجديد ، ووثقت صلاتها بأعضاء المنظمات الشيوعية المصرية التى انضمت للوحدة من الموجودين بالخارج ، وعندما بدأت مفاوضات الوحدة الثالثة (١٩٥٧) بعد تفكك الحزب الموحد ، سارعت « مجموعة روما » بتقديم مذكرة - الوثيقة السادسة - عن نشاطها فى مختلف المجالات السياسية والحزبية ، وخاصة الحملة التى نظمتها للتضامن مع المعتقلين .

وفى يناير ١٩٥٨ يعرف هنرى كورييل من رفيقه حميدو (محمد شطا) أن نقاشا يدور داخل « الحزب الشيوعى المصرى المتحد » حول حل مجموعة روما لأنها تضم أجانب ، ولأنها تحاول قيادة الحزب من الخارج ، كما أنها تبذل جهوداً من خلال الحزب الشيوعى

الإسرائيلى ـ الذى كانت على صلة وثيقة به ـ لإقامة سلام « عادل » بين مصر وإسرائيل . لذلك تسارع مجموعة روما بالكتابة للحزب (الوثيقة السابعة) تنفى عن نفسها تهمة قيادة الحزب من الخارج ، وتدافع عن صلاتها بالحزب الشيوعى الإسرائيلى وسعيها للسلام مع إسرائيل بحجة أن ذلك لم يتم باسم « الحزب الشيوعى المصرى » وإنما تم بصفة غير رسمية .

وينشط هنرى كورييل لتأكيد فعالية « مجموعة روما » فيرسل تقريراً ـ مارس ١٩٥٨ ـ عن التناقضات التى يجب طرحها وحلها (الوثيقة الثامنة) ، فتحدث عن التناقضات الاجتماعية والسياسية ، وقدم تحليلا لها يقوم على أساس اتخاذ موقف من نظام الحكم يأخذ فى الاعتبار إيجابياته وسلبياته معا ولا يركز على إحداها دون الأخرى . وتقريراً آخر عن عداء الحركة الشيوعية الدولية له يقدم فيه وجهة نظره فى أسباب هذا العداء .

كان هنرى كورييل يوالى إرسال تقاريره لتأكيد أهمية نشاط مجموعته ، فى الوقت الذى اتخذ فيه « الحزب الشيوعى المصرى المتحد » قراراً بحل مجموعة روما نهائياً اعتباراً من ١٤ مارس ١٩٥٨ ، لانعزالها عن الواقع المصرى ، وبعدها عن رقابة الحزب ، ولفتح آفاق جديدة أمام أعضائها للالتحاق بأحزاب البلاد التى يقيمون بها ، ومن أجل الحرص على سلامة العلاقات بالأحزاب الشقيقة (إشارة إلى إدانة الحركة الشيوعية الدولية لهنرى كورييل) ، ولأن المجموعة أجنبية التكوين .

هكذا أقفل « الحزب الشيوعى المصرى » ملف مجموعة روما نهائيا ، وأبلغ القرار لهنرى كورييل فى أبريل ، فكان الاجتماع الذى عقدته المجموعة لمناقشة القرار والذى انتهى بالموافقة عليه بأسلوب يغلب عليه طابع العتاب ، مع التمسك باستمرار تقديم المساعدات المالية والمعنوية للمعتقلين دون استخدام اسم الحزب ، تبرأ الحزب الشيوعى المصرى من تبنى أولئك الشيوعيين اليهود اللقطاء الذين لفظتهم الحركة الشيوعية الدولية من قبل ، وأثارت الشكوك حولهم ، ولكنهم يصرون على الالتصاق بالحركة الشيوعية المصرية ويعلقون الآمال على النجاح فى إقناع الحزب بالتخلى عن موقفه منهم ، وفاتهم أن رفاق حدتو ـ انفسهم ـ وافقوا على قرار حل المجموعة ، بعدما أصبحت تمثل قيداً على حركتها ، ونقطة ضعف فى مواجهة المنظمات الشيوعية المصرية .

خامساً : رسالتان من هنرى كورييل إلى نعومى كانل (مايو ـ يونيو ١٩٥٧) :

يتضمن القسم الأخير هاتين الرسالتين من هنرى كوريل إلى نعومى كانل ، حسبما تشير كلمة كتبت بخط اليد على أصل كل رسالة ، تنص على أن الرسالة كتبت إلى نعومى كانل بالسجن وكانت تلك السيدة اليهودية المتمصرة تقضى عقوبة خمس سنوات (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) بسجن القناطر فى القضية المعروفة بقضية « الجبهة » والتى حوكم فيها عدد من

الشيوعيين واليساريين المصريين ، كان من بينهم بعض المثقفين والفنانين وضباط الجيش .

وقد لعبت نعومى كانل - أثناء وجودها بالسجن - دور ضابط الاتصال بين حدتو وهنرى كورييل ، وبين الأخير وبعض الإسرائيليين المسجونين ، وقد أشار إليها جيل بيرو فى كتابه « هنرى كورييل ، رجل من طراز فريد » ، دون أن يذكر اسمها الحقيقى أو الحركى .

على كل لا يهمنا كثيراً أمر نعومى كانل أو دورها فى التنظيم بقدر مايهمنا مضمون الرسالتين فهما تدوران حول محورين : رأى هنرى كورييل فى نظام الحكم فى تلك الفترة ، وفى سياسة حكومة الثورة ، وكذلك رأيه بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وعلاقاته مع الحزب الشيوعى الإسرائيلى ، هذا فضلاً عن إعرابه عن سروره البالغ بتمسك حدتو به عضواً فى القيادة ، ويبدو أن نعومى كانل لعبت دوراً هاماً فى هذا المجال ، فهو يثنى على جهودها فى إقناع قادة حدتو بالتمسك به .

وفى تحديد موقفه من ثورة يوليو ، ينطلق هنرى كورييل من مفهوم « الجبهة الوطنية الديمقراطية » التى تجمع بين البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة فى مرحلة التحرر الوطنى ، فرغم اقتناعه أن النظام لايمثل « حقيقة القيادة التى تحتاجها مصر » ، لأنه يعمل لمصلحة الرأسمالية المصرية ، وليس لمصلحة الجماهير الشعبية ، إلا أنه يتصور أن الشيوعيين المصريين يستطيعون - عن طريق توجيه حركة الجماهير - أن يدفعوا النظام إلى اتخاذ خطوات تقدمية ، ويضرب أمثلة على توجه النظام لخدمة مصالح البورجوازية المصرية من خلال سياسة « تمصير » الشركات الأجنبية بعد عدوان ١٩٥٦ ، وإن كان ينتقد الطريقة التى تم بها تأميم قناة السويس ويرجع انحسار العدوان إلى خروج بريطانيا وفرنسا على قواعد اللعبة فى الشرق الأوسط ، مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تجبرهما على الانسحاب ، وهو تحليل دقيق فى مجمله ، وخاصة أنه لم يغفل دور الجماهير الشعبية فى التصدى للعدوان .

لكن يلاحظ أن هنرى كورييل بالغ كثيراً فى تقدير الدور الذى لعبه الشيوعيون فى إسقاط النظام القديم ، لأن « عملهم بين الجماهير أضعف النظام السابق » ، وجعل العناصر « الواعية » من البورجوازية الوطنية يحددون أهدافهم الوطنية ، فرغم أهمية الدور الذى لعبه الشيوعيون المصريون فى الحركة السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، إلا أنهم كانوا يتحركون - دائما - بين الجماهير فى إطار الجبهة الوطنية ، ومن خلال نشاط جبهوى أساسا ، ولم يكن باستطاعتهم وحدهم توجيه العمل السياسى الذى أدى إلى إضعاف النظام القديم ، وخاصة أنهم كانوا موزعين بين منظمات متناحرة متصارعة ، ولا يمثلون تياراً واحداً قويا وفعالاً ، مهما قيل عن التواجد الجماهيرى لحدتو ، وعن وجود بعض عناصرها داخل الجيش ، فحتى من كان منهم بين

صفوف « الضباط الأحرار » عجز عن توجيه نظام ثورة يوليو صوب الاشتراكية ، وتمت تصفيتهم فى وقت مبكر (خروج يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة ، وإبعاد خالد محيى الدين ، واعتقال أحمد حمروش) رغم أهمية الدور الذى لعبوه - كأفراد - فى إسقاط النظام القديم .

وعلى كل ، يتلخص موقف هنرى كورييل من نظام ثورة يوليو (عام ١٩٥٧) فى ضرورة الحفاظ عليه ، والتعاون معه ، والعمل على توسيع نطاق إنجازاته الإيجابية وتوجيهها وجهة اشتراكية بضغط من الجماهير الشعبية التى يحركها الشيوعيون . وهو موقف يتناقض تماما مع موقف « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » من ثورة يوليو ، ويتعارض مع المقعد الذى حصل عليه هنرى كورييل فى لجنته المركزية بضغط من حدتو ، لذلك نجده يعلن تمسكه - رغم ذلك - بخط الحزب واستعداده لتبنيه ، رغم عدم موافقته عليه .

هذا التبنى الغريب لمواقف تختلف عن القناعات الشخصية لهنرى كورييل و« مجموعة روما » يتكرر فى الموقف من تأميم قناة السويس ، الذى ينتقد هنرى أسلوب تنفيذه ولكنه يتبنى الدفاع عنه علنا فى الأوساط السياسية الدولية ، ولا يمكن أن نفسر ذلك إلا فى ضوء حرص « مجموعة روما » على إبقاء الجسور ممتدة بينها وبين الحركة الشيوعية المصرية ، ولعلها كانت تعتقد فى إمكانية استخدام الحركة الشيوعية المصرية نقطة ارتكاز لحوار مصرى - إسرائيلى لإقامة « سلام مصرى - إسرائيلى » من خلال الحزب الشيوعى الإسرائيلى الذى احتفظت « مجموعة روما » معه بصلات وثيقة .

ويتجلى ذلك من النقاط المتصلة بإسرائيل فى الرسالتين ، فالمجموعة تلعب دور ضابط الاتصال بين الأفراد الإسرائيليين المعتقلين فى مصر لأسباب تتصل بالأمن القومى ، والذين أدين بعضهم فى قضايا التجسس ، وبين عائلاتهم فى إسرائيل (من خلال نعومى كانل) . كذلك كانت المعلومات المتعلقة بهم التى ترسلها نعومى كانل ، تبلغ إلى جهة أو شخص أطلق عليه هنرى كورييل اسم « ايلى » ونعتقد أنه اسم كودى ، فمن كانت تهمه - فى إسرائيل - أخبار الإسرائيليين المعتقلين بمصر ؟ من يهمه أمرهم سوى جهة أمنية إسرائيلية كالموساد على سبيل المثال ؟!

ويتجلى ذلك أيضا من إشادة هنرى كورييل بموقف « الحزب الشيوعى الإسرائيلى » وخاصة تلك « الأخوة الفريدة التى حققها النضال بين اليهود والعرب داخل صفوف الحزب » ، ويرى أن تصريحات المسئولين العرب المعادية لإسرائيل « استفزازية » ، وأعمال الفدائيين الفلسطينيين « استفزازية » ويطالب بتنمية « قوى السلام » فى البلاد العربية ، لقد كان إبرام السلام بين العرب وإسرائيل ، وتحقيق تعايش الدولة العبرية الصهيونية مع العرب ، هدفا سعت إليه « مجموعة روما » وبذلت جهودا كبيرة لتحقيقه ، سواء من خلال مصر أو من خلال منظمة التحرير الفلسطينية ، وعندما أغتيل هنرى

تقديم

كوربيل قبل مغادرة مصعد بيته ، كان يحمل بيده مفكرته الشخصية ، وقد وضع أصبعه بين صفحاتها على موعد يشير إلى لقاء مع « الدكتور » وهو الاسم الذى استخدمه كلما حدد لقاء مع عصام السرطاوى - أحد معاونى ياسر عرفات - الذى كان يتولى مسئولية الحوار الفلسطينى مع العناصر التقدمية فى إسرائيل .

***

وبعد .. عزيزى القارىء .. إن هنرى كوربيل لم يكن بالشخصية التى يسهل تفسير دوافعها وأهدافها ، وكانت تحركاته دائما موضع ريبة الكثيرين على الصعيدين المحلى والعالمى - على نحو ما رأينا - غير أن الدور الذى لعبه فى « الحركة الشيوعية المصرية » يظل دائما موضع عناية مؤرخى هذا التيار المتأصل فى الحركة السياسية المصرية ، لأنه زود الحركة الشيوعية المصرية بإرث سياسى ثقيل لم تستطع أن تطرحه جانبا ، ولعل هذه الأوراق ترسم أبعاد هذا الإرث ، وتوضح معالمه ، وتعيننا على فهم الظروف التى أحاطت بالحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات .

هنري كورييل
سيرة ذاتية

كتبت في المنفي بدين Digne (الب دي هوت بروفونس) في اكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٧ ترك المؤلف هذه الصفحات (مسود) بخط يده ، ولم تتح له الفرصة لمراجعتها .

تحذير للقارىء

عندما يكتب المرء كتابه الأول وهو فى الثالثة والستين من عمره ، فإن ذلك يعنى أنه لا يعد من زمرة الكتاب ، وهأنذا أحذر القراء !

تغطى هذه الذكريات فترة قصيرة وقديمة من حياتى . وإذا كنت أكتبها منتهزاً فرصة اعتكاف إجبارى فرضته علىَّ الحكومة ، فلا يرجع ذلك إلى ميلى للكتابة ، بل أجدنى مدفوعاً إليها للتغلب على نفور شديد نحو الكلمة المكتوبة والعودة للوراء لاسترجاع الماضى .

ولكنها الحقيقة الواجبة تجاه رفاقى الذين كثيراً ما طلبوها منى ، وهو واجب كنت دائم التملص منه بحجة أعمال أقوم بها . ولقد أصبح علىَّ الآن - بعد أن فقدت هذا العذر - أن أبدأ العمل ، بل وأن أنتهى منه سريعاً بدلاً من أن أعمل بلا جدوى على تجويده لكى أجعل منه عملاً هاماً .

ما الغرض منه إذن ؟ إن الغرض منه الإسهام فى كتابة تاريخ نشوء الحزب الشيوعى المصرى وبخاصة الفترة من بداية الأربعينيات وحتى بداية الخمسينيات ، وليس الغرض منه - للأسف - الاستجابة لطلب الذين ألحُّوا علىَّ فى معالجة تاريخ هذه الفترة ذاتها .

أعرف خيبة الأمل الكبيرة التى سيصاب بها هؤلاء عندما يطلعون على هذه الذكريات صغيرة الحجم بدلاً من الكتاب العظيم الذى تطلعوا إليه بشغف ، ولكن يجب أن نأخذ فى الحسبان أننى لا أملك مصدراً سوى ذاكرتى ، وهى ضعيفة للغاية بخاصة أنه كثيراً ما تم اقتلاعى من جذورى ، ليس فقط من مصر ولكن بفعل انتقالى من نشاط إلى آخر مختلف تماماً مع رفاق جدد تماماً : هناك مثلاً التجربة الجزائرية حيث كانت الجزائر شغلى الشاغل لمدة عشر سنوات كسبت خلالها عشرات الأصدقاء الفرنسيين الذين عرفتهم فى ذلك الحين والمئات من الجزائريين . فضلاً عن فترة الاعتقال التى قضيتها بفرسن Fresnes وهو اعتقال يتنافى مع الفراغ حيث كان بمثابة حياة مليئة لمدة ما يقرب من عامين .. كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً !!!

بالإضافة إلى ذلك فأنا أجهل كل شىء عن الأنشطة التى لم أمارسها .

وفى الحركة المصرية - المجموعة الشيوعية التى ساعدت على ميلادها - لم نكن أبداً نهتم اهتماماً شديداً بالآخرين . ربما كنا على خطأ فى ذلك ، ولكن الحقيقة أن الآخرين لم

يشكلوا إلا أهمية ضئيلة بالنسبة لنا فلم نفكر مثلاً فى « دس » مخبرين لديهم على الإطلاق وقد لا أتعرض للأخطاء فحسب ، بل ولعدم قيمة الدور الذى لعبوه .

كل ما أستطيع أن أؤكده مع هذا هو أن الحركة المصرية وخليفتها الحركة الديمقراطية كانتا دائماً فى الطليعة . كان هذان التنظيمان سباقين دائماً إلى اتخاذ المواقف الصحيحة على الأقل خلال الفترة التى عرفتهما فيها ، ولا أذكر نموذجاً واحداً نقلناه عن مجموعة أخرى سواء على الصعيد السياسى أو التنظيمى أو غير ذلك من المجالات . بل على العكس كانت المجموعات الأخرى هى التى تتبنى مواقفنا فى كل المسائل الهامة ، وإذا لم تفعل ذلك فمرجعه إلى أن هذه المجموعة أو تلك تمسكت بموقفها الخاطىء أو المتخلف .

ولكن حق الحلم مشروع ! وقد تساعد هذه الصفحات التى تحكى بكل صراحة ، بل وبراءة ، قصة مولد حزب شيوعى على إزالة بعض الأفكار الخاطئة .

لا يمكن لحزب شيوعى ألا يرتكب أخطاء . فإذا كانت السياسة هى على حد قول لينين « علم تغيير المجتمع » فهى مهمة لا يعادل صعوبتها سوى تعقيدها ، وهى تتطلب أولاً أن « تدرس كأى علم » (انجلز) .

إن إبراء مجتمع دائم التغير من أدوائه أصعب كثيراً من علاج أمراض الجسم الإنسانى ، ومن يجرؤ على القول أنه يستطيع ذلك قبل سبعة أعوام من الدراسة المستفيضة ؟ فضلاً عن أن المجتمع فى حالة دائمة التجديد ويتغير بسرعة متزايدة .

وبالنسبة لنا ، لم يكن هناك أكثر صعوبة أمامنا من :

* ادماج جميع العناصر المختلطة التى تؤدى دوراً فى جسم المجتمع كما طلب لينين .
* تقديرها تقديراً صحيحاً دائماً مع أخذ تطور كل منها وتفاعلها فيما بينها فى الحسبان .

إن الحزب الشيوعى ينمو مع المراحل المتتالية التى يمر بها . فمن يستطيع أن يلوم رضيعاً وطفلاً على عدم تصرفه كبالغ ؟ إن من يفعل ذلك بالطبع هم أولئك الذين يحترفون التشهير المنظم اللازم للإبقاء على المجتمع بأوضاعه الراهنة .

أما الآخرون الذين يعتبرون أنفسهم دائماً أكثر ثورية وصدقاً وكفاءة ، الذين لو كانوا « قادة للحزب الشيوعى فى فرنسا ، أو فى ڤيتنام ، أو فى الاتحاد السوڤييتى ، أو على أقل تقدير فى مصر ، لتفادوا أخطاءهم » فليقفوا فى الصف ، وليعرضوا علينا ما قاموا بتحقيقه بكل ما يتصفون به من كفاءة وحقيقة ثورية أعلى كثيراً من هاتين اللتين يتمتع بهما الشيوعيون ، وليبرزوا لنا المجتمعات التى قاموا بتغييرها ؛ تلك المجتمعات الخالية من جميع الحدود الموجودة فى المجتمعات الاشتراكية ؛ على حين أنه من المعروف بحق أن انتصار الأحزاب الشيوعية فى الاتحاد السوڤييتى والبلاد الاشتراكية الأخرى لم يجعل منها قوة تحول فى مجتمعات هذه البلاد فحسب ، بل على مستوى جميع دول العالم ، فالثورة البلشفية هى القوة الرئيسية التى حققت يوم العمل ذا الساعات الثمانية ...

من الممكن واللازم أن تكون هذه الاعتبارات موضوعاً لكتاب على ألّا يسخر أحد من « عبادة ستالين » ! فلقد انتهيت على سبيل المثال من قراءة كتاب أمورو Amourou الحافل بالعبر ، وعنوانه « أربعون مليوناً من البيتانيين » (أتباع بيتان Petain) ووجدت أن « عبادة » بيتان التى تشير إليها جميع أعمال تلك الفترة مغرقة فى الهذيان وليس لها ما يبررها إذا ما قورنت الشخصيتان .

إننى أقولها بصوت عالٍ : إن الشيوعيين ليسوا بمعصومين ، إنهم يخطئون فى أحيان كثيرة وبخاصة فى البداية . ولكن هذا لا يولِّد داخلى أى احساس بالذنب ، فالشيوعيون هم قوة التقدم الحاسمة بالنسبة للإنسانية وليتأمل الآخرون مجتمعهم الفاسد والمقزز بامتيازات الثروة فيه ، وهى امتيازات أكثر وقاحة من امتيازات الإقطاعيين برذائلهم التى لا تحصى ، وبلبلتهم و « حرية » التفكير المزعومة على الصورة التى يتمناها البرجوازيون المسيطرون عليهم .

لا ، ليس هناك ما يدعو للخجل فى عقد مقارنة بين المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى مع أخذ مجتمع الولايات المتحدة « النموذجى » كمثال لأكمل إنجازات هذا الأخير . أما بالنسبة للاتحاد السوفييتى ، فلا أعرف من كان يستطيع « التفوق » على اللجنة المركزية !

ولا يساورنى أى شعور بالخجل لتقديم هذه الذكريات ، بل أشعر بفخر شديد ، بقدر ما تعطى هذه الذكريات - بغض النظر عن شخصى - لمحة عن تفانى وشجاعة ونبل زملائى أفضل أبناء مصر !

إذا كان للمرء عدد كبير من الأعداء مثلى فهو يرتجف مسبقاً ، عندما يقتحم مجال النشر ، من الأساليب الفنية التى سيتم بها تفنيد ما كتبه ، والكشف عن كافة الدوافع الخسيسة والانحرافات « اليمينية » أو « اليسارية » إذا لم تكن ثمة أدلة « خيانة » ..

ومع هذا ليس لدى الخيار ؛ يجب :

* « الانتهاء » بأقصى سرعة ، فكتاب كهذا يهدف إلى استخلاص كل شىء منى ، أنا المؤمن بالعمل الجماعى فقط ، ليس مجازفة فحسب ، بل هو أيضاً عملية شاقة جداً .
* تفضيل السرعة على الجودة ، لن يكون إذن عملاً متقناً بالرغم من مزاج ينشد الكمال .

كان لينين يقول : « الأقل والأجود » ، ولكننى أعمل تحت شعار : « السيىء أفضل من لا شىء ، والأسرع أفضل من الأجود » .

قيل لى أيضاً ألا أكثر من « الإيضاحات » وأعتقد أن على هنا أن أفعل ذلك ، على كل الأحوال ليس هناك أصعب على نفسى من الإفصاح عما أريد ، ليس إيماناً منى بالطبع باللاتواصلية (النظرية القائلة بعدم إمكان الاتصال بين الناس) ذائعة الصيت ، ولكن من المسلم به أن الأوضاع المركبة قد يساء فهمها حين يشرحها عجوز مقتلع من جذوره . سبب هام آخر وراء الشروع فى هذا الكتاب ، وهو الغياب التام « للثورة المصرية »

وتمثيلها بالإضافة إلى إنكار الحركة الشيوعية المصرية وعنصرها الأساسى : الحركة المصرية والحركة الديمقراطية .

إننى أجهل كل شيء عن ثورة ١٩١٩ ، ولقد بينت فى بحث صغير كيف أنها قامت خارج الوفد ورغماً عنه ، ولا أستطيع القول بأن الحزب الشيوعى المصرى قد قام بدور فيها فضلاً عن تحديد ماهيته .

أما عن الحركة الثورية المصرية التى حققت انتصارات باهرة مثل : الجلاء عن وادى النيل ، تحرير السودان ، استقلال مصر ، نهاية الإقطاع الريفى الكبير ، تأسيس العالم العربى كقوة لها أولوية السبق فى التقارب من المعسكر الاشتراكى : رفض الأحلاف العسكرية ، وقبلها رفض الاشتراك فى حرب كوريا التى شنتها الولايات المتحدة . الدفعة التى جعلت من مصر دولة مؤثرة فى عدائها للإمبريالية : مساعدتها لأفريقيا فى نضالها من أجل التحرر من الاستعمار ؛ فى كل هذه التطورات أستطيع القول بأن الشيوعيين المصريين قاموا بدور رئيسى سواء كقيادة أو كقوة تفسيرية أو كمصدر للإلهام .

حقاً يمكن القول إن الكثير من هذه الانتصارات لم تكن حاسمة ، ولكننا نعرف جيداً أن الانتصارات الحاسمة نادرة ، والشيوعيون المصريون لم يبلغوا بعد بالفعل ذروة انتصارهم ، مثلهم فى ذلك مثل الكثيرين غيرهم من الشيوعيين فى العالم . ولا أزعم أن التنظيمات الشيوعية المصرية تقارن بأى شكل بالحزب الفيتنامى مثلاً علماً بأننى لم أومن أبداً بالتعدد فى فيتنام .

عادة ما يقدم الشيوعيون المصريون فى صورة مثيرة للازدراء : مجموعات صغيرة على رأسها « أجانب » يتنازعون فيما بينهم ، ويقول رفعت السعيد فى كتابه إن « الشيوعيين الحقيقيين ورثة الحزب الشيوعى المصرى القديم لم يكونوا قادرين على مقاومتهم لأن البوليس السياسى كان يترك الأجانب آمنين ويضطهد « المصريين » .

إن مواقف كهذه قد لا تحدث إلا جروحاً فى الكبرياء ، ولكن المناضلين الشيوعيين المصريين قد اضطروا إلى التنازل عن كل ملمح للكبرياء من أجل البقاء . والخطير حقاً هو ما تتضمنه هذه المواقف من ازدراء للثورة المصرية وللمناضلين الثوريين المصريين الذين وصفوا بالانقياد للأجنبى بلا تبصر !

هذه هى التحليلات التى تبغى الحكم علينا ! كان لينين يتساءل : « من هم القضاة ؟ وما الذى حققه نقادنا ؟»

إن « تحليلاً » ينكر وجود المناضلين الثوريين وكفاءتهم التنظيمية ودورهم ، قد يكون مقبولاً من الرجعيين الذين يرددون دائماً أن الشيوعيين المصريين قد « فشلوا » ، وأنهم « لم يؤدوا أى دور » ! والذين يتخذون هذه المواقف نفسها من « اليساريين » إنما يتصرفون على أحسن الفروض ، مثل الرجعيين وحلفائهم الذين يتلخص التاريخ « من وجهة نظرهم » فى كونه مجموعة من الطرائف .

ولسوف نرى أنه بدون الاعتراف بهذا التيار الثورى لا يمكن تفسير مشكلة الوحدة التى طالما ووجهنا بها ، إلا بتوافر « الألفة » أو غيابها أو توافر الطموح لدى بعض الأفراد أو انعدامه .

كما أن تحليل حركة شيوعية من خلال ما « لم تحققه » يمثل نظرة سياسية محدودة للغاية ، ولقد رأينا من جهة أخرى « ما حققه كل هؤلاء الوعاظ » .

كيف : لم يكن للحركة الشيوعية المصرية جذور قوية بالريف ؟ لم تكن معظم قياداتها من العمال ؟ كانت على درجة من التخلف أدت إلى اعتقال الغالبية العظمى من كوادرها ؟ لم تكن تشمل القطر المصرى كله ؟!

إن هذه الوثيقة تهدف قبل كل شىء إلى المساهمة فى توضيح ما شارك فيه رفاقى وعملوا على إنجازه لكى يبرز التاريخ الغنى والخصب لهذه الفترة ؛ وقد تثير اهتمام مناضلى الحزب الشيوعى المصرى الحاليين الذين يبحثون عن ماض ، وهو ماض مجيد يصور لهم على أنه مثير للشفقة ؛ وقد يقرأها فى دول أخرى بعض المناضلين الشيوعيين الذين كنا فى مصر ننظر إليهم دائماً نظرة احترام وحب ، والذين كنا نحس بقربهم الشديد منا .

أمل من آمال الرجل العجوز الذى أصبحته ، هو أن تنمو هذه الأخوة الحقيقية بين الشيوعيين وأن تظل عربوناً على أخوة الشعوب ..

نبـــذة عــن حيــاتى

لا يألف الشيوعيون ـ بفعل نشاطهم النضالى ـ الحديث عن أنفسهم فضلا عن رواية سيرهم الذاتية ، فيما يختص بى فإن أصدقائى يعرفون أننى لا أتمتع بموهبة التحليل النفسى ؛ ولكن بما أننى قررت تقديم هذه الذكريات ينبغى أن أعطى للقراء عدداً من العناصر التى آمل أن تمدهم بشعاع من نور ؛ فبالرغم من الفترة الطويلة جداً التى قضيتها في النشاط السرى ، أعتقد أن الاهتمام « بكشف الأوراق » لا يزال يشغلنى . لذا أتمنى لو أستطيع التعبير عن الحقيقة فقط ، فأنا مدين لأساتذتى الرهبان اليسوعيين بمقولة أن تمويه الحقيقة أمر ميسور ، وأن الكذب يسير ، مع الالتزام بذكر وقائع صحيحة .. لذلك سأبذل قصارى جهدى لأكون صادقاً .

المراد إذن هو الإشارة إلى بعض العناصر المكونة لشخصية المؤلف . فإذا كان صحيحاً أن انضمامى للشيوعية هو بمثابة ميلاد جديد لى على كل من صعيدي الفكر والعمل المتلازمين ، فإن التغييرات الوجدانية التى طرأت علىَّ تكاد تكون غير محسوسة ؛ فلا أظننى تغيرت فيما يتعلق « بالقلب » ـ من البديهي أن المعنى المجازى للكلمة هو المقصود حتى لا يظن أحد أننى أجعل من القلب المركز الحقيقي للمشاعر ـ ولكن شتان بين تكويني الفكرى « قبل وبعد » الانضمام للشيوعية .

ولدت منذ زمن طويل فى « حى راق »[1] من أحياء القاهرة فى اليوم الذي عرف فيه الوالدان بانتصار لامارن La Marne كما كان يحلو لهما القول .

كانا أبوين « غير عاديين » وإن كنت فى الواقع لا أعرف عنهما الكثير لأن المشاكل لم تكن لتثار أبداً أمام الأطفال .

كان أبى قد فقد بصره فى الثالثة من عمره ، على أن هذا لم يقف حائلا دون إدارته لبنك خاص برءوس أموال أخيه وأخواته الثلاثة عند وفاة والده وقد استقر هؤلاء جميعا بفرنسا باستثناء أخت واحدة تزوجت من أحد أثرياء الأسكندرية .

حملت إدارة البنك لأبى الكثير من المفاجآت ، وبخاصة أنه كان عليه ـ فى سبيل ذلك ـ

(١) حى الزمالك ، وكان مولده عام ١٩١٤ قبيل قيام الحرب العالمية الأولى .

أن يهجر مهنته كعازف بيانو بادى الموهبة . لم يكن أبى يروى شيئا عن شبابه وحياته ولكننى عرفت أن فى حياته زيجة سابقة ، وأن زوجته الأولى قد توفيت .

كانت أمى[2] هى الأخرى غريبة الطباع ، ولدت باستانبول فى عائلة ميسورة وبعد وفاة والدها قام الأبناء على ما يبدو بتبديد الثروة التى تركها لهم . ومن المؤكد أنه تم تعميدها بدير نوتردام ـ دى ـ سيون Notre Dame - De Sion حيث تلقت تعليمها . ولقد أثرت عليها نشأتها هذه ، مما جعلها تقوم سرا بتعميدنا أنا وأخى ، لكنها أبداً لم تذكر شيئا عن هذا . وعلى العكس من ذلك ، لم تخف أمى أبداً إيمانها بجميع الأديان معا ، مرورا بالكنيسة والمعبد اليهودى وحتى زيارة أولياء المسلمين .

كانت أمى هى الأخرى تتمتع بموهبة العزف على البيانو ، أما نزعتها الحقيقية فكانت دينية وأعتقد أن زواجها من كفيف كان نوعا من تحقيق الذات . لم يكن زواجا سعيداً جداً ، فقد كان لكل منهما ميل واضح لتدمير الذات ، فأبى مثلا « عاقب » والدتى بهجره للبيانو الذى يضفى عليها البهجة .

ولاشك أنه كان لكل من حماس أمى وعاهة أبى أثره العميق فى طفولتى ، علاوة على فاجعة فقدهما لأخت صغيرة محبوبة على إثر حادث . ولكن من المؤكد أن الأثر الأكبر والدائم كان « لعاهة » والدى حتى لو كان هذا الأخير قد عاش حياة « ملكية » يحوطه بلاط صغير مؤلف من البنك والأسرة والأصدقاء .

وللإحاطة بجميع أفراد الأسرة يجب ذكر أخى راؤول ذى « العقل الراجح والملىء » الذى عاش هو الآخر حياة فوضوية .

استقرت عائلة أبى بمصر منذ زمن غير محدد ، على كل الأحوال منذ إنشاء الدولة الحديثة فى مصر حوالى عام ١٨٥٠ .[3] لم نكن من اليهود العرب رغم انتمائنا الشرقى إلى شبه الجزيرة الإيبيرية ومن ناحية الجنسية ، كنا ـ كالعديد من يهود مصر ـ إيطاليين نازحين من ليفورن Livourne فعقب حريق بلدية هذه المدينة ، أعيد تكوين أرشيف الأحوال المدنية بها ، مما أدى إلى إعلان عدد كبير من يهود مصر فى ذلك الوقت انتسابهم إليها نظرا للامتيازات المفرطة التى يمنحها الحصول على جنسية أجنبيـة ، وأهمها الخضوع لنظام قضائى خاص . لذا أصبحنا ليڤورنيين ، وإن كان الأصل الإيطالى للعائلة يبدو لى أمرا محتملا ، فلقد وجدت هذا الاسم شائعا فى دليل تليفونات كل المدن الإيطالية الكبيرة .

---

(٢) كانت تدعى زفيرا بيهار ، من اسرة يهودية اشتغلت بتجارة السجاد باستانبول .

(٣) ليس هناك تاريخ محدد لهجرة اسرة كورييل من موطنها فى اسبانيا إلى مصر مرورا بمدينة توسكانة الإيطالية ، ولكننا نرجح التاريخ الذى يورده هنرى كورييل لأن مصر اصبحت منذ مطلع النصف الثانى من القرن التاسع عشر اكثر اجتذابا للمستثمرين الأجانب .

وباعتبارنا يهودا إيطاليين ، تلقينا أنا وأخى تعليمنا كله من السنة الأولى الابتدائية وحتى نهاية الدراسة الثانوية فى البتى كوليج Petit College التى تديرها الراهبات ، ثم فى الجران كوليج Grand College بالفجالة ويديرها الرهبان اليسوعيون . كان بهذه المدارس نظامان للتعليم منذ الصف السادس الابتدائى : ينتهى الأول بالبكالوريا المصرية ، والآخر بمثيلتها الفرنسية . وكان طبيعيا أن يقع اختيارنا على هذا النظام الأخير كما أننا لم نتردد فى تفضيل اللغة اللاتينية على اللغة العربية .

بعد إتمام دراستنا فى عام ١٩٣٠ ، على ما أعتقد ، تأجل رحيلنا الذى كان مقررا إلى فرنسا بسبب الأزمة الاقتصادية التى عالجها أبى بصعوبة وكان عزاؤنا ، إن أمكن القول ، هو الحصول على ليسانس الحقوق ، الشهادة الفرنسية الوحيدة التى يمكن الحصول عليها فى مصر . ثم غادر أخى مصر إلى فرنسا و «تقرر» أن أبقى ربما لأننى كنت أقل تفوقا منه ولكن الإيضاحات لم تتوافر لى .

سبب لى هذا الحدث بلبلة شديدة فأنا لم أكن أفكر إلا فى السفر إلى فرنسا ، لم يكن هذا حلما ، بل كان مصير كل أبناء عمومتى وكل زملائى فى الدراسة .

كان من الصعب على يهودى إيطالى تخرج فى مدرسة فرنسية أن يجد نقطة ارتباط حقيقية فى بلد مسلم ؛ وكانت فرنسا هى الوطن الوحيد الذى أشعر بالارتباط به بعد أن فقدت إيمانى مبكرا ، فرنسا التى أصبحت فجأة بعيدة المنال .

إن تفاصيل هذه الفترة قليلة الأهمية ، وها هو الإطار المكون لشخصيتى قد تحدد منذ البداية بعناصره المختلفة .

لاشك أن الحركة الشيوعية المصرية تلقى بصفة خاصة عداء فائقا وتشويها منظما لعملها رغم أنها تمثل التيار الثورى ، ويجب أن أقدم هنا أسباب ذلك :

هناك أولاً العداء الموجود فى معسكر « الأعداء » وهو أمر طبيعى . فمصر تعد « أهم البلدان » وهو العنوان الكامل لكتاب صدر بالانجليزية . لقد حللت فضلا عن هذا « وزن مصر » وبينت مدى أهميتها داخل مجموعات عديدة : العالم العربى بالطبع ، منطقة البحر المتوسط ، والعالم الإسلامى ، وأفريقيا ، وآسيا القديمة ، والعالم الثالث بأكمله . فى كل من هذه المجموعات لعبت مصر دورا هاما فى بعض المناسبات . وكان حجم هذا الدور يتفاوت تبعا لأهداف سياستها ، على أنها لم تستطع القيام به ، بسبب قصر نظر طبقتها الحاكمة ، إلا بعد أن حدد الشيوعيون المصريون تحديداً دقيقا عدداً من الأهداف سنسرد بعضا منها فى هذا العمل . من الطبيعى إذن أن تحاول الرجعية العالمية جاهدة أن تقلل من شأن الشيوعيين المصريين الذين يهددون سيطرتها المباشرة وغير المباشرة على هذا البلد . وطبيعى أيضا أن تتخذ الأنظمة المتتالية المجردة من أية قيمة ذاتية موقفا مزدوجا من الحركة الشيوعية المصرية ، فهى من ناحية تنقل عنها تحاليل وحلولا لم تكن لتتوصل إليها بنفسها ، وفى الوقت ذاته تشهر بالشيوعيين إلى أقصى درجة . والمدهش أن عبد الناصر قد دفع بهذا الموقف المزدوج إلى الذروة ، فليس هناك بين القادة المصريين من يدين مثله للشيوعيين بفهمه للمواقف ، وقد كلف الوقت الذى قضاه فى بعض منها الشعب غاليا ، كما لم يذهب أحد أبعد منه فى عدائه للشيوعيين وازدرائه لهم . إن فترة حكمه لا تدخل بالطبع فى نطاق هذا الكتاب ، ولكن لا جدال فى أن الرصيد الشيوعى الغنى بالتحليلات وتحديد الأهداف هو المصدر الذى أخذ عبد الناصر « يتزود »[4] منه ؛ ولنا عودة لهذا .

تحتاج إذن الأنظمة المسيطرة فى أحلك الظروف إلى إفقاد الشيوعيين اعتبارهم لكى تؤكد ادعاءاتها .

كل هذا « طبيعى » إن صح القول ؛ فالوشايات والأكاذيب السفيهة ، والمغامرات الدنيئة التى تدعمها الوسائل الضخمة هى الأساليب التى تستخدمها الأنظمة التى يدينها التاريخ لتبقى على نفسها . ولقد استعملت كل الوسائل لإهانة الشيوعية والشيوعيين ، وحماية مصر من « عدوى الشيوعية » التى قد تفقدها « حريتها » .

هذا العداء طبيعى و « شرعى » بشرط أن نجيد الدفاع عن أنفسنا . ولكن للأسف

---

(٤) استمد جمال عبد الناصر افكاره من الفكر البورجوازى الإصلاحى الذى كان مطروحا على الساحة السياسية فى مصر منذ الاربعينيات ، كما استمد بعضها من الفكر الاشتراكى بقدر محدود تزايد تزايداً نسبيا فى الستينيات على وجه الخصوص .

أصبحت « أفكار الطبقة الحاكمة » هذه « أفكارا غالبة » بين الشيوعيين أنفسهم الذين يتأثرون كثيرا فى بعض الأحيان ببعض وجهات النظر « البورجوازية » .

ولكن المدهش والأصعب احتمالا حقا بسبب ما يخلفه من مرارة هو العداء الذى تعرضنا له ومازلنا نتعرض له من جانب بعض الأحزاب « الشقيقة » ؛ هذه الأحزاب التى كانت قادرة على فهمنا ، وعلى مساعدتنا : ولم كان ذلك ؟ سأروى على صفحات هذا الكتاب كيف أساءت هذه الأحزاب(٥) معاملتنا : الحزب الشيوعى الإنجليزى ، الحزب الشيوعى الإيطالى ، بل والحزب الشيوعى اليونانى ، وبصفة خاصة الحزب الشيوعى الفرنسى ، وأيضا معظم الأحزاب الشيوعية العربية باستثناء الحزب الشيوعى اللبنانى وكأنها رغبة مشتركة فى العداء رغبة لا يمكن تصورها ثانية واحدة ..

***

إن أول مايسترعى الانتباه فى الدراسات التاريخية هو غياب التأريخ لمراحل التطور مع كونها مشكلة جوهرية تشغل بالفعل كوادر الحركة المصرية للتحرر الوطنى (MELN) ـ أين كنا ؟ من أين أتينا ؟ إلى أين نقصد ؟ بدون رؤية واضحة لهذه المسائل ، « تفقد تحديد الاتجاه » هذه القاعدة لم تكن يوما أكثر صحة منها اليوم .

والتأريخ لمراحل الحركة الشيوعية المصرية ، وهو الذى يهمنا ، ليس ذاتيا فحسب ، بل يرتبط بوضع وطنى وعالمى . وسنرى ذلك عندما نعرض لتاريخ الفترات المختلفة .

أ ـ فترة « التكوين الأولى » : لا تزال هذه التسمية التى أطلقناها عليها صالحة للفترة التى تبدأ فى تاريخ غير محدد وتنتهى بالنسبة لنا فى أكتوبر سنة ١٩٤٣ . وهى تنقسم بدورها إلى مرحلتين :

المرحلة : التى تنتهى فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ .

والمرحلة : التى تليها والمدهش أن المرحلة الأولى هى التى تلقى الاهتمام مع أنها فى الواقع مثيرة فقط ؛ ولنا عودة إليها .

ب ـ وتشهد الفترة الثانية : فى أكتوبر سنة ١٩٤٣ **ميلاد الحركة المصرية للتحرر الوطنى** كخلية شيوعية تحمل مسئولية بناء « حزب شيوعى مصرى » PCE وتستمر حتى أكتوبر سنة ١٩٤٥ حيث اشتركت الحركة باسمها ورايتها فى ظروف معينة فى النضال الوطنى للجماهير ولم تكن هذه الفترة قد انتهت بعد .

جـ ـ الفترة الثالثة : وتمتد من أكتوبر سنة ١٩٤٥ حتى حريق القاهرة وثورة سنة ١٩٥٢ وهى تشمل أربع مراحل متتابعة :

---

(٥) حول موقف الحركة الشيوعية الدولية من الحركة الشيوعية المصرية ، راجع الدراسة السابقة .

١ ـ أكتوبر سنة ١٩٤٥ إلي مايو سنة ١٩٤٧ : تأسيس الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

٢ ـ مايو سنة ١٩٤٧ إلى مايو سنة ١٩٤٨ ؛ حرب فلسطين .

٣ ـ حقبة المعتقلات .

٤ ـ النهضة ، أو بالأحرى الميلاد الثانى .

ذكريـات الميـلاد
(أو الميلاد الثانى)
١٩٣٤ ـ ١٩٤٣

منذ حل الحزب الشيوعى المصرى الأول فى ١٩٢٤ كان للشيوعيين دائما وجود فى مصر . انطلاقا من هذه الحقيقة دافع المؤرخ رفعت السعيد عن فكرة الوجود الدائم لحركة شيوعية مصرية ؛ وهذا خطأ كبير فطوال فترة كاملة لم يكن هناك وجود لحركة شيوعية ـ مع استمرار وجود الشيوعيين ـ فضلا عن عدم وجود حزب شيوعى ولو فى شكله البدائى .

عنوان هذا الفصل صحيح إذن : لقد ولدت بالفعل حركة شيوعية مصرية ، وهذا الميلاد هو ما سنتحدث عنه : لم يكن هذا الميلاد وليد الصدفة ، بل هو وليد ظروف معينة جديدة تماما مقارنة بالظروف السابقة عليها التى لم تولد فيها الحركة الشيوعية المصرية . ينبغى إذن قبل كل شيء دراسة هذه الظروف ، وسنرى أنها لم تكن فقط وراء ميلاد الحركة الشيوعية المصرية ولكنها توضح أيضا بعضا من معالمها ، وبخاصة الدور الذى لعبه « الأجانب » فى ميلادها .

ويشمل القسم الأول فترات ثلاث :

* ١٩٣٤ / ١٩٣٥ إلى يونيو سنة ١٩٤١ ؛ دخول الاتحاد السوفييتى الحرب .
* يونيو سنة ١٩٤١ إلى فبراير سنة ١٩٤٢ : حيث تبلغ هذه الظروف مرحلة النضج .
* فبراير سنة ١٩٤٢ إلى نوفمبر سنة ١٩٤٣ : ميلاد الحركة المصرية للتحرر الوطنى — MELN

أما القسم الثانى :

فيتكون من أربع فترات قد تصل إلى خمس :

* نوفمبر سنة ١٩٤٣ إلى أكتوبر سنة ١٩٤٥ : فترة « التكوين الأولى » .
* أكتوبر سنة ١٩٤٥ إلى يوليو سنة ١٩٤٦ : فترة المد .
* يوليو سنة ١٩٤٦ إلى مايو سنة ١٩٤٨ .
* مايو سنة ١٩٤٨ إلى فبراير سنة ١٩٥٠ .
* فبراير سنة ١٩٥٠ إلى يوليو سنة ١٩٥٢ .

القسم الأول :

١ ـ سنة ١٩٣٤ ـ سنة ١٩٤١ .

كان عام ١٩٣٤/١٩٣٥ عاما فاصلا على الصعيد الدولى ، كما كان عام اختيار هام بالنسبة لى فقد وضعنى هذا العام الذى بلغت فيه سن الرشد أمام خيارين :

الخيار الأول : هو الحصول على الجنسية المصرية .

أما الثانى : فهو الاحتفاظ بجنسية والدىَّ الإيطالية التى تضمن لى « الامتيازات الأجنبية » الهائلة ؛ مما جعل من ممارسة الاختيار عملية غير متوازنة .

لم أكن فى اختيارى مدفوعا بحبى لمصر ، هذا الحب الذى يشاركنى فيه الكثير من الأجانب ، وخاصة أن الامتيازات التى يتمتعون بها تجعل الحياة فيها ناعمة ، بقدر ما كنت مدفوعا بنفورى من هذه الامتيازات . وقد ساهمت أيضا المظاهرات الشعبية آنذاك[6] فى رغبتى فى « التمصير » الصريح ، وجدير بالذكر أن مؤتمر الدولية الشيوعية السابع كان محدداً لانعقاده الفترة من يوليو ـ أغسطس لهذا العام .

إن الخصومة بين الإمبرياليين الانجليز والفرنسيين من ناحية ، ومن ناحية أخرى الأنظمة الفاشية فى إيطاليا ، وألمانيا حيث وصل هتلر إلى السلطة عام ١٩٣٣ ، وأيضا اليابان ، بدأت تأخذ شكلا حاداً لا فى أوروبا ـ ليس بعد ـ ولكن فى منطقة النفوذ الحافلة بالتناقضات الإمبريالية : المستعمرات أو المنطقة التى تدعى اليوم بالعالم الثالث . ويظهر الصراع فى سلسلة من الاعتداءات من جانب الدول الفاشية وأهمها عدوان إيطاليا على أثيوبيا ، واليابان على الصين ، وإيطاليا وألمانيا على أسبانيا الجمهورية .

كان للدول الفاشية بالإضافة إلى هذه الأعمال السافرة ، سياسة حاضرة ونشيطة تعتمد على رعاياها العديدين فى الكثير من البلدان مثل الإيطاليين فى مصر ، وعلى العناصر الوطنية التى يدفعها قصر نظرها الطبيعى والملازم للوطنية المجردة إلى « التفكير » تبعا للقاعدة الشهيرة والكريهة معا على المستوى الوطنى : « أعداء أعدائنا أصدقاء لنا » !!

العنصر الآخر الذى يشكل السمة الهامة الثانية للوضع الدولى هو التأثير المتزايد لحركات الجماهير : صعود « الجبهات الشعبية » المعتمد فى سنة ١٩٣٥ من المؤتمر السابع للدولية الشيوعية ، وهو صعود له تأثير كبير فى أوروبا وخارجها .

ولكن ، فلنطرح العموميات جانبا ، ولننتقل إلى الوضع المصرى الذى لا غنى عنه لفهم المسألة التى تشغلنا ، وأكرر القول بأن عرضه سيكون موجزا للغاية .

كان هذا العام ١٩٣٤ / ١٩٣٥ عاما فاصلا أيضا فى مصر وإن كانت مشاركتها فى التيارات الكبرى للسياسة العالمية غير واضحة : هاهى الحركة الوطنية بقيادتها الوفدية[7] تساعد على اتساع نطاق المظاهرات ضد نظام صدقى الاستبدادى والكريه ، للتعبير فى آن واحد عن مطالبها الديمقراطية وتطلعاتها الوطنية للاستقلال ، وهى تطلعات ومطالب ترتبط بعمق ببعضها البعض .

---

(٦) يقصد بذلك المظاهرات التى نظمها الطلبة عام ١٩٣٥ للمطالبة بتكوين « جبهة وطنية » من الاحزاب البورجوازية المتصارعة للعمل على عودة دستور ١٩٢٣ وتحقيق الاستقلال الوطنى .

(٧) سنعود لاحقا لتحليل الوفد الذى يتعذر وصفه « بالبورجوازية » بسبب تكوينه الاجتماعى المركب الذى تقوم فيه البورجوازية بدور متواضع (هنرى كورييل) .

أما السياسة الانجليزية فكانت تحت تأثير الوضع الدولى والداخلى تجرى انعطافا كاملا لتحقيق حماية أفضل لمصالحها بالطبع ، وسيتم هذا الانعطاف على نطاق واسع فى الشرق الأوسط كله بصفة خاصة ، ولكننا سنكتفى بدراسته فى مصر حتى لا ننجرف بعيداً .

كانت السياسة الانجليزية فى مصر حتى عام ١٩٣٥ تستند على حماية مصالح « الأقليات الأجنبية » العديدة والمؤثرة التى تشكل بدورها أكبر دعامة لها وفى مقابل ذلك كانت انجلترا توفر لهذه الأقليات « الامتيازات الأجنبية » المفرطة التى سبق الحديث عنها ؛ ولنذكر هنا أن روسيا البلشفية قد تنازلت من طرف واحد عن هذه الامتيازات منذ بداية الثورة .

فى مواجهة الخطر الإيطالى فى البحر المتوسط وأفريقيا ، وفى مواجهة الدعاية الإيطالية والألمانية الفعالة في البلد ذاته سيقوم الانجليز بتغيير حقيقي في هذه السياسة حيث سيقدمون بعض التضحيات لتجنب الإخفاق ؛ ومن هذه التضحيات التخلى الكامل أو شبه الكامل عن هذه « الأقليات الأجنبية » ، ومحاولة التوصل إلى تسوية مع الوفد باعتباره ممثلاً شديد الاعتدال للحركة الوطنية . (وقد بينت فى بحث صغير كتبته عام ١٩٥٠ الدور الكبير الذى قام به لكبح الثورة الوطنية عام ١٩١٩) .سيعهد الانجليز إذن بالسلطة مؤقتاً إلى الوفد نظراً لميلهم إلى الديمقراطية على الصعيد الدولى ؛ وسيمارس الوفد هذه السلطة على حساب « الأقليات الأجنبية » التى لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها ؛ فهو سيقوم على سبيل المثال بإصدار قانون للديون العقارية ، بمقتضى هذا القانون لا تمس القروض التى تمنحها البنوك الأجنبية الكبيرة بينما تصفى تلك التى تم أخذها من الأفراد « الأجانب » فى مصر ؛ لا مجال هنا للتباكى على هؤلاء فهدفنا هو توضيح ميكانيزم (تركيب) التحالفات . سيفرض الوفد أيضاً على « الأجانب » إشراك مالكين مصريين في « مشاريعهم » ؛ وهذا يمثل فى أحيان كثيرة مجرد صورة طفيلية حيث أن مقاعد مجلس الإدارة في معظم الأحيان لم تكن تحقق مشاركة فعلية فى النشاط بقدر ما تكافىء العلاقات القائمة مع جهاز الدولة « الوطنى » ولنتوقف هنا ...

وعلى صعيد العلاقات مع انجلترا ، سيوقع الوفد « معاهدة الشرف والاستقلال » التى تؤمن للانجليز قوام سيطرتهم ، وتخدر الهيجان الوطني لفترة طويلة ، وتحول الوفد من عدو إلى حليف لانجلترا مع إعطائه ميزة انتصار تحقق بسهولة ، هذا بالإضافة إلى الاستخدام المثمر جداً لجهاز الدولة [٨] .

---

(٨) بالنسبة لجزء من الوفد سيتم هذا بمنتهى حسن النية ؛ على سبيل المثال طه حسين الذى كان فى هذه الفترة على ما اذكر وزيرا للتعليم سيتحدث عن مهام وزارته « بعد الحصول على الاستقلال » . (هنرى كورييل) .

ومن الآن فصاعداً وحتى فبراير ١٩٤٢ تتلخص « السياسة » فى مصر فى صراع بين السراى والوفد على استخدام هذا الجهاز ؛ كل يريد استغلاله لصالحه ولكن بينما تلتف حول السراى مجموعة واسعة من القوى شديدة الرجعية يستند الوفد على تأييد الجماهير ؛ هذا هو الفارق المحسوس بين الطرفين ولكن هذا ليس مرادنا .

ولنعد الآن إلى موضوعنا : ما النتائج التى سيسفر عنها الوضع الجديد فى مصر ؟ الحركة الوطنية فى ذروة الاضطراب فالأهداف قد تحققت حسب الموقف المعلن ، ولكن هناك بعض العناصر التى تدرك عدم صحة هذه المقولة . ماذا ستفعل هذه العناصر ؟ ستتحالف معظمها مع النازيين والفاشيين : كما فعل أنور السادات مثلا ؛ إن هذا الموقف مشابه للموقف الذى أدى إلى تصفية الحزب الوطنى أثناء الحرب العالمية الأولى كقائد أساسى للحركة الوطنية لصالح حزب الوفد .

وعلى النقيض من هذا ، سينفتح فنانون وكتاب ومثقفون على التأثيرات التقدمية الآتية من أوروبا وفرنسا بصفة خاصة ؛ وسيصبح الكثير منهم سرياليين فى الوقت الذى تشرف فيه هذه الحركة على الانتهاء فى أوروبا. وآخرون ، وأحيانا يتحول الأشخاص أنفسهم إلى تروتسكيين (أنصار أفكار تروتسكى والأممية الرابعة) : سنجد فيما يلى سطورا عنهم ، والبعض الآخر شيوعيون ؛ ولكن نكرر القول بأنه كان انضماما فرديا إلى مذهب لا يزال مجردا وغير معروف تماما لهم . ويرى هؤلاء الشيوعيون بدورهم أن المسألة الوطنية قد حلت عمليا ، ويتحدثون عن الصراع الذى يجب قيادته ضد « البورجوازية المصرية » وهذا هو أيضا اعتقاد العديد من الشيوعيين بالخارج كما قرأناه فى المقالات شديدة الندرة المخصصة لمصر فى أعداد مجلة « المراسلات الدولية » Correspondance » Internationale « التى كانت - وياللغرابة ! - تصل من حين لآخر إلى مصر بعد مرورها برقابة تتميز بالشدة والغباء معا .

كان تطور العناصر التقدمية بالجاليات الأجنبية يتم بطريقة سريعة وجذرية ولندع جانبا الجاليات المرتبطة بدولة مثل اليونانيين الذين يناضل معظمهم داخل جاليتهم ذاتها ؛ هناك أيضا شيوعيون آخرون كانوا عابرى سبيل وهم المدرسون الفرنسيون والانجليز الأعضاء فى أحزاب بلادهم . المعنيون هنا هم الآخرون ، وهم بصفة أساسية يهود من جنسيات مختلفة - « الامتيازات الأجنبية » الشهيرة تظهر مرة أخرى - يتحدث معظمهم الفرنسية ، حيث أنهم تلقوا تعليمهم فى الليسيهات (المدارس) المتقدمة للإرسالية العلمانية الفرنسية Mission Laique Francaise وقد تأثر هؤلاء بالنضال الأوروبى ولا سيما فى فرنسا حيث انتصر الحزب الشيوعى الفرنسى والجبهة الشعبية فى انتخابات سنة ١٩٣٦ ، ولكنهم لم يتأثروا كثيرا بالمشاكل الوطنية الداخلية كانوا بالطبع ينفرون من الفاشية التى فتنت الكثير من الوطنيين المصريين ، وقد نجحوا بحق فى اكتساب البعد

الوطنى عن طريق انخراطهم فى الشيوعية ، العدو الطبيعى للفاشية ، فباعتناقهم الشيوعية فى مصر أصبحوا شيوعيين مصريين ، وكانت الشيوعية هى الجانب الوحيد الذى يعترف بهم كمصريين .

كيف يتسنى ليهودى فى نهاية الثلاثينيات أن يصبح حراً دستوريا أو حتى وفديا ؟! بالاختصار لم يكن أمام هؤلاء من سبيل غير الشيوعية ، لذا سلكه عدد كبير منهم مدفوعين فى ذلك بعدة عوامل : تأثرهم بالحركة الشيوعية الدولية أكثر من العناصر المصرية ، نفورهم من الخيار الفاشى ، بعدهم عن الحياة السياسية المصرية ، وأخيراً عدم انحيازهم إلى تيار سياسى آخر إذ كيف السبيل لأن يكون الإنسان راديكاليا اشتراكيا أو حتى اشتراكيا ديمقراطيا ؟

هكذا يتضح من خلال ظروف معينة الدور الذى قام به هؤلاء فى حقبة ميلاد الحركة الشيوعية المصرية ؛ لا غموض هناك يستحق كل هذه « العقد » التى يشعر بها بعض الشيوعيين المصريين فى هذا الصدد . ومهما يكن من ظن بعض رفاقى المتطرفين فى وطنيتهم ، لم يكن هذا الدور سلبيا على الإطلاق ؛ وإلا فلماذا بذلت الرجعية المصرية البالغة السوء كل هذه الجهود لإخراجهم من مصر مسترشدة فى ذلك بأصدقائها الإمبرياليين ! هل كانت تهدف إلى دعم الحركة الشيوعية المصرية ؟ هل أصبحت فجأة الحركة الشيوعية أكثر قوة بعد خروجهم ؟ على أية حال ستكون لنا عودة لتحليل الدور الذى قاموا به بدون أفكار مسبقة فى هذا الاتجاه أو ذاك .

ولنعد الآن إلى موضوعنا : بميلاد الحركة الشيوعية المصرية ؛ يأخذ عدد الشيوعيين فى الفترة من سنة ١٩٣٥ إلى ١٩٤١ فى الازدياد زيادة لا يستهان بها وإن كانت بطيئة ؛ ويبذل الشيوعيون الأجانب الذين يتضاعف عددهم جهودا حميدة لإقناع المصريين دون نجاح كبير . يجب القول بأن المهمة الرئيسية للشيوعيين الأجانب والمصريين على السواء هى بالفعل الدعاية لأفكارهم ومضاعفة عدد الأشخاص الذين يعتنقون الشيوعية « كمذهب » مجرد لا تزال تطبيقاته العملية فى مصر مبهمة على أقل تقدير . وتتحقق هذه الدعاية عندما تكون القوى كافية لإنشائها من خلال « المنتديات » وعن طريق منشورات صغيرة متفاوتة الانتظام تصدر فى مناسبات معينة وكانت الأنشطة « السياسية » تتم على الصعيد الدولى فقط : الدعاية ضد العدوان الإيطالى على أثيوبيا وضد العدوان اليابانى على الصين ، جمع التبرعات لمساعدة أسبانيا الجمهورية . بالإضافة إلى هذا ، ينشىء الشيوعيون الأكثر نضجا ، وهم الشيوعيون القادمون من الخارج ، « رابطة سلام » تعمل على تشجيع النضال من أجل الحفاظ على السلام الدولى ، ولكنها تظل مجموعة صغيرة بلا تأثير يذكر لصعوبة تعميم هذا الهدف .

أما « الاتحاد الديمقراطى » المعادى للفاشية فسرعان ما شل حركته التدخل المنظم

للبوليس الذى لا يخفى تعاطفه مع الفاشية ، وهو تعاطف تشاركه فيه الحكومات التى خلفت الوفد فى هذه الفترة . وقد شاركت عناصر مهاجرة ـ انضم إليها يونس[٩] ـ من « رابطة السلام » (المتحزبة فى رأيهم) فى تأسيس هذا الاتحاد على قواعد واسعة من الفرنسيين والإنجليز واليونانيين والإيطاليين واليهود بالطبع ، وأيضا من المصريين الذين كان بعضهم على درجة من النفوذ .

ويبذل الشيوعيون مجهوداً كبيرا : يكون البعض مجموعات صغيرة ، ويعتقل البعض الآخر ! البعض يجتهد ، وينجح البعض فى الاتصال بالأحزاب الشيوعية الأجنبية التى لا تسفر نصائحها عن أى تطور .

ولا يغير إعلان الحرب فى سنة ١٩٤٠ بدوره شيئا يذكر من هذا الوضع ، ولا يمثل الاتفاق الألمانى ـ السوفييتى ولا حرب فنلندا أزمة ضمير بالنسبة للمناضلين فى هذه الحقبة ؛ فالاتفاق مع ألمانيا ليس بالتصرف الشاذ من وجهة نظر الشيوعيين الأجانب الذين فهموا جميعا موقف ألمانيا على وجهه الصحيح ؛ فهى قد خانت تشيكوسلوفاكيا فى محاولتها إقامة حلف يجمع بين « الديمقراطيتين » الانجليزية والفرنسية والفاشية الإيطالية والألمانية ، لذا لم يصدموا لمحاولة الاتحاد السوفييتى من جانبه كسب الوقت لكسر هذا التحالف فى مواجهة اختبار القوة الحتمى الذى تعده له مجموعة الامبرياليين « الديمقراطيين » والفاشيين . كنا إذن مقتنعين بأن هذا الإجراء يستهدف الإبقاء على وطن الاشتراكية .

ينبغى هنا ذكر الحادث الذى أخذ شكل الصراع من أجل تغيير اسم « الاتحاد الديمقراطى » قد يكون هذا الحادث بلا قيمة تاريخية ولكنه يبين موقف الشيوعيين فى مصر من الامبريالية الانجليزية ، وإليكم الأحداث .

فى بداية الحرب كانت الرجعية المصرية تغازل الفاشية على مرأى منا ، بينما كان الانجليز الواثقون من تحقيق نصر قريب « يعدون للمستقبل عدته » ؛ من أجل هذا اتصلوا بالمعادين للفاشية الإيطالية بالاتحاد الديمقراطى ، وقالوا لهم ما معناه : « يجب أن نعد لما بعد الحرب ؛ علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا لتفادى إقامة نظام شيوعى بعد الإطاحة بالفاشية . تعاونوا معنا للإعداد لنظام « ديمقراطى » فى إيطاليا . وسنرى فيما بعد عندما نعرض « للمسألة اليونانية » المدى الذى يمكن أن يبلغه هذا الإعداد ، ولكن هذا ليس موضوعنا ، ولندع جانبا الشيوعيين المنتمين لجاليات أجنبية وصلاتهم بالانجليز ، ولنعد إلى مصر .

ذات مساء بعد إعلان الحرب ، استقبلنا فى « الاتحاد الديمقراطى » زائرا غريبا ـ انجليزيا ـ قال لنا إجمالا :

---

(٩) يونس الاسم الحركى لهنرى كورييل .

رغم أن ندرة الوثائق وصعوبة الوصول إليها سمة بارزة من سمات تاريخ مصر المعاصر عامة ، وتاريخ الحركات السياسية والأيديولوجية خاصة ، إلا أن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية يعانى نقصا خطيرا فى الوثائق التى تتصل بالمنظمات الشيوعية المصرية عبر ما يزيد على نصف القرن . ولعل ظروف الحركة الشيوعية المصرية كانت وراء ندرة الوثائق المتعلقة بها ، فمنذ عدل قانون العقوبات عام ١٩٢٤ وأضيفت إليه مادة جديدة تجرم النشاط السياسى الذى يدعو إلى تغيير نظام « الهيئة الاجتماعية » ويحرض طبقة على أخرى ، أصبح النشاط الشيوعى محظورا مطاردا من السلطة فى كل العهود ، ومن ثم لجأ الشيوعيون إلى العمل السرى ، ولما كانوا معرضين دائماً لملاحقة أجهزة الأمن وخاصة « البوليس السياسى »، فكثيرا ما كانوا يتخلصون من وثائقهم عند الاحساس بالخطر ، وحتى تلك التى بقيت فى أيديهم ووقعت فى أيدى أجهزة الأمن أصبح الاطلاع عليها - بعد مرور السنوات وتغير العهود - من المحظورات التى تعد مستحيلة المنال بالنسبة للباحثين المصريين. فسلطات الأمن تحتفظ بتلك الوثائق فى أرشيفها الخاص ، وتعتبر أن ما تحت أيديها من وثائق « مادة جنائية » وليست تعبيرا عن حركات سياسية أنتجها تفاعل أجيال من شباب هذا الوطن مع واقع مجتمعهم ، وليست تعبيرا عن رؤى سياسية وفكرية لأزمة المجتمع المصرى فى مختلف مراحل تطوره ، ولهذا ظلت وثائق الحركات السياسية المصرية بعيدة عن متناول الباحثين .

ولكن ثمة القليل من تلك الوثائق التى أتيح للباحثين الاطلاع عليها ، هى تلك التى ضمتها ملفات القضايا السياسية والتى كانت - إلى عهد قريب - متاحة للاطلاع بالمتحف القضائى المصرى ، حتى جاء أنور السادات فمنع الاطلاع عليها وأصدر قرارا بمنع الاطلاع على الوثائق التاريخية قبل انقضاء نصف قرن على الأحداث التى تتناولها ، وهكذا أغلقت ملفات القضايا السياسية فى وجوه الباحثين ، ما عدا تلك التى بقيت لدى بعض المحامين

« إن رابطتكم تهمنا كثيراً ! ونحن نعرض عليكم كل المساعدة التى قد تحتاجون إليها لكى تصبح قوية وتنتشر فى مصر كلها » . عرفنا فيما بعد أنه يقصد مشروع « إخوان الحرية » الذى لقى فشلا ذريعا لأنه لم يضم سوى عملاء الانجليز من المصريين ؛ ومن الصعب تخيل درجة فقد الثقة التى وصل إليها هؤلاء برغم أو بسبب المساعدات التى يحصلون عليها .

أثارت هذه الزيارة اضطرابا كبيرا فى الاتحاد الديمقراطى حيث كانت الغالبية العظمى بإدارة الرابطة ترغب فى الموافقة فهى ترى عناصرها مضطهدة ومشلولة الحركة بسبب البوليس المصرى الفاشى ، كما أنها ترى أن الدعم الانجليزى يمكن استغلاله فى تنمية أنشطة الرابطة المعادية للفاشية بطريقة هائلة ؛ وهذا فى نظرها هدف يبيح « الاتفاق » مع الانجليز .

كنت ثانى اثنين وقفا فى وجه هذا الرأى ؛ وكان الآخر هو چورچ ـ هنرى بوانتى Georges Henri Pointet عضو حزب العمل السويسرى ومدرس اللغة الفرنسية بالمدارس الثانوية المصرية ؛ وقد انضم فيما بعد إلى قوات فرنسا الحرة ومات بشرف أثناء المعركة ؛ لقد كان مناضلا شيوعيا مؤثرا ومخلصا بحق ، وربما أجد متسعا للحديث عن نشاطنا المشترك خلال هذه الفترة .

طلب منى چورچ ـ هنرى بوانتى عند تطوعه ـ وكان واثقا من عدم العودة ـ أن أبلغ حزبه أنه ظل للنهاية مخلصا له ، الأمر الذى لم تتح لى فرصة لتنفيذه .

كان جورج عضواً بإدارة الاتحاد الديمقراطى ، أما أنا فلم أرغب فى عضويتها حتى لا « أعرِّض » الرابطة للخطر ، فتعاركنا معا ، ولكن يجب أن أعترف أن أحداً لم يعترض على دخولى اللجنة .

كانت الأمور تبدو له بسيطة فحرب سنة ١٩٤٠ هى حرب بين امبرياليين وعلينا ألا نشارك فيها بمال ، وألا نرتبط بأى من أطرافها . وكان الأمر يختلف معى قليلا ، ففى بداية الحرب تطوعت فى الجيش الفرنسى : لم أكن حينئذ أشعر بمسئولية خاصة فى مجال العمل السياسي ولم أكن أدرك حقا أن الديمقراطية ، سواء كانت إمبريالية أو رجعية تعادل الفاشية ؛ كنت إلى حد ما قد اتخذت قرارى الذى أنبنى عليه بوانتى ، على كل الأحوال لم يكن لتطوعى نتيجة عملية حيث أنه لم يتم أبداً استدعاء المتطوعين .

ولكن التعاون مع الانجليز أمر مختلف تماما . لم يكن هذا الموقف صادرا عن « غريزة طبقية » فأنا لم أمتلك يوما مثل هذه الغريزة : مع الانسحاب الأوروبى تجمع فى مصر العديد من عملاء المخابرات Intelligence Sarvice ، هل أحتاج إلى القول بأننى لم أشعر نحوهم بأى نفور ؟ يجب هنا أن أعترف بأمانة أن « الحقد الطبقى » تجاه « المستغلين » ينعدم لدى ، وبأننى كنت وللأسف لا أزال أميل إلى فهمهم ؛ الأمر الذى لا يثير الدهشة

على الإطلاق فالعديد من الغرائز ينقصنى وبخاصة القدرة على تكوين رأى يعتد به محدثى ! ولكن فى حالتنا هذه ، كان الوضع المصرى هو القضية : هل كان ممكنا أن نأمل فى إقامة علاقات مع المصريين التقدميين ونحن متورطون ولو قليلا مع مضطهديهم ؟! كان هذا الأمر يبدو لى جليا .

لم ننجح فى إقناعهم ، ولكننا انتصرنا بفضل إصرارنا ، فغيرت رابطتنا اسمها وأصبحت « الرابطة الديمقراطية » ، ولم يعد واردا استخدامها لصالح السياسة الانجليزية وأخيرا لم نر بعد ذلك صاحبنا الانجليزى ، وأعتقد أنه من ناحيته قد لقى تعنيفا شديداً لاتصاله بنا .

ولكننا سنلتقى فيما بعد وفى أكثر من مناسبة بالمشكلة الهامة التى تشكلها العلاقات مع الانجليز أثناء الحرب العالمية الثانية حيث سنعرض للفترة التى أصبحت فيها انجلترا حليفا للاتحاد السوفييتى ، وهو وضع أكثر تعقيداً .

إذا كانت هذه الفترة كلها قد شهدت تزايداً ملحوظا فى عدد الشيوعيين الأجانب والمصريين على حد سواء ، فإن نشاط هؤلاء ظل نشاطا فرديا يتم من خلال المنتديات على اختلاف أنواعها ولم يتجاوز الشكل الجماعى المحدود . فلنكرر القول : « هناك شيوعيون عديدون ، ولكن لا وجود لحركة شيوعية مصرية حيث أن ظروف ميلادها لم تتحقق بعد » .

٢ ـ يونيو سنة ١٩٤١ ـ فبراير سنة ١٩٤٢ :

ستتحقق هذه الظروف ، وهى بالتحديد ثلاثة ، فى الفترة بين يونيو سنة ١٩٤١ وفبراير سنة ١٩٤٢ : العدوان النازى على الاتحاد السوفييتى فى ٢١ يونيو سنة ١٩٤١ ، تغيير الحكومة بالقاهرة تحت ضغط من القوات المسلحة البريطانية فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، وأخيرا انتصار ستالينجراد فى فبراير سنة ١٩٤٣ .

أثار العدوان النازى الكثيرين منا ؛ وكانت صدمتى فى حال مصر البائس ولا سيما فى الريف هى الدافع وراء بحثى عن حلول لهذه المشكلة ، وقد فشلت فى كل محاولاتى لإيجاد حلول بدءاً من الجهود الميدانية العملية مثل رعاية « فلاحينا » [١٠] بأقصى جهدنا ، أنا والسيدة التى أصبحت فيما بعد زوجتى والتى تتمتع بكفاءه عالية فى مسائل الصحة والنظافة ، وميلا إلى البحث الفلسفى حيث انضمت إلى مجموعة رينيه حبشى الإنسانية بالقاهرة (مجموعة تعتنق مذهبا يؤكد على أهمية الشخصية الإنسانية وعدم جواز انتهاك حريتها) .

لن أطيل الحديث عن هذه الاتجاهات وغيرها فهى جميعاً قد انتهت إلى طريق مسدود ؛

---

(١٠) يقصد الفلاحين بعزبة والده بالمنصورية ، حيث قام هنرى وروزيت بزيارات متعددة لهم فى بيوتهم لتزويدهم بالأدوية الوقائية .

بهذه الطريقة ، وفى ظل ظروف لا أتذكرها على وجه التحديد ، اكتشفت الشيوعية ولم أتخل عنها ليوم واحد فى حياتى الطويلة .

فى البداية ، وجدت فى الشيوعية الإجابة على مشاغلى الاجتماعية ؛ إننى أذكر فى هذا الصدد مقالاً صغيراً نشرته فى إحدى المجلات الأسبوعية التى توليت إدارتها ؛ برهنت فى هذا المقال على أن حال الحمار فى مصر أفضل كثيراً من حال الفلاح ..

أصبحت شيوعياً إذن لأننى لم أحتمل سوء أحوال الجماهير المصرية ولا سيما الفلاحين ؛ أما الجانب «السياسى» للمذهب فلم أتبينه إلا فيما بعد بالتدريج .

علمت بنبأ العدوان النازى(11) فى طريق عودتى بالقطار من أحد أملاك أبى ، بينما كنت أقرأ نشرة صغيرة عن « التعليم فى الاتحاد السوفييتى » كنت مندهشاً مما تحقق فى هذا البلد بينما لم يبذل فى بلدى مجهود لتحسين الوضع ، هزنى النبأ ، نتائج كل هذه الجهود معرضة إذن للضياع .. لم أحتمل هذه الفكرة وقررت أن الوقت قد حان لكى أهب نفسى للنضال أساساً .. أظن أن هذا هو رد فعل الكثير من الشيوعيين وبصفة خاصة الأجانب منهم حيث شعر الجميع بارتباطهم بمصير هذه الحرب ، وكنت أتميز عن معظم هؤلاء بأن أعبائي المهنية الخفيفة توفر لى إمكانات واسعة نسبياً .

الحادث الثانى معروف تماماً : فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ طلب السفير الانجليزى(12) ، سيرمايلزلامبسون ، من الملك تغيير حكومة على ماهر لميولها الفاشية ، وإعادة الوفد إلى السلطة ، رفض الملك خوفاً من أن ينتقم الوفد لنفسه بعد جميع الضربات التى وجهتها له السراى ، فتوجه السفير إلى السراى على رأس كتيبة انجليزية مسلحة تصحبها الدبابات . فأذعن الملك .

كان للحدث دوى هائل بين العناصر الوطنية غير الشيوعية التى رأت فيه الدليل على أن صلات انجلترا بمصر لم تزل صلات سيادة ، وأن شيئاً لم يتغير بالرغم من الاعتقاد الشائع بأن المعاهدة قد أنهت ذلك العهد الذى كانت فيه الحكومات المصرية مضطرة إلى الإذعان أمام تهديد الأسلحة الانجليزية . مثال من ردود فعل هذا الحدث : استقالة اللواء محمد نجيب الذى جسد لفترة ثورة سنة ١٩٥٢ ، وقد عاد محمد نجيب وسحبها استجابة لطلب فاروق .

فقد الوفد شيئاً من نفوذه فى هذا الموقف : وإن كان توليه السلطة أوقف ردود الفعل الشعبية ، إلا أن الرأى العام كان بعيداً عن الابتهاج ، كما ظلت العناصر الوطنية المتشددة على موقفها المعارض ، وهى عناصر غير وفدية وبالتالى قليلة نسبياً .

وأخيراً العنصر الثالث من الوضع الجديد : معركة ستالينجراد ، فى هذه المعركة لم

---

(١١) يقصد الغزو الألمانى للاتحاد السوفيتى .

(١٢) لورد كيلرن فيما بعد .

تحرز الجيوش السوفيتية انتصاراً حاسماً ضد جيوش ألمانيا فحسب ، بل إنها قلبت رأساً على عقب البنية الأيديولوجية المعادية للسوفييت - وأستطيع هنا أن أشهد أنها فعلت ذلك بالنسبة لمصر - وبالتالى للشيوعية منذ عام ١٩١٧ .

كانت هذه البنية تقوم على عنصرين رئيسيين :

أولهما : عدم فعالية اقتصاد يرتكز على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج : « الإخفاق » المتوالى للخطط الخمسية .

وثانيهما : هو التفكك الاجتماعى فى دولة « ملحدة » حيث تعطى بوفرة التفاصيل عن حالة الانحلال الخلقى السائدة فى الاتحاد السوفييتى ، فالطبقات المالكة فى مصر تنادى بمبادىء شديدة الصرامة بالرغم من انحلالها !!

أخذ تراشق المدافع فى ستالينجراد يدك ويدمر جذرياً هذين المفهومين خاصة أن الجيش المهزوم كان يبدو منيعاً : « الچنرال شتاء » هو الذى فاز أمام موسكو !! وبدا المعنى الجلى لهذا النصر وهو ارتكاز النظام السوفييتى على الجماهير الشعبية التى دافعت عنه ببطولة بلغت حد التضحيات الخارقة ، بالإضافة إلى تمتع اقتصاده بقوة وفعالية لا مثيل لهما .

ولنقل فى هذا المجال إن إعادة تأسيس البنى الأيديولوچية المعادية للسوفييت في مصر تتطلب وقتاً طويلاً ؛ وقد أوقف تحالف الاتحاد السوفييتى مع القوى الغربية الجهود المبذولة فى هذا الاتجاه حتى نهاية الحرب ، ثم زادت بعد ذلك مساندة الاتحاد السوفييتى الحازمة للمطالب الوطنية من تعاطف جماهير المصريين وأيضا قطاع هام من البورجوازية . على أنه يجب التركيز بإصرار على أن « الظروف الموضوعية » لا تكفى وحدها ؛ فقد لعبت مساندة الشيوعيين المصريين الحازمة دوراً حاسماً فى ذلك وكذلك تفسيراتهم المستمرة فى مواجهة الافتراءات المعادية للسوفييت وحملات التشهير ؛ وعندما أثيرت الأفكار المعادية للسوفييت وغيرها مثل : الاتحاد السوفييتى قوة عدوانية وتوسعية أساساً ، الاتحاد السوفييتى هو القوة « الاستعمارية الرئيسية » !! الاتحاد السوفييتى قوة عظمى تهدف إلى اقتسام العالم مع الولايات المتحدة ، وفى الوقت ذاته الاتحاد السوفييتى الدولة ذات الاقتصاد المتأخر حتماً ، وجهت الحملات النشطة للشيوعيين فى كل البلاد ضربات حاسمة لتلك الدعاية المعادية ، على أساس من الحقائق السوفيتية .

والمثير للأسف حقاً هو تأثر الشيوعيين فى بعض البلاد بالحملة البائسة « من أجل حقوق الإنسان » التى اضطرت إلى الارتداد إليها الأنظمة البورجوازية بأزماتها الدائمة والمتزايدة ، فهم لم يكتفوا بعدم التصدى لها بل إنهم اعتقدوا أن اشتراكهم فيها سيقوى من نفوذهم ، لا يمكن وصف هذه السياسة المذهلة بأقل من قصر النظر حتى لا نستخدم ألفاظاً أقوى . ولنعد إلى مصر خلال تلك الفترة ، ولنقل إن الظروف الموضوعية لميلاد حركة شيوعية مصرية حقيقية قد اكتملت بنصر ستالينجراد .

وجدير بالذكر أننا بدأنا في تحقيق الظروف الذاتية لميلادها اعتباراً من يونيو سنة ١٩٤١ حيث افتتحنا مكتبة بإحدى ميادين وسط القاهرة[١٣] وأسميناها « الميدان » ، وقع الاختيار على هذا الاسم لمعناه المزدوج : ميدان ، وساحة قتال ؛ تم الافتتاح الذى أثار استنكاراً شديداً دون صعوبات كبيرة لاشتراك الاتحاد السوفييتى فى الحرب ، ولانتمائي إلى الطبقة الاجتماعية المتميزة التى تتمتع بحقوق هائلة .

فى ظل المقاطعة الكاملة لأوروبا ، كانت معظم الكتب ترد إلينا من الولايات المتحدة ؛ وقد قامت المكتبة بدور لا يستهان به فى تزويدنا بأعمال عن الاتحاد السوفييتى والنظرية الماركسية ، وهذا هو الغرض من إنشائها حيث كانت هذه الأعمال ممنوعة منذ عام ١٩٢٤ بينما كان مصرحاً بمؤلفات تروتسكى ؛ مما أدى إلى اعتناق العديد من المصريين للشيوعية مروراً بالتروتسكية ، الأمر الذى يبدو شاذاً فى الغرب ؛ يعود الفضل إذن فى تكويننا الماركسى العميق نسبياً إلى هذه الكتب التى درسناها بحب ومثابرة .

أدت المكتبة أيضا دوراً هاماً فى إعلام الجمهور المصرى المستنير ؛ كان الكثير من الناس يأتون للتزود منها بالكتب والمجلات ، وبالرغم من كثرة العملاء لم تكن الحالة مزدهرة لأن العاملين بالمكتبة ، وهم أصدقاء من ذوى القلوب الرقيقة ، كانوا يغمضون عيونهم عندما يغادر أحد الطلاب – وأكثرهم فقراء جداً – المكتبة دون أن يسدد ثمن ما يحمله من كتب .

وأخيراً كان للمكتبة دور شديد الأهمية كحلقة اتصال ؛ كان فى مصر حوالى المليون من جنود الحلفاء الذين ينتمون إلى جميع الجنسيات ويتحدثون مختلف اللغات : فرنسيون ، انجليز ، استراليون ، نيوزيلنديون ، سنغاليون ، يونانيون ، بولنديون ، يوغسلاڤيون ، وفلسطينيون يهود الخ .. وكانت المكتبة تتلقى كتباً بكل هذه اللغات خلاف الكتب الإيطالية والألمانية التي توزع داخل معسكرات الاعتقال – وحدات يهودية فقط – بالاتفاق مع الجنود الفلسطينيين المكلفين بالحراسة : لم يكن الانجليز يرحبون باشتراك الفلسطينيين فى المعارك الحربية حتى لايكتسبوا الخبرة العسكرية ؛ فقط عدد قليل منهم يتميز بالجرأة الشديدة كان يكلف بأشد المهام خطورة وغالباً ما تكون مهاماً انتحارية ؛ ساعد هذا النشاط على تكوين مجموعات تقدمية معادية للفاشية داخل هذه المعسكرات . وحتى لا نعود مرة أخرى لهذا الموضوع أود الإشارة إلى المجلة المعادية للفاشية التى أصدرتها الحركة المصرية للتحرر الوطنى بعد ميلادها فى إطار المهام الدولية التى قامت بها ؛ كانت هذه المجلة موجهة إلى معسكرات الاعتقال باللغة الألمانية ، وقام بتوزيعها أيضا الجنود اليهود الفلسطينيون ؛ هكذا كانت المكتبة وسيلة الاتصال بين التقدميين من كل البلاد (وبيننا) .

لم تكن المكتبة هى النشاط الوحيد لنا ، فقد ازدادت خلال هذه الفترة كثافة النشاط

---

(١٣) ميدان مصطفى كامل .

الدعائي داخل الأوساط المصرية لا سيما الشعبية ؛ وأحب هنا أن أقول إننى أعتبر لقائي بعبده دهب فرصة كبيرة لى .

إن عبده دهب سودانى الأصل ، وهو يكاد - حينذاك - أن يكون بلا مورد ؛ ولكنه ذكى نشط ، مناضل ، سريع البديهة ، والأهم من ذلك شعبى جداً ؛ ويجدر بنا الإشارة إلى انتصار مذهل حققه التضامن النوبي مع حصافة عبده دهب عندما نجح هذا الأخير فى الاتصال بأحد المحيطين بأحمد حسنين ، رئيس الديوان الملكى آنذاك ، وحصل منه على التقارير العديدة التى ترد إلى السراى عن الشيوعيين ؛ وهو الذى حصل على الرخصة - التى لا غنى عنها عند نشر أية دورية - للمجلة الأسبوعية « حرية الشعوب » حيث قمت باستئجارها من المالك الذى أقنعه عبده دهب بمواجهة جميع صداماتنا مع البوليس السياسى ، وكان هو أيضا الذى اجتذب معظم المحررين . وأود هنا الحديث عن أحدهم للدور الخاص الذى قام به وهو النوبى عبد الرحيم صلاح عرابى .

كنت أشعر دائماً بالحب تجاه النوبيين - المصريون منهم والسودانيون - قد يرجع هذا إلى المودة الكبيرة التى كنت أكنها للإنسان الرائع الذى يعمل بخدمتنا : أحمد صاحب القلب النادر والهيئة العظيمة ، الدرة التى حسدنا عليها جميع الأصدقاء ؛ كان لأحمد ابن فى مثل سنى وكنا متفاهمين ، بدأ هذا الابن طريقاً لامعاً وأعتقد أنه أكمله وإن كانت أخباره انقطعت عنى ؛ أما أحمد فمازلت نادماً ندماً لا يخف مع الزمن لأننى لم أوفر له حياة أكثر راحة فى أيامه الأخيرة .

كان أحمد هو الذى يقوم باختيار بقية العاملين : الطباخ وغيره من الخدم ذكوراً وإناثاً ، ولا أذكر أننى تعودت على قيام أحمد « بخدمتى » على المائدة ، ولا أظننى تناولت وجبة واحدة - كنت الأصغر سناً وبالتالى الأخير فى الترتيب - دون أن تثير ضيقى الشديد فكرة ذهاب « بقايا الطعام » إلى المطبخ ليتناولها الخدم ؛ أما عن اهتمامه بى فلم يؤثر فىَّ كثيراً حيث أن أمي وعمتى كانتا تفعلان الشىء نفسه .

ولنعد إلى عبد الرحيم الذى أخبرنى يوماً أن أحد الضباط المصريين ، وهو سودانى من جهة الأم ، سأله فى إحدى الجمعيات التى اعتاد النوبيون اللقاء فيها عن موقف الشيوعيين من المسألة السودانية ؛ هذه هى المناسبة التى كتبت فيها ، لهذا الضابط ، التقرير الطويل الذى يحدد بصفة نهائية موقفنا من هذه المسألة .

تعرفت على هذه المشكلة بفضل عبده دهب والطلبة السودانيين الذين كان يحضرهم للقائى . أذكر حماسي عند اجتماع أول خلية شيوعية كلها من السودانيين ! وساعدنى أصدقائي على أن أقيم وزناً للحقائق السودانية حتى لا يكون تصورى للمشكلة « مصرياً » تماماً .

كانت السياسة السودانية الداخلية تنقسم إلى تيارين كبيرين :

الأول : ينادى بالوحدة مع مصر ؛ لا أريد أن أحلل بالتفصيل التكوين الاجتماعى لهذا

التيار ، ولكنه ـ بداهة ـ معادٍ للسيطرة الانجليزية ولشدة ضعفه لا يتصور مستقبلاً ذاتياً للسودان فى مواجهة الامبراطورية البريطانية المهيبة ؛ ويرتكز هذا التيار على مجموع القوى السياسية المصرية التى لا تقبل شعاراً خلاف « وحدة وادى النيل »[١٤] تحت التاج المصرى أى تحت السيادة المصرية .

وينادى **التيار الثانى** الذى يسانده الانجليز بكل قواهم والذى يـدعى أعضاؤه « بالانفصاليين » باستقلال السودان ، ولن نعرض لتكوينه الاجتماعى هو الآخر .

عن أى الموقفين دافع التقرير ؟ كان التقرير مؤلفاً من عنصرين : الأول خاص بالنضال المشترك للشعبين ضد الامبريالية ، وهو موقف أساسى وإن لم يكن لدى بعض الأوساط « الديمقراطية » بالبداهة التى يظنها البعض : أذكر أننى التقيت فى هذه الفترة ـ لا أذكر سنة اللقاء بالتحديد ـ بأحد الشيوعيين الانجليز الذين عملوا بالتدريس فى السودان ؛ وكان هذا الشخص يرى أنه من المسلم به أن يرتبط الشيوعيون السودانيون مباشرة بالحزب الشيوعى الانجليزى عملاً بالمبدأ القائل « بتحالف البروليتاريا (الطبقة العاملة) فى البلد الامبريالى مع حركات التحرر فى المستعمرات » التابعة لهذا البلد ، أكدت له ـ وأنا على يقين مما أقول ـ أن الصلات المتميزة التى يقيمها الشيوعيون السودانيون ينبغى أن تكون معنا نحن ـ الشيوعيين المصريين . غضب لرأيى وعرفت بعد فترة أن الحزب الشيوعى الانجليزى أعلن أننى « تروتسكى » .

كان هذا الاتهام هو الأول فى سلسلة طويلة استمرت فى كل مكان حتى يومنا هذا ؛ وقد أثر فىَّ هذا الاتهام وأضعف من نفوذى لمغزاه الكبير فى هذه الفترة حيث أصبح علىَّ مواجهة العداء ـ داخل مصر نفسها ـ من التيارات التقدمية وخاصة الشيوعيين الانجليز العديدين المتواجدين بالجيش ، وهم باعتبارهم « شيوعيين معترفاً بهم » يتمتعون بتأثير كبير علينا نحن ـ الشيوعيين المناضلين « غير المعترف بنا » ـ الذين نسعى وراء هذا « الاعتراف » بكل قوانا لأنه القادر وحده على إعطائنا الثقة فى أننا شيوعيون حقيقيون .

وإذا بالحزب الشيوعى الانجليزى الذى ندين له بصورة ما بالتبعية حسب المبدأ المذكور عاليه يتهمنى ـ فى أول موقف له من الشيوعيين بمصر ـ بالتروتسكية ؛ ياله من نصر بالنسبة لأعدائى !

إنه إذن « نضال مشترك » ؛ وبما أننا نحب الانتقال من القول إلى العمل فسرعان ما وجد عبده دهب « رخصة » أخرى للإيجار لنشر مجلة سودانية أسبوعية : **أم درمان** التى تحمل منذ عددها الأول اسم « نضال مشترك » بحروف كبيرة إلى جانب الاسم الأصلى المطبوع بحروف أصغر بصورة ملحوظة ؛ وقد قامت هذه المجلة التى تحمل عبده دهب مسئوليتها بالكامل بدور رئيسى سواء فى السودان أو فى مصر .

---

(١٤) عند إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى عام ١٩٥١ نادى الوفد « بوحدة الوادى تحت التاج المصرى » .

كان العنصر الثانى فى التقرير هو « حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره بعد التحرر من سيطرة الامبريالية » ، ويتكون هذا العنصر بدوره من شقين :

الشق الأول : حق تقرير المصير وهو من المبادىء الدائمة فى الحركة الشيوعية ؛ وكانت ميزته الأولى فى رأينا تكمن فى أن النداء به وممارسته يؤسسان القاعدة لوحدة القوى المعادية للامبريالية فى السودان . كما أنهما يحولان دون انقسام الوطنيين السودانيين بسبب مشكلة مستقبل بلدهم ، الأمر الذى يقوى النضال ضد الامبريالية .

كانت القوى « الانفصالية » مع حلفائها من الانجليز دائمة الإشارة إلى « تقرير المصير » هذا ، مما أدى إلى تعرضنا مرة أخرى للهجوم من جانب جميع الذين يتهموننا بأننا « عملاء للانجليز » ـ لا شعورياً على الأقل ـ وبأننا ، على أحسن الفروض ، « نساعد الامبرياليين على تحقيق أهدافهم » إلخ ..

لم نتأثر ؛ فلقد كان هناك بالفعل اختلاف جوهرى بين التصورين ، فالشق الثانى من هذا العنصر ينص على أن هذا الحق لا يجب ممارسته إلا بعد الانتصار على الامبريالية ، وليس تحت رعايتها . كما تعد لذلك المخططات الانجليزية .

أثار الموقف بكامله مناقشات كثيرة قبل أن يتم قبوله واعتباره « مسلماً به » حتى أننا اكتشفنا ، أنا وعبد الخالق محجوب ، عند لقائنا فى الخمسينيات بباريس أن ظروف ميلاد هذا الموقف قد انمحت وأنه بطريقة ما ، يظنه « موجوداً دائماً » .

لم أستطع نسيان هذا الموقف خاصة أنه هو الذى أتاح للسودان فى عام ١٩٥٣ أن تكون أول بلد يتحقق لها الجلاء التام بالشرق الأوسط ـ فى نطاق انتمائها جزئياً على الأقل إلى هذه المنطقة ، وأن الضابط الذى استفسر عن موقفنا هو « محمد نجيب » !!

يعتبر « محمد نجيب » أخصائياً كفؤا فى هذه المسألة فهو كنصف سودانى عاش وعمل وناضل فى الفترة الأولى من حياته فى السودان الذى احتفظ فيه بصداقات عديدة ؛ وفى مذكراته « كلمتى للتاريخ » الذى خصص فيه فصلاً كاملاً لهذا الموضوع تبنى « محمد نجيب » هذا الموقف وأثبته كما فعلت وانتهى إلى الحصول على تطبيقه ، ولكنه أغفل ذكر أن الشيوعيين المصريين والسودانيين فقط هم الذين دافعوا عنه حتى ذلك الحين بسبب عدائه الشديد للشيوعية ؛ كان ينبغى لهذه الواقعة أن تكتب ، وهذا هو أحد أهداف هذا الكتاب : ذكر فضل الشيوعيين فى تاريخ مصر الحديث ، الأمر الذى حرموا منه طويلاً .

إن الأنشطة التى تمثلها السودان ـ بالرغم من أهميتها ـ والمكتبة كانت تتم بالارتباط مع اتجاه سياسى ينبغى عرضه ، ولكن أود قبله أن أنتهى من نشاط إضافى له أثر كبير فى إعدادنا منذ بداية نشاطنا ، هذا النشاط هو ما سمى « بالمسألة اليونانية » التى لن أعرض لها إلا من خلال عملنا فهى موضوع يطول شرحه كما أن عناصر كثيرة تعوزنى ، ولكنها ستتيح لنا مع هذا تصحيح بعض الأخطاء وكذلك التشويه المتعمد الفاضح .

من المعروف أنه حدث عصيان بين الجنود اليونانيين فى مصر عام ١٩٤٣ ، لم يكتب لهذا العصيان تاريخ حقيقى ، فكل ما كتب عنه هو تحليل جاد ؛ وأنا فى الواقع أجهل ما إذا كان ذلك حدث داخل الحزب الشيوعى اليونانى . ماذا كان موقفنا ؟

يبدو أن إسكرا Iskra قد اتخذ من هذه الحركة موقفاً سلبياً تماماً . وإن كنت لا أعلم ذلك علم اليقين لأننى - كما سبق لى القول - أجهل ما يدور عند « منافسينا » ، مع أنها حركة جمعت بين ثقافة نظرية بدت لى عميقة ، وإن لم أتمكن من التحقق منها وإيمان مطلق « بالطهارة الثورية » لأفرادها الذين « يصدرون أحكاماً » على كل شىء فهم على يقين من قدرتهم على التحليل الصحيح للموقف فى أى من بلدان العالم وليس فى مصر فقط . كما أنهم على ثقة ليس من انتصار القضية التى يدافعون عنها فحسب ، بل من عدم إمكان خسارتها مؤقتاً فى أى مكان ، وأذكر تحليل الانسحاب « الاختيارى » للجيوش السوفيتية فى يونيو سنة ١٩٤١ وأخيراً وقت الفراغ الهائل لدى أعضائها ، بالإضافة إلى الفرصة الممتازة التى أتيحت لشغلهم .

كُتِبَ تحليل إسكرا فى هذه المناسبة لينتهى إلى أن هذا العصيان قد أدين بشدة لأنه « يحد من جهد الحلفاء فى الحرب » ، ولكنى لم أصدق شيئاً من هذا فجهد الحلفاء بالحرب - وأقصد الانجليز بالذات - يحد منه الحكام الانجليز : كان هناك مليون من الجنود البريطانيين يحشدون بلا قتال فى الشرق الأوسط .

إن الهزيمة لم تبد لى قط دليلا كبيراً على خطأ قرار الحرب : ونذكر هنا موقف لينين بعد هزيمة الثورة الروسية فى ١٩٠٥ ، تجاه الذين قالوا : « كان ينبغى ألا نحمل السلاح » ... إلخ ..

مرة أخرى لا يمثل حكمى إلا « رأيا عابرا » ، أما موقفنا المساند للعصيان فكان قائماً على اعتبارات أخرى ، أولها وأهمها هو عدم إمكان المناقشة عندما يطلب منا الممثلون الرسميون لحزب شيوعى « شقيق » شيئاً - كان شعورنا بهذه الأخوة قوياً لدرجة لا مثيل لها - لم يكن أمامنا سوى تنفيذ المهام المطلوبة بأقصى جهدنا ، وخاصة أن العداء الانجليزى للعصيان لم يبد لنا بالضرورة عنصر إدانة بل على العكس من ذلك أكد جهودنا لصالحه ، وقد سبق لى أن قلت هذا الكلام وسأعود إليه مرة أخرى .

ما أهمية عملنا فى هذا المجال ؟!

لا أعرف إلى أى حد ساعد عملنا الحركة ، كانت أنشطتنا عديدة بالطبع فهى تشمل توزيع المنشورات والتستر على المناضلين العديدين الجارى البحث عنهم : أذكر أنه فى إحدى المرات قيل لنا إنهما اثنان ووجدنا عند اللقاء سبعة عشر ، وكنا نخفيهم فى أماكن مختلفة ... مرة ثانية كان لدى مسئول يونانى لم أتمكن من إيجاد سرير له إلا حيث أقطن فى الطابق الثالث عشر من عمارة كبيرة وحديثة تضم أندية للضباط البريطانيين ، وتلقينا

تحذيراً بأن البوليس السياسى يحاصر العمارة ويفتشها ، كنا نأوى حينئذ ضابطاً من القيادة العامة البريطانية العظيمة ، وهو جامعى النشأة تؤهله معرفته باللغات التى يجهل عدد ما يجيده منها لاستجواب السجناء ، لم يتردد صاحبنا هذا ؛ ارتـدى لباسـه العسكرى الخاص بالضباط من مرتبة القادة وتأبط زميلنا الذى لم يكن عظيم الهيئة واجتاز الحواجز تصحبه تحيات الشرطة والحرس ، انضم هذا الضابط بعد تسريحه إلى الحزب الشيوعى الانجليزى الذى لا يزال عضوا فيه حتى الآن ، ومع هذا كان هذا الضابط هو المقصود عندما اتهمنى الحزب الشيوعى الفرنسى فى عام ١٩٥٢ بالاتصال بعميل من المخابرات البريطانية .

ولنستأنف إحصاء نشاطنا فى مساعدة الوطنيين اليونانيين المتمردين الذين كنا نوفر لهم أماكن اللقاء .. فضلاً عن تأمين الصلات بين مركز الحركة بالقاهرة والجنود اليونانيين المحاصرين بالجنود الانجليز فى الصحراء : عبر اثنان من زملائنا الصحراء مرتين ، وفى إحداهما تعرضا لرصاص حرس الحدود المصرى . أما أنا فكان دورى هو المساعدة فى تزويد الجنود المحاصرين بالمؤونة ، فكونت فى أحد أملاك أبى على أطراف الصحراء احتياطياً من البنزين والغذاء وكنت أذهب ليلاً لتسليمه فى أماكن متفق عليها . لم يستمر هذا لأكثر من خمسة عشر يوماً أو بالأحرى خمس عشرة ليلة كان عَلَىَّ أثناءها الاستمرار فى أنشطتى اليومية بما فيها الأنشطة المهنية ، لذا لم أستطع الصمود إلا بتناول كميات متزايدة من البنزدرين benzedrine وهو مستحضر يعطى للحرس الليلى لمنعهم من النوم ـ الذى يمدنى به رفاقى الانجليز ، يجب أن أقول إن جهازى العصبى اهتز لسنوات طويلة .

نقطة أخيرة : كان لى حديث بعد سحق التمرد مع قواد الحركة الذين شكرونا بتأثر وقال لى أحدهم واسمه نيفيلوديس Nephelodis : « نحن نعرف أن موقفك حرج فى مصر ونحن أقوى مما تظن فإذا تعرضت لخطر أنذرنا وسنبعث بغواصة لإحضارك » !

لماذا أروى هذا ؟ بسبب مايلى : فى سنة ١٩٥٢ انعقد بفيينا المؤتمر الدولى لرجال القانون الديمقراطيين وقد مثل مصر فيه أحد رفاقى ، التقى هذا الرفيق بعضو هام من الوفد اليونانى قال له : « أنت قادم من مصر ، حسناً نحن نعرف أن بها (كنت قد أبعدت منذ سنتين فى ظروف سأرويها فيما بعد) تروتسكيا معروفاً : هنرى كورييل .. هل تعرفه » ؟

والآن إلى واقعة لقاء المسئول اليونانى مع أندريه مارتى[١٥] Andre Marty حيث أن الرواية الموجودة فى الكتاب اليونانى المترجم بالفرنسية مشوهة للغاية : كان أندريه مارتى مارا بالقاهرة فى طريقه إلى الجزائر ـ سأقص هذا فى مناسبة أخرى ـ وألح علينا المناضلون

---

(١٥) احد الكوادر القيادية بالحزب الشيوعى الفرنسى ومن مسئولى « مكتب المستعمرات » وقد أقصاه الحزب عام ١٩٥٣ بسبب صلاته بهنرى كورييل .